تعظيم الله جل جلاله

تأملاتٌ وقصائد

تأليف

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية

كلية التربية -جامعة الملك سعود

مدار الوطن للنشر

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م



هاتف: ٠٠٩٦٦٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط)

فاكس: ٠٠٩٦٦٤٧٢٣٩٤

الموقع على الإنترنت:

(www.madaralwatan.com)

البريد الإلكتروني:

(pop@madaralwatan.com)

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي رفعَ السماءَ بقدرتِهِ وبسطَ الأرضَ بمشيئتهِ ومهَّدَها للسُّلَّاك، وسَخَّرَ الفُلكَ ومهَّدَ الْمُلْكَ ودبَّر الأملاك.

الحيُّ القيومُ الذي لا تأخُذُه سِنَةٌ ولا نومٌ، الذي خلقَ الموتَ والحياةَ وقدَّر النجاةَ والهلاكَ.

الذي له الخلقُ والأمرُ، وبيدهِ الإطلاقُ والإمساكُ، الذي أنشأَ اللوحَ والقلمَ، وعلَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ ووهبَ له العقلَ الكاملَ والفهمَ والإدراكَ...

والصلاةُ والسلامُ على البشيرِ النذير والسراج المنيرِ، أعظمِ الخلقِ خشيةً لربِّهِ وتعظيمًا له، وتمجيدًا لجلالِهِ، وعبادةً وذكرًا وشكرًا ومحبةً وخوفًا ورجاءً ورغبًا ورهبًا.

واللهُ ﻷ هو أهلُ الثناءِ والمجدِ، وصاحبُ الجبروتِ والملكوتِ والكبرياءِ والعظمةِ...

هو عالِمُ السرِّ وأخفى، قيومُ السمواتِ والأرضِ، عالمُ الأسرارِ، مقيلُ العثار، مدبرُ الليلِ والنهارِ.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

هو الأولُ فليس قبلَهُ شيءٌ، وهو الآخرُ فليس بعدَهُ شيءٌ وهو الظاهرُ فليسَ فوقَهُ شيءٌ، وهو الباطنُ فليسَ دونَهُ شيءٌ...

هو خيرُ المسؤولين، وأكرمُ المعطين، ورازقُ الناسَ أجمعين.

يعلمُ حوائجَ السائلين، وضمائرَ الصامتين، وأسرارَ صدورِ العالمين.

لا يزدادُ على كثرةِ السؤالِ إلا جودًا وكرمًا، ولا على كثرةِ الحوائجِ إلا تفضلًا وإحسانًا.

هو العليُّ الكبيرُ، الوليُّ الحميدُ، العزيزُ المجيدُ، المبدئُ المعيدُ، الفعالُ لما يريدُ، الحيُّ القيومُ، القويُّ المتينُ، العظيمُ الجليلُ، له الخلقُ والأمرُ، وبيدِهِ النفعُ والضرُّ، وله الحكمُ والتقديرُ، والملكُ والتدبيرُ، ليسَ لهُ في صفاتِهِ شبيهٌ ولا نظيرٌ، ولا له في آلهيتهِ شريكٌ ولا ظهيرٌ، ولا له في سلطانهِ وليٌّ ولا نصيرٌ.

سبحانه من مليكٍ ما أمنَعَه، وجوادٍ ما أوسعَهُ، ورفيعٍ ما أرفَعَه، لا رادَّ لمشيئته، ولا مبدِّل لكلماتهِ، قولهُ حُكْمٌ، وقضاؤه حَتْمٌ، وأمْرُه رشدٌ، باهِرُ الآياتِ، فاطرُ السمواتِ، بارئُ السماتِ، مجيبُ الدعواتِ، مغيثُ اللهفاتِ، مقيلُ العثراتِ. أكبرُ من كلّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأعزُّ من كلِّ شيءٍ، وأقدرُ من كل شيءٍ، وأعلمُ من كلِّ شيءٍ، وأحكمُ من كلِّ شيءٍ.

قالَ ابنُ القيِّمِ في صفةِ عظمةِ اللهِ U:

«يدبِّرُ أمرَ الممالكِ، ويأمرُ وينهى، ويخلقُ ويرزقُ، ويميتُ ويُحْيي، ويقضي وينفِّذُ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويقلِّبُ الليلَ والنهارَ، ويُدَاوِلُ الأيامَ بينَ الناسِ، ويُقَلِّبُ الدُّوَلَ، فيذهبُ بدولةٍ، ويأتي بأخرى.

والرسلُ من الملائكةِ عليهم الصلاةُ والسلامُ بين صاعدٍ إليه بالأمرِ، ونازلٍ من عندِهِ به، وأوامرُه ومراسيمُهُ متعاقبةٌ على تعاقبِ الأوقاتِ، نافذةٌ بحسبِ إرادتهِ

ومشيئتهِ، فما شاءَ كانَ كما شاءَ في الوقتِ الذي يشاءُ على الوجهِ الذي يشاءُ، من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تَقَدُّمٍ ولا تأخُّرٍ، وأمرُهُ وسلطانُهُ نافِذٌ في السمواتِ والأرضِ وأقطارِها، وفي الأرضِ وما عليها وما تحتها، وفي البحارِ والجوِّ، وفي سائرِ أجزاءِ العالمِ وذرَّاتِهِ، يُقَلِّبها ويُصَرِّفها، ويُحدِثُ فيها ما يشاءُ، وقد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا، ووسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وحكمةً، ووسعَ سَمْعُهُ الأصوات، فلا تختلفُ عليه ولا تشتبهُ عليه، بل يسمعُ ضجيجَها باختلافِ لغاتِها على تَفَنُّنِ حاجاتِها، فلا يَشغَلُهُ سمعٌ عن سمعٍ، ولا تُغلِطُه كثرةُ المسائلِ، ولا يتبَرَّمُ بإلحاحِ المُلِحِّين ذوي الحاجات.

وأحاط بصرُه بجميعِ المرئياتِ، فيرى دبيبَ النملةِ السوداءِ على الصخرةِ الصَّمَّاءِ في الليلةِ الظلماءِ، فالغيبُ عنده شهادةٌ، والسرُّ عنده علانيةٌ، يعلمُ السرَّ وأخفى من السرِّ؛ فالسرُّ ما انطوى عليه ضمير العبدِ، وخطرَ بقلبِهِ، ولم تتحركْ به شفتاه، وأخفى منه: ما لم يخطرْ بقلبِهِ بَعْدُ، فيَعلَمُ أنه سيخطرُ بقلبِهِ كذا وكذا في وقتِ كذا وكذا.

وله الخلقُ والأمرُ، وله الملكُ وله الحمدُ، وله الدنيا والآخرةُ، وله النعمةُ، وله الفضلُ، وله الثناءُ الحسنُ، وله الملكُ كلُّه، وله الحمد كلُّهُ، وبيدِهِ الخيرُ كلُّهُ، وإليه يرجعُ الأمرُ كلُّهُ، شملت قدرتُهُ كلَّ شيءٍ، ووسعتْ رحمَتُهُ كلَّ شيءٍ، ووسَعَت نعمتُهُ إلى كلِّ حيّ.

﴿**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن:٢٩]: يغفرُ ذنبًا، ويفرِّجُ همًّا، ويكشفُ كربًا، ويجبرُ كسيرًا، ويُغني فقيرًا، ويُعَلِّمُ جاهلًا، ويهدي ضالًّا، ويُرشِدُ حيرانًا، ويغيث لَهْفَانًا، ويَفُكُّ عانيًا، ويُشبع جائِعًا، ويَكْسُو عاريًا،

ويشفي مريضًا، ويُعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصرُ مظلومًا، ويقصمُ جبَّارًا، ويقيل عثرَةً، ويسترُ عورةً، ويُؤَمِّن روعةً، ويرفعُ أقوامًا، ويضع آخرين.

لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفضُ القسطَ ويرفعُهُ، يُرفَع إليه عملُ الليلِ قبلَ عملِ النهارِ، وعملُ النهار قبلَ عملِ الليلِ، حجابُه النورُ، لو كشفَهُ لأحرقتْ سُبُحات وجههِ ما انتهى إليه بصرُه من خلقه.

يمينُه مَلأى، لا تَغِيضُها نفقة، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ، أرأيتم ما أنفقَ منذ خلقَ الخلقَ، فإنه لم يَغِضْ ما في يمينهِ.

قلوبُ العبادِ ونواصيهم بيدهِ، وأزمَّةُ الأمورِ معقودةٌ بقضائهِ وقدرِهِ، الأرضُ جميعًا قبضتُهُ يومَ القيامةِ، والسمواتُ مطوياتٌ بيمينهِ، يقبضُ سمواتِهِ كلِّها بيدِهِ، والأرضَ باليدِ الأخرى، ثم يَهُزُّهنَّ، ثم يقولُ: أنا الملكُ، أنا الملكُ، أنا الذي بدأت الدنيا و لم تكنْ شيئًا، وأنا الذي أعيدُها كما بَدَأْتُها.

لا يتعاظمه ذنبٌ أن يغفرَهُ، ولا حاجةٌ يُسأَلُها أن يعطيَها.

لو أن أهلَ سمواتِهِ، وأهلَ أرضِهِ، وأولَ خلقِهِ وآخرَهم، وإنسَهم وجنَّهم، كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ منهم، ما زاد ذلك في ملكهِ شيئًا، ولو أنَّ أولَ خلقهِ وآخرَهم، وإنسَّهم وجِنَّهم، كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ منهم، ما نقصَ ذلك من ملكهِ شيئًا، ولو أن أهلَ سمواتِهِ، وأهل أرضِهِ، وإنسَهم وجِنَّهم، وحيَّهُم وميِّتهم، كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ منهم، ما نقص ذلك من ملكهِ شيئًا، ولو أن أهلَ سمواته، وأهلَ أرضه، وإنسَهم وجنَّهم، وحيَّهُم وميِّتهم، ورطَبهم ويابسهم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوه فأعطى كلًّا منهم مسألتَهُ، ما نقصَ ذلك مما عندَهُ مثقالَ ذرةٍ.

ولو أنَّ أشجارَ الأرضِ كلَّها ــ من حين وُجدتْ إلى أن تنقضيَ الدنيا ــ أقلامٌ، والبحرُ وراءه سبعةُ أبحرٍ تمدُّه من بعده مِدادٌ، فكُتِبَ بتلك الأقلامِ، وذلك المدادِ، لفنيت الأقلامُ ونفدَ المدادُ، و لم تنفدْ كلماتُ الخالقِ تباركَ وتعالى.

وكيفَ تَفْنَى كلماتُه جَلَّ جلالُهُ وهي لا بدايةَ لها ولا نهاية؟! والمخلوقُ له بدايةٌ ونهايةٌ، فهو أحقُّ بالفناءِ والنَّفادِ، وكيف يُفني المخلوقُ غيرَ المخلوق؟!

هو الأولُ الذي ليسَ قبلهُ شيءٌ، والآخرُ الذي ليسَ بعده شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دونه شيءٌ.

تباركَ وتعالى، أحقُّ من ذُكِر، وأحقُّ من عُبد، وأحقُّ من حُمِد، وأولى من شُكِر، وأنصَرُ من ابتُغِي، وأرأفُ من مَلَك، وأجودُ من سُئِل، وأعفَى من قَدِر، وأكرم من قُصِد، وأعدل من انتَقَم.

حكمُه بعد علمِهِ، وعفوهُ بعد قدرتهِ، ومغفرتُه عن عِزَّتهِ، ومَنْعُه عن حكمتهِ، وموالاتُه عن إحسانهِ ورحمتهِ.

ما لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ واجبٌ كَلَّا ولا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ
إن عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أو نُعِّمُوا فَبِفَضْلِهِ، وهو الكريمُ الواسِعُ

هو الملكُ الذي لا شريكَ له، والفردُ فلا ندَّ له، والغنيُّ فلا ظهيرَ له، والصمدُ فلا ولدَ له، ولا صاحبةَ له، والعليُّ فلا شبيهَ له، ولا سَمِيَّ له، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَهُ، وكلُّ مُلكٍ زائلٌ إلا ملكهُ، وكلُّ ظلٍّ قَالِصٌ إلا ظِلُّهُ، وكلُّ فضلٍ منقطعٌ إلا فضله.

لن يُطاعَ إلا بفضلهِ ورحمتهِ، ولن يُعصى إلا بعلمهِ وحكمتهِ، يُطاعُ فيَشكرُ،

ويُعصَى فيتجاوزُ ويَغْفِرُ، كلُّ نقمةٍ منه عدلٌ، وكلُّ نعمةٍ منه فضلٌ، أقربُ شهيدٍ، وأدنى حفيظٍ، حالَ دون النفوسِ، وأخذَ بالنواصي، ونسَخَ الآثار، وكتبَ الآجالَ، فالقلوبُ له مُفْضِيَةٌ، والسرُّ عنده علانيةٌ، والغيبُ عندَهُ شهادةٌ، عطاؤه كلامٌ، وعذابهُ كلامٌ، ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس:٨٢]»[١].

أما بعد:

فإنَّ هذا الكتابَ يهدفُ إلى ترسيخِ أعظمِ قيمةٍ في حياةِ المسلمِ وهي العبوديةُ للهِ U: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

والعبوديةُ هي: الذلُّ والخضوعُ والانقيادُ للهِ U والافتقارُ التامُّ إليه سبحانهُ، وتحقيقُ أنه لا معبودَ بحقّ إلا اللهُ، وهذا لا يكونُ إلا بتعظيمِ اللهِ I المتضمنِ للخوفِ والرجاءِ والمحبةِ له تعالى وقد ذمَّ اللهُ U من لا يعظمُهُ فقال: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾.

وقال: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾.

فشأنُ اللهِ أعظمُ من كلِّ شيءٍ، وعظمةُ اللهِ U فوقَ كلِّ تصدرٍ وتقديرٍ.

وقد جعلتُ هذا الكتابَ ـــ تعظيمُ اللهِ ـــ الأولَ في مكتبةِ اسعد مجتمعك ليترسخَ في الناسِ أنَّ تعظيمَ اللهِ U هو أعظمُ وسيلةٍ توصلُ إلى سعادةِ الفردِ والأسرةِ والمجتمعِ بل إلى سعادةِ البشريةِ كلِّها خصوصًا في زمنِ العولمةِ وحيث صار العالمُ قريةً واحدةً ضعفَ منه أثر الوسائلِ الخارجيةِ لحمايةِ ووقايةِ المجتمعِ من منعٍ ومراقبةٍ فصار لزامًا الاهتمامُ والتركيزُ التامُّ على تقويةِ تعظيمِ اللهِ في النفسِ بتقويةِ الوازعِ الدينيِّ

(١) انظر: الوابل الصيب؛ لابن القيم (ص:١٥، وما بعدها).

ومراقبةِ اللهِ في السرِّ والعلنِ.

إنَّ المعظمَ للهِ U متوازنٌ من جميعِ الجوانبِ يحملُ همَّ الآخرةِ ولا ينسى نصيبهُ من الدنيا، معظِّمٌ لأمرِ اللهِ ونهيه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، محققٌ لتوحيدِ اللهِ على أكملِ وجهٍ سالمٌ من الشركِ بجميعِ صورِهِ، مؤدٍ واجباتِهِ الدينيةِ على أكملِ وجهٍ، من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وغيرِها من الفرائضِ والواجباتِ.

وهو كذلك من أعظمِ الناسِ تأديةً للحقوقِ وأعظمِها: حقُّ الوالدين، والأبناءِ والزوجةِ والأرحامِ والجيرانِ والأصدقاءِ والأطفالِ والفقيرِ وغيرِهم.

وكذلك فإنه يجتنبُ المحرماتِ التي نهى اللهُ عنها من مسكراتٍ ومخدراتٍ وانحرافاتٍ جنسيةٍ، واعتداءاتٍ على الأنفسِ والأموالِ بالسرقةِ والرشوةِ وغيرِها.

والمعظمُ للهِ U مجتنبٌ لهذه المحرماتِ عبوديةً للهِ U خوفًا ورجاءً ومحبة للهِ، ولذلك فإنه يجتنبُ المحرَّماتِ في سائرِ الأماكنِ داخل وطنه وخارجه، إذا رآه الناسُ وإذا لم يَرَوْه، لأنه لا يراقبُ إلا اللهَ U، فسلِمَ بذلك من التناقضِ والازدواجيةِ التي سيطرتْ على كثيرٍ من الناسِ.

وكذلك فإنَّ المعظمَ للهِ U لا يقتصرُ على تركِ المحرماتِ الظاهرةِ فقط، بل يهتمُّ بتطهيرِ قلبِهِ من المحرماتِ الباطنةِ كالكبرِ والغلِّ والحسدِ والبغضاءِ والرياءِ والسمعةِ والغرورِ وغيرِ ذلك.

وكذلك فإنه يهتمُّ بتحليةِ قلبِهِ بالقيمِ والعباداتِ القلبيةِ كالصدقِ والإخلاصِ والمحبةِ والصبرِ والتوكلِ والإنابةِ وغيرِها.

والمعظمُ للهِ U همُّه إقامةُ العبوديةِ للهِ تعالى في نفسِهِ أولًا، وإسعادُ الآخرين

بدخولِهم فيها».

والمعظمُ للهِ U معظمٌ لجنابِ النبيِّ r مدافعٌ عنه محبٌّ له، يشرفُ بالتأسي به والانضواءِ تحت لوائِهِ ولذلك فإنه يقتدي به في كلِّ الأمورِ، ويدعو إلى سنتهِ، ويبينُ فضائِلَهُ ومحاسِنَهُ وكمالَ أخلاقهِ وآدابِهِ r ، وهو لا يُقَدِّمُ على الكتابِ والسنةِ شيئًا من الآراءِ والأهواءِ والأقوالِ والعاداتِ.

كما أنه ملتزمٌ بمنهجِ الوسطيةِ في عباداتِهِ وتعاملاتِهِ كلِّها سالمٌ من التطرفِ والغلوِّ والإرهابِ والبدعِ والضلالات.

والمعظمُ للهِ هو الساعي الحقيقيُّ لإعمار الوطنِ وتنميتِهِ عبادةً للهِ في سائرِ المجالاتِ الاقتصاديةِ والإداريةِ والاجتماعيةِ والسياسيةِ والصحيةِ والتعليميةِ والأمنيةِ وفقَ الكتابِ والسنةِ، حيث يجعلُ من هذه الحياةِ مزرعةً للآخرةِ وممرًّا إليها.

ولذلك فإنه من أكثر الناسِ إتقانًا لعملِهِ وإحسانًا له. كما أنه لا يبخلُ بالخيرِ على الناسِ، بل يدلُّ الناسَ على كلِّ خيرٍ طلبًا لمرضاتِ اللهِ، ويغلقُ كلَّ بابٍ من أبوابِ الضررِ والفسادِ والإيذاءِ وذلك؛ لأنه من أصدقِ الناسِ نصحًا لمجتمعه ووطنه.

المعظمُ للهِ يتفاعلُ مع مجتمعِهِ بأمرِهِ بالمعروفِ ونهيِهِ عن المنكرِ واصلٌ لرحِمِهِ، راعٍ لجارِهِ، مساعدٌ للمحتاجِ، زائرٌ للمريضِ، مصلحٌ بين المتخاصمين، مشاركٌ في أفراحِ مجتمعِهِ.

والمعظمُ للهِ يعملُ بشموليةِ الإسلامِ الواسعةِ، ويرسخُ مبادِئَهُ في كلِّ الأمورِ، ويدخلُ في السِّلم كافة، ولا يختزلُ الدينَ في قضايا يحددُها لنفسِهِ، أو يحدُدها له غيرُهُ، وإنما يعظمُ ما عظمَهُ اللهُ ورسولُهُ، لا ما عظمتْهُ الأهواءُ والعاداتُ والتقاليدُ

والمجتمعُ والبيئةُ، وما تفرضُهُ العولمةُ في واقعِنا المعاصرِ. وهو من خلال ذلك يقدمُ مصلحةَ الأمةِ والمجتمعِ على مصالِحِهِ الشخصيةِ الفرديةِ المحدودةِ.

إنَّ ترسيخَ قيمةِ تعظيمِ اللهِ U يعالجُ كثيرًا من مشاكلِ المجتمعِ الأمنيةِ والاقتصاديةِ والإداريةِ بأيسرِ السبلِ وأقلِّ التكاليفِ والأعباءِ على الدولةِ.

وكذلك فإنَّ ترسيخَ قيمةِ تعظيمِ اللهِ في النفوسِ تعالجُ كثيرًا من المشكلاتِ الاجتماعيةِ كعقوقِ الوالدينِ وقطيعةِ الرحمِ وظلمِ المرأةِ والعنفِ الأسريِّ وانتهاكِ الأعراضِ وغيرِ ذلك من الاعتداءِ على الأنفسِ والأموالِ الخاصةِ والعامةِ وغيرِ ذلك من المشكلاتِ، حيث لا توجدُ مشكلةٌ إلا ومن أعظمِ أسبابِها ضعفُ تعظيمِ اللهِ U في النفوسِ، وقد رأينا أنَّ هذه القيمةَ لما ترسَّختْ في نفوسِ الجيلِ الأولِ في عصرِ النبوةِ وعصرِ الخلافةِ الراشدةِ ومنْ بعدَهم أنتجتْ أمةً ضربتْ أروعَ الأمثلةِ في الطهارةِ والاستقامةِ والأمانةِ وأداءِ الواجباتِ والابتعادِ عن المحرماتِ والوصولِ إلى أعظمِ مظاهرِ المدنيةِ والحضارةِ.

وهذا الكتابُ هو تأملاتٌ في تعظيمِ اللهِ U من خلالِ تدبرِ الآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ في اللهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، وما سطَّرَهُ العلماءُ الربانيون في بيانِ عظمةِ اللهِ وغناه المطلقِ.

وكذلك ما كتبَهُ الشعراءُ في قصائدَ في تعظيمِ اللهِ U، وقد جمعتُ ما تيسَّرَ منها في هذا الكتابِ وهذا العملُ هو جزء من مشروع أسعد مجتمعك.

ويحدوني الأملُ أن نشتركَ جميعًا دعاةٌ وخطباءُ ومفكرون وكتابٌ وإعلاميون ورجالُ أعمالٍ في ترسيخِ قيمةِ تعظيمِ اللهِ بكلِّ الوسائلِ المتاحةِ المقروءةِ والمسموعةِ

والمرئيةِ ومثلِ ذلك أن نطبِقَها في سائرِ مجالاتِ حياتِنا ليقتدوا بنا.

أسألُ اللهَ أنْ يباركَ في الجهودِ وأنْ يسعدَ الجميعَ دنيا وآخرة.

د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك

كلية التربية - جامعة الملك سعود

aalmazyad@ksu.edu.sa

عبادةُ التعظيمِ

إن تعظيمَ اللهِ U من أعظمِ العباداتِ التي غفلَ عنها كثيرٌ من الناسِ، فساءتْ أحوالُهم، وانقلبتْ موازينُهم، وتلاعبتْ بهم الشياطينُ والأهواءُ والأنفسُ الأمارةُ بالسوءِ.

فالتوحيدُ الذي هو رأسُ الأمرِ هو الأصلُ في تعظيمِ اللهِ U فاللهُ U أعظمُ من أن يُعْبَدَ معَهُ غيرُه قال تعالى في الحديثِ القُدْسِيِّ: «**أنا أغنى الشركاءِ عن الشِّركِ، من عملَ عملًا أشركَ فيه معي غَيْرِي تركتُه وشِرْكَهُ**» [مسلم].

ولَمَّا عبدَ قومُ نوحٍ الأصنامَ أنكرَ عليهم نوحٌ عليه السلام وقال لهم: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح:١٣]. قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: أي ما لكم لا ترجونَ للهِ عظمةً، وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: ما لكم لا تُعَظِّمُونَ اللهَ حقَّ عظمتِه، وقال الكلبيُّ: لا تخافونَ للهِ عظمةً[٢].

وهدهدُ سليمانَ عليه السلام لَمَّا كان معظمًا للهِ U استنكرَ أن يعبدَ قومٌ الشمسَ من دونِ اللهِ تعالى: ﴿**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [النمل:٢٣-٢٦].

حتى الجماداتِ فإنها تستبشعُ افتراءَ الكذبِ على اللهِ وادعاءَ أن له ولدًا تعظيمًا

---

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٩٥).

لله U وإجلالًا له: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا**﴾ [مريم:٨٨-٩٢].

قال الضحاكُ بنُ مزاحمٍ في قولِه تعالى: ﴿**تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ**﴾ أي: يَتَشَقَّقْنَ من عظمةِ اللهِ U[٣].

فعظمةُ اللهِ تعالى متقرِّرَةٌ لدى هذه الأجرامِ العظيمةِ، ولذلك فإنها لا تطيقُ هولَ تلك الكلمةِ الشنيعةِ وهي نسبةُ الولدِ إلى اللهِ تعالى، ولولا حلمُ اللهِ تعالى لخرَّ العالَمُ وتبددْت قوائِمُه غضبًا على من تفوَّه بها.

قال محمدُ بنُ كعبٍ: كادَ أعداءُ اللهِ أن يُقيموا علينا الساعةَ.

وقدْ ذكرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله علاقةَ التعظيمِ بالوحدانيةِ فقالَ: «فمن اعتقدَ الوحدانيةَ في الألوهيةِ للهِ سبحانه وتعالى والرسالةَ لعبدِه ورسولِه، ثم لم يُتْبِعْ هذا الاعتقادَ موجَبَهُ من الإجلالِ والإكرامِ، الذي هو حالٌ في القلبِ يظهرُ أثرُه على الجوارحِ، بل قارنَه الاستخفافُ والتسفيهُ والازدراءُ بالقولِ أو بالفعلِ كانَ وجودُ ذلك الاعتقادِ كعدمِهِ، وكانَ ذلك موجبًا لفسادِ ذلك الاعتقادِ ومزيلًا لما فيه من المنفعةِ والصلاحِ، إذ الاعتقاداتُ الإيمانيةُ تُزكِّي النفوسَ وتصلِحُها، فمتى لم توجبْ زكاةَ النفسِ ولا صلاحَها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسَخْ في القلبِ»[٤].

ومن دلائلِ تعظيمِ اللهِ U عبوديةُ الكائناتِ لله تعالى وسجودُها لعظمتِه

(٣) الدر المنثور (٥/٥٤٤).

(٤) الصارم المسلول (١/٣٧٥).

سبحانه كما قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**﴾ [الحج:١٨].

وتعظيمُ اللهِ U هو الذي يعطي العبادةَ روحَها وجلالَها، وهو الذي يجعلُها عبادةً مقبولةً خالصةً صحيحةً تامّةَ الشروطِ والأركانِ، أمّا عبادةٌ بلا تعظيمٍ فإنها كالجسدِ بلا روحٍ ولذلك قال ابنُ القيمِ رحمه الله: «وروحُ العبادةِ هو الإجلالُ والمحبةُ، فإذا تخلّى أحدُهما عن الآخرِ فسدَتْ، فإذا اقترنَ بهذين الثناءُ على المحبوبِ المعظّمِ فذلك حقيقةُ الحمدِ»[٥].

والنبيُّ r لما سألَهُ جبريلُ عن الإحسانِ قال: «**أن تعبدَ اللهَ كأنّك تراهُ، فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك**»[٦]، وهذه المراقبةُ في العبادةِ هي طريقُ التعظيمِ والإجلالِ للهِ تعالى قال ابنُ رجبٍ: «فقولُه r في تفسيرِ الإحسانِ: «**أن تعبدَ اللهَ كأنك تراهُ**» إلخ، يشيرُ إلى أنّ العبدَ يعبدُ اللهَ على هذه الصفةِ، وهي استحضارُ قربِهِ، وأنه بين يديْهِ كأنّه يراه، وذلك يوجبُ الخشيةَ والخوفَ والهيبةَ والتعظيمَ»[٧].

* * *

(٥) مدارج السالكين (٢/٤٩٥).
(٦) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٩).
(٧) جامع العلوم والحكم (١/١٢٦).

تعظيم الله في أمهات العبادة

والنبيُّ r أرشدَ إلى تعظيمِ الله U في أمَّهاتِ العبادةِ **فالصلاةُ وهي أعظمُ الشعائرِ التعبديةِ بعد الشهادتينِ كلُّها قائمةٌ على التعظيمِ للهِ U**، وكان r يستفتحُ الصلاةَ بعباراتِ التعظيمِ والتمجيدِ والإجلالِ للهِ U. ففي السننِ عن عائشةَ وأبي سعيدٍ أن النبيَّ r كانَ إذا استفتحَ الصلاةَ قال: «**سبحانك اللهمَّ وبحمدِك وتبارَكَ اسمُكَ، وتعالى جدُّك ولا إله غيرُك**»[٨].

وفي صحيح مسلمٍ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ t قالَ: كان رسولُ اللهِ r إذا قامَ إلى الصلاةِ قال: «**وجَّهْتُ وجهِيَ للذي فطرَ السمواتِ والأرضَ حنيفًا وما أنا من المشركينَ إنَّ صَلاتِي ونسُكي ومحيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالمينَ، لا شريكَ له وبذلكَ أمرتُ وأنا من المسلمينَ، اللّهُمَّ أنت الملِكُ لا إله إلّا أنت، أنت ربي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي، واعترفتُ بذنبي فاغفِرْ لي ذنوبِي جميعًا إنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلّا أنتَ، واهدِني لأحسنِ الأخلاقِ لا يهدي لأحسَنِهَا إلّا أنتَ، واصرِفْ عني سيئَهَا لا يصرفُ عني سيِّئَهَا إلا أنتَ، لبيك وسعدَيْك، والخيرُ كلُّه في يديْك، والشرُّ ليس إليك، أنا بك وإليك تباركْتَ وتعالَيْتَ، أستغفِرُك وأتوبُ إليك**»[٩].

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله r إذا قام إلى الصلاة في جوف الليل قال: «**اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرضِ ومَن فيهن ولكَ الحمدُ، أنت قَيَّامُ السمواتِ والأرضِ ومَنْ فيهن، ولكَ الحمدُ،**

---

(٨) أخرجه الترمذي (٢٢٥)، والنسائي (٨٨٩).

(٩) رواه مسلم (١٢٩٠)، والترمذي (٣٣٤٤).

أنت ربُّ السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحقُّ، ووَعدُك الحقُّ، وقولُك الحقُّ، ولقاؤُك حَقٌّ، والجنةُ حَقٌّ، والنارُ حَقٌّ، والنبيون حَقٌّ، ومحمد r حَقٌّ، والسَّاعة حَقٌّ، اللّهُمَّ لَكَ أسْلمتُ، وبك آمنتُ، وعليكَ توكلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليكَ حاكمتُ، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخرّتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنت إلهي لا إله إلّا أنت»(١٠).

فهو r أعظمُ الناسِ تعظيمًا لربِّه تعالى، وأحسنُهم ثناءً عليه وافتقارًا إليه ورغبةً في فضْلِه ورهبةً من عذابِه. وفاتحةُ الكتابِ كذلكَ من أعظمِ ما عُظِّمَ به اللهُ تبارك وتعالى، ولذلكَ جاءَ في الحديثِ القُدْسِيِّ: **«قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفينِ، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حَمِدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنَى عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مَجَّدني عبدي ــ وقال مرةً فَوَّضَ إليَّ عبدي ــ فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبينَ عبدي ولعبدِي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: هذا لعبدِي ولعبدِي ما سألَ»**(١١).

والركوعُ كذلكَ من مواضعِ تعظيمِ اللهِ U في الصلاةِ لقولِه r: **«أما**

---

(١٠) رواه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (١٢٨٨).

(١١) صحيح مسلم (ح٥٩٨) كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وسنن الترمذي (٢٨٧٧)، وسنن النسائي (٩٠٠)، وأبي داود (٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧٤)، وأحمد (٩٥٥٢).

الركوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ»[١٢]. وفي السننِ عن حذيفةَ t أنه سَمِعَ رسولَ اللهِ r يقولُ إذا ركعَ: «**سبحانَ ربي العظيمِ**» ثلاث مراتٍ، وإذا سجَدَ قال: «**سبحانَ ربي الأعلى**» ثلاثَ مراتٍ[١٣].

وهذا يدلُّ على أن التعظيمَ يكونُ في الركوعِ والسجودِ إلّا أنّه في الركوعِ يكونُ الثناءُ والتعظيمُ أكثرُ أما السجودُ فيكونُ فيه التسبيحُ الذي هو تعظيمٌ للهِ U ويكونُ فيه الدعاءُ والمسألةُ قال r: «**أما الركوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ وأما السجودُ فاجتهدُوا في الدعاءِ فَقَمِنٌ أنْ يُستجَابَ لكم**»[١٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله r يُكثِرُ أن يَقُولَ في ركوعِه وسجودِه: «**سبحانَكَ اللهمَّ ربَّنا وبحمدِكَ اللهمَّ اغفِرْ لي**»[١٥]. وعنها قالت: كان رسولُ الله r يقولُ في ركوعِه وسجودِه: «**سُبوحٌ قُدوسٌ، ربُّ الملائكةِ والروحِ**»[١٦].

وكذلك جعلَ النبيُّ r ذِكْرَ ما بعد الرفعِ من الركوعِ منصبًّا على تعظيمِ اللهِ جلّ وعلا، فعن أبي سعيدٍ t قال: كان رسولُ اللهِ r إذا رفَعَ رأسَه من الركوعِ قال: «**اللهم ربَّنا لك الحمدُ ملْءَ السمواتِ ومِلْءَ الأرضِ، ومِلْءَ ما بينهما، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعدُ، أهلَ الثناءِ والمجدِ، أحقُّ ما قال العبدُ وكلُّنا لك عبدٌ، اللهمَّ**

---

(١٢) مسند أحمد (١٨٠١)، ومسلم (٤٧٩)، وأبو داود (٧٤٢)، والنسائي (١٠٤٥).
(١٣) الترمذي (٢٦١)، وابن ماجه (٨٨).
(١٤) مسلم (٤٧٩)، النسائي (١٠٤٥)، أحمد (١٨٠١).
(١٥) البخاري (٧٦١)، مسلم (٤٨٤).
(١٦) مسلم (٤٨٧)، النسائي (١١٣٤)، أبو داود (٨٧٢).

لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا معطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ»(١٧).

أما الحجُّ فإنه كذلك من العباداتِ التي يَتَجَلّى فيها تعظيمُ الربِّ جلَّ جلالُه في كلِّ منسكٍ من مناسكِهِ فإن هناك كثيرًا من أفعالِ الحجِّ غيرُ معقولةِ المعنى، غير أنّ المعنى الذي يجمَعُها جميعًا هو الطاعةُ المطلقةُ والتعظيمُ المطلقُ للهِ تعالى، فالطوافُ يكونُ حولَ البيتِ الذي هو من الحجارةِ، والحجرُ الأسودُ يُقَبَّلُ مع كونه حجرًا، ورَمْيُ الجِمارِ إنما هو حَجَرٌ يُرمى به حَجَرٌ، فما الذي جعلَ هذا الحجَرَ يُرْمَى وهذا الحَجَرَ يُقَبَّلُ وهذا الحَجَرُ يُطافُ حولَه سِوَى العبوديةِ المحضةِ والتعظيمِ الخالصِ للهِ تعالى!

وفي التلبيةِ التي هي شعارُ الحجِّ أعظمُ عباراتِ الثناءِ والتعظيمِ للهِ U: **«لبيك اللهُمَّ لبيك، لبيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكُ، لا شريكَ لك»**.

ذكر ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ في معنى التلبيةِ كلامًا جميلًا نذكرُ منهُ ما يدلُّ على تعظيمِ الربِّ تعالى حيثُ ذكرَ من مَعَانيها: إجابةً لك بعدَ إجابةٍ، أو انقيادًا لك بعد انقيادٍ، أي انقدتُ لك، وَسَعَتْ نفسي خاضعةً ذليلةً، أو حبًّا لك بعد حبٍّ، أو أخلَصْتُ لُبِّي وقَلْبِي لك، فهي شعارُ التوحيدِ ملةِ إبراهيمَ الذي هو روحُ الحجِّ ومقصدُه، بلْ روحُ العباداتِ كلِّها والمقصودُ منها، ولهذا كانت التلبيةُ مفتاحَ هذه العبادةِ التي يُدْخَلُ فيها بها.

وكذلك فإنها مشتملةٌ على الاعترافِ للهِ بالنعمةِ كلِّها ولهذا عَرَّفَها باللامِ

---

(١٧) البخاري (١٥٤٩)، مسلم (١١٨٤)، أبو داود (١٧٤٧).

المفيدةِ للاستغراقِ أي النعمُ كلُّها لك وأنت مُوليها والمنعمُ بها.

ومشتملةٌ كذلك على الاعترافِ بأن المُلْكَ كلّه للهِ وحده، فلا مُلْكَ على الحقيقةِ لغيره.

واللهُ سبحانه يفرِّقُ في صفاتِه بين الملكِ والحمدِ، وسَوَّغَ هذا المعنى أنّ اقترانَ أحدُهُما بالآخرِ من أعظمِ الكمالِ والملكِ. والملكُ وحدَه كمالٌ، والحمدُ كمالٌ، واقترانُ أحدِهما بالآخرِ كمالٌ، فإذا اجْتمعَ الملكُ المتضمِّنُ للقدرةِ، مع النعمةِ المتضمِّنةِ لغايةِ النفعِ والإحسانِ والرحمةِ، مع الحمدِ المتضمِّنِ لعامةِ الجلالِ والإكرامِ ا لداعِي إلى محبَّتِه، كان في ذلك من العظمةِ والكمالِ والجلالِ ما هو أولى به وهو أهلُه»[١٨].

* * *

(١٨) تهذيب سنن أبي داود (٢٢٤/١-٢٢٩) باختصار.

حقيقةُ تعظيمِ الله تعالى

ذكرَ الهرويُّ رحمهُ الله في (منازلِ السائرينَ) حقيقةَ تعظيمِ اللهِ تعالى فقال: «تعظيمُ الحقِّ سبحانه هو ألا يجعلَ دونَه سببًا، ولا يَرَى عليه حقًّا، أو ينازَع له اختيارًا».

وهذا من دُرَر كلامِه رحمه الله، وقد شَرَحه الإمامُ ابنُ القيمِ فقال: «هذه الدرجةُ تتضمنُ تعظيمَ الحاكمِ سبحانه صاحبَ الخلقِ والأمرِ... وذكر من تعظيمِه ثلاثةَ أشياءَ:

إحداها: أن لا تجعلَ دونَه سببًا، أي لا تجعَلْ للوصْلةِ إليه سببًا غيرَه، بل هو الذي يوصِلُ عبدَه إليه، فلا يوصِلُ إلى اللهِ إلا اللهُ، ولا يقرِّبُ إليه سِوَاه، ولا يُدِني إليه غيرُه، ولا يُتَوصلُ إلى رضاهُ إلا به، فما دلّ على اللهِ إلا اللهُ، ولا هَدَى إليه سِواه، ولا أَدْنَى إليه غيرُه، فإنه سبحانَه هو الذي جعلَ السببَ سببًا، فالسببُ وسببيتُه وإيصالُه كلُّه خلقُه وفعلُه.

الثاني: أن لا يَرى عليه حقًّا، أي لا تَرى لأحدٍ من الخلقِ لا لك ولا لغيرِك حقًّا على اللهِ، بل الحقُّ للهِ على خلقِه وفي أثرٍ إسرائيلي: أن داودَ عليه السلامُ قال: يا ربّ بحقِّ آبائي عليك. فأوْحَى اللهُ إليه: يا داودُ! أيُّ حقٍّ لآبائِك عليَّ؟ ألستُ أنا الذي هديتُهم ومننْتُ عليهم واصطفيتُهم ولِيَ الحقُّ عليهم.

وأما حقوقُ العبيدِ على اللهِ تعالى؛ من إثابةٍ لمطيعِهم، وتوبتِه على تائِبهم، وإجابَتِه لسائِلِهم، فتلك حقوقٌ أحقَّها اللهُ سبحانه على نفسِه بحكمِ وعدِهِ وإحسانِه، لا أنّها حقوقٌ أحقُّوها هم عليه، فالحقُّ في الحقيقةِ للهِ على عبدِه. وحقُّ العبدِ عليه هو

ما اقتَضَاه جودُه وبرُّه وإحسانُه إليه بمحضِ جودِه وكرمِه، هذا قولُ أهلِ التوفيقِ والبصائرِ.

الثالث: وأما قولُه: ولا ينازِعُ لهُ اختيارًا، أي إذا رأيتَ اللهَ **U** قد اختارَ لك، أو لغيرِك شيئًا؛ إما بأمرِه ودينِه، وإما بقضائِهِ وقدرِه، فلا تنازع اختيارَه، بل ارضَ باختيارِ ما اختارَه لك فإن ذلك من تعظيمِه سبحانه. ولا يَرِدُ عليه قَدَرُه عليه من المعاصي، فإنه سبحانه وإن قَدَّرَها لكنه لم يخترْها له، فمنازَعتُها غيرُ اختيارِه من عبدِه، وذلك من تمامِ تعظيمِ العبدِ له سبحانه»[١٩].

والمؤمنُ ــ من تعظيمِ ربّه تبارك وتعالى ــ يرى الخيرَ في كلّ ما يأتي به اللهُ **I** ، ويعلَم أنّ الله تعالى يريدُ به الخيرَ واليسرَ والفلاحَ الذي قد يأتي في ثوبِ البلاءِ والشدةِ والضيقِ، ولذلك قال النبيُّ **r** : «**عجبًا لأمرِ المؤمنِ إن أمرَه كلَّه خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمنِ، إن أصابتْه سراءُ شَكَرَ فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضَرَاءُ صَبَرَ فكانَ خيرًا له**»[٢٠].

إن غيرَ المؤمنِ لا يصيبُه من هذا الخيرِ شيءٌ لأنه لا يعظمُ اللهَ تعالى ولا يرضَى بقضائِه، ويرى لنفسِه الحقَّ على اللهِ تعالى، كما قالَ صاحبُ الجنتينِ: ﴿**وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا**﴾ [الكهف:٣٦].

أما المؤمنُ المعظِّمُ لربِّه ــ تبارك وتعالى ــ فإنَّه يرضى بما قدَّرَهُ الله عليه، ويصبِرُ على البلاءِ، ويسألُ ربَّه أن يرفَعَ عنه هذا البلاءَ وأن يثبِّتَه على الحقِّ، كما أنه

---

(١٩) مدارج السالكين (٢/٥٠١).
(٢٠) أخرجه مسلم (٥٣١٨).

يعودُ باللائمةِ في نزولِ هذا البلاءِ على نفسِه، ويعلمُ أنه مستحقٌّ له وأن اللهَ U لم يظلمْهُ وإنما ابتلاهُ بذنوبِه تنبيهًا وإيقاظًا حتى يتدارَكَ أمرَهُ، ويصلحَ شأنَهُ، كلُّ ذلك لأنه لا يرى لنفسِه حقًّا على الله تعالى كما قال الناظمُ وأحسن:

ما للعبادِ عليه حـــقٌّ واجـــبُ ... كلّا ولا ســـعيٌ لديـــه ضـــائعُ

إن عُذِّبُوا فبعدلِـــه أو نُعِّمـــوا ... فبفَضْلِهِ وهو الكـــريمُ الواســـعُ

* * *

من معاني اسم الله (العظيم)

من أسمائِه تعالى: (العظيم) قال تعالى: ﴿**وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحاقة:٣٣].

قالَ الزجاجُ: العظيمُ: المعظَّمُ في صفةِ اللهِ تعالى يفيدُ عِظَمَ الشأنِ والسلطانِ، وليس المرادُ به وصفَه بعظمِ الأجزاءِ لأن ذلك من صفاتِ المخلوقينَ تعالى الله عن ذلك علوًّا[٢١].

قال الشيخُ السعديُّ رحمه الله تعالى: «العظيمُ الجامعُ لجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ، والمجدِ والبهاءِ الذي تحبُّه القلوبُ، وتعظِّمُه الأرواحُ، ويعرفُ العارفونَ أنَّ عظمةَ كلِّ شيءٍ، وإن جَلَّتْ في الصفةِ، فإنها مُضْمَحِلةٌ في جانبِ عظمةِ العليِّ العظيمِ.

واللهُ تعالى عظيمٌ له كلُّ وصفٍ ومعنًى يوجبُ التعظيمَ، فلا يقدرُ مخلوقٌ أنْ يُثْنِيَ عليه كما ينبغي له، ولا يُحصِي ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسِه، وفوقَ ما يُثْنِي عليه عبادُه.

واعلمْ أن مَعَانِي التعظيمِ الثابتةِ للهِ وحدَه نوعانِ:

أحدُهما: أنه موصوفٌ بكلِّ صفةِ كمالٍ، وله من ذلك الكمالِ أكملُه، وأعظمُه وأوسعُه، فلهُ العلمُ المحيطُ، والقدرةُ النافذةُ والكبرياءُ والعظمةُ، ومن عظمتِه أنَّ السمواتِ والأرضَ في كفِّ الرحمنِ أصغرُ من الخردلَةِ كما قال ابنُ عباسٍ وغيرُه، وقال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

---

(٢١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص:٤٦).

وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾** [فاطر:٤١]، وقال تعالى وهو العليُّ العظيمُ: **﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾** الآية [الشورى:٥].

وفي الصحيحِ عنه ﷺ: «**إنّ اللهَ يقولُ: الكبرياءُ ردائِي والعظمةُ إزاري، فمن نازَعَني واحدًا منهما عذبتُه**»[٢٢]، فللهِ تعالى الكبرياءُ والعظمةُ، والوصفانِ اللذانِ لا يُقْدَرُ قدرُهما ولا يُبْلَغُ كُنْهَهُمَا.

النوعُ الثاني من معاني عظمتِه تعالى: أنّه لا يستحقُّ أحدٌ من الخلقِ أن يعظِّمَ كما يعظَّمَ اللهُ؛ فيستحقُّ ــ جلّ جلالُه ــ من عبادِهِ أن يعظِّمُوه بقلوبِهم، وألسنتِهم، وجوارحِهم؛ وذلك ببذلِ الجهدِ في معرفتِه، ومحبتِه، والذلِّ له، والانكسارِ له، والخضوعِ لكبريائِه، والخوفِ منه، وإعمالِ اللسانِ بالثناءِ عليه، وقيامِ الجوارحِ بشكرِه وعبوديتِه. ومن تعظيمِه: أن يُتّقى حقّ تقاتِه؛ فيطاعَ فلا يُعْصَى، ويذكرَ فلا يُنسى، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ.

ومن تعظيمِه: تعظيمُ ما حرَّمَهُ وشرعَهُ من زمانٍ ومكانٍ وأعمالٍ: **﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** [الحج:٣٢]، **﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾** [الحج:٣٠].

ومن تعظيمِه: أن لا يُعترضُ على شيءٍ مما خَلَقَهُ أو شَرَعَهُ»[٢٣].

وعظمةُ اللهِ سبحانَه وتعالى لا تكيِّفُ ولا تحدُّ، ولا تمثّلُ بشيءٍ، ويجبُ على

---

(٢٢) رواه أبو داود (٣٥٦٧)، وابن ماجه (٤١٦٤).

(٢٣) الحق الواضح المبين (ص:٢٧-٢٨).

العبادِ أن يعلَمُوا أنه سبحانَهُ عظيمٌ كمَا وصفَ نفسَهُ بذلك، ووصفَهُ به رسولُه r بلا كيفيةٍ ولا تحديدٍ، وقدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ r أنه قالَ: «**تفكرُوا في آلاءِ اللهِ ولا تَفَكَّرُوا في اللهِ**»، وفي لفظ: «**تَفكّروا في خلقِ اللهِ ولا تَفَكّرُوا في اللهِ**».

* * *

من شواهد العظمة

هذا الكونُ مليءٌ بالشواهدِ التي تدلُّ على عظمةِ الخالقِ I ، وكل شاهدٍ من هذه الشواهدِ يوصِلُ إلى الذي يليه حتى يصلَ الأمرُ إلى الشاهدِ الأكبرِ، وهو شهودُ جلالِ الربِّ ــ تبارك وتعالى ــ وعظمتِهِ، وقديمًا قال الأعرابيُّ: «البعرةُ تدلُّ على البعيرِ، ومسيرُ الأقدامِ يدلُّ على المسيرِ، فسماءٌ ذاتُ أبراجٍ وأرضٌ ذاتُ فجاجٍ، وبحارٌ ذاتُ أمواجٍ، أفلا يدلُّ ذلك على اللطيفِ الخبيرِ».

ولنتأملْ معًا رحلةَ الشواهدِ التي يحكيها لنا الإمامُ ابنُ القيمِ رحمه اللهُ وهي رحلةُ التأملِ والتفكرِ والنظرِ بعينِ البصيرةِ والمعاينةِ لكلِّ ما حولَنا في هذه الدنيا، ولكلِّ ما سيكونُ في الآخرةِ من مشاهدَ وأهوالٍ وصولًا إلى دارِ المتقينَ الجنةِ، ودارِ الكافرينَ النارِ، ثمّ مشاهدُ عذابِ أهلِ النارِ وأعظمُهُ حجبُهم عن اللهِ تعالى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾ [المطففين:١٥]، ونعيمِ أهلِ الجنةِ وأعظمُه رؤيةُ الربِّ العظيمِ في يومِ المزيدِ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، ثم الانتقالُ بعد ذلك إلى مشاهدِ صفاتِ هذا الإلهِ العظيمِ والربِّ الكريمِ، فيكونُ هذا أعظمَ المشاهدِ في قلبِ المؤمنِ. قال الإمامُ ابن القيم(٢٤):

١- شاهد الدنيا:

فأولُ شواهدِ السائرِ إلى اللهِ والدارِ الآخرةِ: أن يقومَ به شاهدٌ من الدنيا وحقارتِها، وقلةِ وفائِها، وكثرةِ جفائِها، وخسةِ شركائِها، وسرعةِ انقضائِها. ويرى

---

(٢٤) مدارج السالكين (٣/٢٥٠).

أهلَها وعشاقَها صَرعَى حولَها، قد بَدَّعَتْ بهم[٢٥]، وعذبَتْهم بأنواعِ العذابِ، وأذاقتْهم أمرَّ الشرابِ. أضحكَتْهم قليلًا، وأبكَتْهم طويلًا. سَقَتْهم كؤوسَ سُمِّها، بعد كؤوسِ خمرِها. فسكروا بحبِّها. وماتوا بهجرِها.

٢- شاهد الآخرة:

فإذا قام بالعبدِ هذا الشاهدُ منها: ترحَّل قلبُه عنها، وسافر في طلبِ الدارِ الآخرةِ وحينئذٍ يقومُ بقلبِه شاهدٌ من الآخرةِ ودوامِها، وأنها هي الحيوانُ حقًا. فأهلُها لا يرتحلون منها، ولا يظْعَنون عنها، بل هي دارُ القرارِ، ومحطُّ الرحالِ، ومنتهى السيرِ، وأن الدنيا بالنسبةِ إليها ـــ كما قال النبيِّ ﷺ: «**ما الدُّنيا في الآخرةِ إلا كما يجعلُ أحدُكم إصبعَه في اليمِّ، فلينظُرْ بم ترجعُ؟**»[٢٦]، وقال بعضُ التابعينَ: ما الدنيا في الآخرةِ إلا أقلُّ من ذرةٍ واحدةٍ في جبالِ الدنيا.

٣- شاهد النار:

ثم يقومُ بقلبِه شاهدٌ من النارِ، وتَوَقُّدِها واضطرامِها، وبُعْدِ قعرِها، وشدةِ حَرِّها، وعظيمِ عذابِ أهلِها. فيشاهدُهم وقد سِيقوا إليها سُودَ الوجوهِ، زُرقَ العيونِ، والسلاسلُ والأغلالُ في أعناقِهم. فلما انتهوا إليها: فُتِّحتْ في وجوهِهم أبوابُها. فشاهدوا ذلك المنظرَ الفظيعَ، وقد تقَطَّعتْ قلوبُهم حسرةً وأسفًا ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا**﴾ [الكهف:٥٣]، فأراهم شاهدُ الإيمانِ، وهم إليها يُدفعونَ. وأتى النداءُ من قِبَلِ ربِّ العالمينَ ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ**﴾ [الصافات:٢٤]، ثم قيلَ لهم ﴿ **هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤)**

(٢٥) بدّعت بهم: خذلتهم.

(٢٦) مسلم (٢٨٥٨)، الترمذي (٢٣٢٣)، ابن ماجه (٤١٠٨).

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٤-١٦]، فيراهم شاهدُ الإيمان. وهم في الحميمِ، على وجوهِهم يُسحبونَ. وفي النارِ كالحطبِ يُسجَرون ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ [الأعراف:٤١]، فبئسَ اللحافُ وبئسَ الفراشُ.

وإن استغاثوا من شدةِ العطشِ ﴿**يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾ [الكهف:٢٩]، فإذا شربوه قطّع أمعاءَهم في أجوافِهم، وصَهَرَ ما في بطونهم.

شرابُهم الحميمُ، وطعامُهم الزّقّومُ ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

فإذا قام بقلبِ العبدِ هذا الشاهدُ: انخلعَ من الذنوبِ والمعاصي، واتباعِ الشهواتِ. لبسَ ثيابَ الخوفِ والحذرِ، وأخصبَ قلبَهُ من مطرِ أجفانِهِ، وهانَ عليه كلُّ مصيبةٍ تصيبُهُ في غيرِ دينِهِ وقلبِهِ.

وعلى حَسَبِ قوةِ هذا الشاهدِ يكونُ بعدُه من المعاصي والمخالفاتِ. فيذيبُ هذا الشاهدُ من قلبِه الفضلاتِ، والموادَّ المهلكةَ، وينضجُها ثم يخرجُها. فيجدُ القلبُ لذةَ العافيةِ وسُرورَها.

٤- شاهد الجنة:

فيقومُ به بعد ذلك: شاهدٌ من الجنةِ، وما أعدَّ اللهُ لأهلِها فيها، مما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمِعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، فضلًا عمَّا وصَفَه اللهُ لعبادِهِ على لسانِ رسولِه من النعيمِ المفصَّلِ، الكفيلِ بأعلى أنواعِ اللذَّةِ، منَ المطاعمِ والمشاربِ، والملابسِ والصورِ، والبهجةِ والسرورِ. فيقومُ بقلبِهِ شاهدُ دارٍ قد جعلَ اللهُ النعيمَ المقيمَ الدائمَ بحذافِيرِه فيها.

تربتُها المسكُ، وحصباؤُها الدُّرُّ، وبناؤُها لَبِنُ الذّهبِ والفضةِ، وقَصَبُ اللؤلؤِ، وشرابُها أحلى من العسلِ، وأطيبُ رائحةً من المسكِ، وأبردُ من الكافورِ، وألذُّ من الزنجبيلِ، ونساؤُها لو بَرَزَ وجهُ إحداهُنِّ في هذه الدنيا لغلبَ على ضوءِ الشمسِ، ولباسُهم الحريرُ من السندسِ والإستبرقِ، وخدمُهم ولدانٌ كاللؤلؤِ المنثورِ، وفاكهتُهم دائمةٌ، لا مقطوعةٌ لا ممنوعةٌ، وفُرشٌ مرفوعةٌ. وغذاؤُهم لحمُ طيرٍ مما يَشْتهونَ، وشرابُهم عليه خمرةٌ لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزفونَ وخُضْرَتُهُم فاكهةٌ مما يتخيرون، وشاهِدُهم حورٌ عينٌ كأمثالِ اللؤلؤِ المكنونِ، فهم على الأرائكِ مُتكؤونَ، وفي تلك الرياضِ يُحبرونَ، وفيها ما تشتهي الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ، وهم فيها خالدونَ.

٥- شاهد يوم المزيد:

فإذا انضم إلى هذا الشاهدِ: شاهدُ يومِ المزيدِ، والنظرُ إلى وجهِ الربِّ جلَّ جلالُه، وسماعُ كلامِهِ منه بلا واسطةٍ. كما قال النبيُّ ﷺ: «**بينما أهلُ الجنةِ في نعيمِهم، إذ سطَعَ لهم نورٌ. فرفَعُوا رؤُوسَهم. فإذا الربُّ تعالى قد أشرَفَ عليهم من فوقِهم. وقال: يا أهلَ الجنةِ، سلامٌ عليكم** ـــ ثم قرأ قولَه تعالى: ﴿**سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**﴾ [يس:٥٨] ـــ **ثم يَتَوارى عنهم. وتبقَى رحمتُه وبركتُه عليهم في**

ديارِهم»[٢٧].

فإذا انضمَّ هذا الشاهدُ إلى الشواهدِ التي قبلَه: فهناك يسيرُ القلبُ إلى ربِّه أسرعَ من سيرِ الرياحِ في مهابِّها، فلا يلتفتُ في طريقِه يمينًا ولا شمالًا.

٦- شاهدُ جلالِ الرب وعظمته:

هذا، وفوقَ ذلك: شاهدٌ آخرَ تضمحِلُّ فيه هذه الشواهدُ، ويغيبُ به العبدُ عنها كلِّها. وهو شاهدُ جلالِ الربِّ تعالى، وجمالِه وكمالِه، وعزِّه وسلطانِه، وقيوميتِه وعلوِّه فوقَ عرشِه، وتكلُّمِه بكتبِه وكلماتِ تكوينِه، وخطابِه لملائكتِه وأنبيائِه.

فإذا شاهدَه شاهدَ بقلبِه قيومًا قاهرًا فوقَ عبادِه، مستويًا على عرشِه، منفردًا بتدبيرِ مملكتِه، آمرًا ناهيًا، مرسِلًا رسلَه، ومُنْزِلًا كتبَه. يرضَى ويغضَبُ، ويثيبُ ويعاقبُ. ويعطِي ويمنعُ، ويعزُّ ويذلُّ. ويحبُّ ويغضبُ. ويرحمُ إذا استُرحِمَ، ويغفرُ إذا استُغفِرَ، ويعطِي إذا سُئِلَ، ويجيبُ إذا دُعِيَ، ويقيلُ إذا استُقيلَ.

أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأعزُّ من كلِّ شيءٍ، وأقدرُ من كلِّ شيءٍ، وأعلمُ من كلِّ شيءٍ، وأحكمُ من كلِّ شيءٍ.

فلو كانت قُوى الخلائقِ كلِّهم على واحدٍ منهم، ثم كانوا كلُّهم على تلك القوةِ، ثم نُسبت تلك القوى إلى قوةِ اللهِ تعالى لكانتْ دونَ قوةِ البعوضةِ بالنسبةِ إلى قوةِ الأسدِ.

ولو قُدِّرَ جمالُ الربِّ تعالى لكان دونَ سراجٍ ضعيفٍ بالنسبةِ إلى عينِ الشمسِ.

---

(٢٧) ابن ماجه (١٨٤)، باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية.

ولو كانَ علمُ الأولينَ، والآخرينَ على رجلٍ منهم، ثم كان كلُّ الخلقِ على تلكَ الصفةِ، ثم نُسبَ إلى علمِ الربِّ تعالى لكانَ ذلك بالنسبةِ إلى علمِ الربِّ كنقرةِ عُصفورٍ في بحرٍ.

وهكذا سائرُ صفاتِهِ، كسمعِه وبصرِه، وسائرِ نعوتِ كمالِه. فإنَّه يسمعُ ضجيجَ الأصواتِ باختلافِ اللغاتِ، على تفننِ الحاجاتِ. فلا يشغَلُه سمعٌ عن سمعٍ. ولا تُغلطُه المسائلُ. ولا يتبرمُ بإلحاحِ المُلِحِّينَ.

سواءٌ عندَه من أسرَّ القولَ ومن جهرَ به. فالسِّر عنده علانيةٌ. والغيبُ عنده شهادةٌ.

يرى دبيبَ النملةِ السوداءِ، على الصخرةِ الصماءِ، في الليلةِ الظلماءِ. ويرى نياطَ عروقِها، ومجاري القوتِ في أعضائِها.

يضعُ السماواتِ على إصبعٍ من أصابعِ يدِه، والأرضَ على إصبعٍ، والجبالَ على إصبعٍ، والشجرَ على إصبعٍ، والماءَ على إصبعٍ. ويقبضُ سماواتِه بإحْدَى يديه، والأرضينَ باليدِ الأخرى. فالسماواتُ السبعُ في كفِّه كخردلةٍ في كفِّ العبدِ.

ولو أنَّ الخلقَ كلَّهم من أولِهم إلى آخرِهم قاموا صفًّا واحدًا ما أحاطُوا باللهِ U. لو كشفَ الحجابَ عن وجهِه لأحرقَتْ سُبحاتُه ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه.

فإذا قامَ بقلبِ العبدِ هذا الشاهدُ: اضْمَحَلَّتْ فيهِ الشواهدُ المتقدمةُ، من غيرِ أنْ تعدَمَ. بل تصيرُ الغلبةُ والقهرُ لهذا الشاهدِ، وتندرجُ فيه الشواهدُ كلُّها. ومَنْ هذا شاهِدُه: فله سلوكٌ وسيرٌ خاصٌّ، ليسَ لغيرِه ممن هو عن هذا في غفلةٍ، أو معرفةٍ مجملةٍ.

فصاحبُ هذا الشاهدِ: سائرٌ إلى اللهِ في يقظتِهِ ومنامِهِ، وحركتِهِ وسكونِهِ وفطرِهِ وصيامِهِ، لهُ شأنٌ وللناسِ شأنٌ. هو في وادٍ والنَّاسُ في وادٍ.

٧- شاهدُ التوحيدِ:

فإذا طلعتْ شمسُ التوحيدِ، وباشَرَتْ جوانُبَها الأرواح، ونورُها البصائِرَ، تجلّتْ بها ظلماتُ النفسِ والطبعِ، وتحركتْ بها الأرواحُ في طلبِ من ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ، فسافرَ القلبُ في بيداءِ الأمرِ، ونَزَلَ منازلَ العبوديةِ، مترلًا مترلًا، فهو ينتقلُ من عِبادةٍ إلى عبادةٍ، مُقيم على معبود واحد.

فلا تزالُ شواهدُ الصفاتِ قائمةً بقلبِهِ، توقظُه إذا رقدَ، وتذكِّرُهُ إذا غفلَ، وتحدُو به إذا سارَ، وتقيمُهُ إذا قعدَ.

إن قام بقلبه شاهدٌ من الربوبيةِ والقيوميةِ رأى أنّ الأمرَ كلّهُ للهِ. ليس لأحدٍ معه من الأمرِ شيءٌ ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**﴾ [فاطر:٢-٣]. ﴿ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [يونس:١٠٧]، ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ [الزمر:٣٨]، ﴿**قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ**

مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩].

إن قامَ بقلبه شاهدٌ من الإلهيةِ: رأى في ذلك الشاهدِ الأمرَ والنهيَ، والنبواتِ، والكتبَ والشرائعَ، والمحبةَ والرضى، والكراهةَ والبغضَ، والثوابَ والعقابَ، وشاهدَ الأمرَ نازلًا ممن هو مستوٍ على عرشِهِ، وأعمالُ العبادِ صاعدةٌ إليهِ، ومعروضة عليه. يجزي بالإحسانِ منها في هذه الدارِ وفي العقبى نضرةً وسرورًا، ويقدمُ إلى ما لم يكنْ عن أمرِهِ وشرعِهِ منها فيجعلُهُ هباءً منثورًا.

وإن قامَ بقلبه شاهدٌ من الرحمةِ: رأى الوجودَ كلّه قائمًا بهذهِ الصفةِ، قدْ وَسِعَ من هي صفتُه كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، وانتهتْ رحمتُهُ إلى حيثُ انتهى علمُه، فاستوى على عرشِهِ برحمتِهِ، لتسعَ كلَّ شيءٍ، كما وَسِعَ عرشُهُ كلَّ شيءٍ.

وإنْ قامَ بقلبه شاهدُ العِزّةِ والكبرياءِ، والعظمةِ والجبروتِ: فله شأنٌ آخر.

وهكذا جميعُ شواهدِ الصفاتِ، فما ذكرنا إنما هو أدنى تنبيهٍ عليها. فالكشفُ والعيانُ والمشاهدةُ لا تتجاوزُ الشواهدَ البتةَ.

أإله مع الله؟

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ[٢٨]: «لا ريبَ أن اللهَ ربُّ العالمينَ، ربُّ السمواتِ والأرضينَ وما بينهما وربُّ العرشِ العظيمِ، ربُّ المشرقِ والمغربِ لا إله إلا هو فاتخذْه وكيلًا، ربُّكم وربُّ آبائِكم الأولين، ربُّ الناسِ مَلِكُ الناسِ إلهُ الناسِ. وهو خالقُ كلِّ شيءٍ وهو على كلِّ شيءٍ وكيلٌ.

خلقَ الزوجينِ الذكرَ والأنثى، من نطفةٍ إذا تُمنى، وهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه، وهو مالكُ المُلك؛ يُؤتي المُلكَ من يشاءُ، وينزعُ الملكَ ممَّنْ يشاءُ، ويعزُّ من يشاءُ، ويذلُّ من يشاءُ، بيدِه الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحتَ الثرى، الرحمنُ على العرشِ استوى، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [هود:٥٦].

قلوبُ العبادِ ونواصِيهم بيدِه، وما منْ قلبٍ إلّا وهو بينَ إصبعينِ من أصابعِ الرحمنِ، إن شاء أن يُقيمَهُ أقامَه، وإن شاء أن يُزيغَهُ أزاغَهُ.

وهو الذي أضحَكَ وأبكَى، وأغنَى وأقنَى، وهو الذي يُرسلُ الرياحَ بشرًا بين يديْ رحمتِه، ويُنزلُ من السماءِ ماءً فيُحيي به الأرضَ بعدَ موتِها، ويبُثُّ فيها من كلِّ دابَّةٍ. وهو ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:١]، ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**

---

(٢٨) مجموع الفتاوى (٢/٣٩٨-٤٠٠) دار الوفاء.

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥]، **﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآَخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [القصص:٧٠].

وهو الحيُّ القيومُ الذي لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ، وهو القائمُ بالقسطِ، القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسَبَتْ، الخالقُ البارئُ المصورُ. **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾** [هود:٦]، ما شاءَ اللهُ لا قوةَ إلا باللهِ، فما شاء اللهُ كان، وما لم يشأْ لم يكنْ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، ولا ملجأَ منه إلا إليه.

فهذه المعاني وما أشبهَها من معاني ربوبيته ومُلكِه، وخلقِه ورزقِه، وهدايتِه ونصرِه، وإحسانِه وبرِّه، وتدبيرِه وصنعِه، ثمّ ما يتصلُ بذلك من أنه بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وعلى كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنّه سميعٌ بصيرٌ، لا يشغَلُه سمعٌ عن سمعٍ، ولا تُغلِطُه المسائلُ، ولا يتبرمُ بإلحاحِ المُلحِّينَ، يُبصرُ دبيبَ النملةِ السوداءِ، في الليلةِ الظلماءِ، على الصخرةِ الصماءِ.

فهذا كلُّه حقٌّ، وهو محضُ توحيدِ الربوبيةِ؛ وهو مع هذا قد أعطى كلَّ شيءٍ خلقَه ثمّ هَدَى، وأحسنَ كلَّ شيءٍ خَلَقهُ، وبدأَ خلقَ الإنسانِ من طينٍ.

وهذا صنعُ اللهِ، الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ، والخيرُ كلُّه بيديْهِ، وهو أرحمُ الراحمينَ، وهو أرحمُ بعبادِهِ من الوالدةِ بولدِهَا، كما أقسمَ على ذلك النبيُّ ﷺ فقالَ: «**واللهِ للهُ أرحمُ بعبادِه من هذه الوالدةِ بولَدِها**»[٢٩] إلى نحوِ هذه المعاني، التي تقتضي شمولَ حكمتِه وإتقانِه وإحسانِه خَلْقَ كلِّ شيءٍ وسعةَ رحمتِه وعظمتَها وأنها سبقتْ غضبَه

(٢٩) البخاري (٥٩٩٩)، مسلم (٢٧٥٤).

كلٌّ هذا حقٌّ»[٣٠].

فاللهُ U هو مالكُ الملكِ الذي ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [سبأ:٣]، وإذا نظر العبدُ في تدبيرِ اللهِ تعالى لهذا الكونِ كاد عقلُه يطيشُ من هذه القدرةِ الباهرةِ، والقوةِ القاهرةِ، والرحمةِ الظاهرةِ، والإتقانِ والإحسانِ والحكمةِ في كلِّ شيءٍ.

* * *

(٣٠) مجموع الفتاوى (٢/٤٠٠).

الطريق إلى تعظيم الله تعالى

إن تعظيمَ اللهِ تعالى لا يكونُ إلّا بعدَ معرفةِ اللهِ ▌ بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه ونعوتِ جلالِه، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فلا بدَّ من العلمِ والمعرفةِ، فهي النورُ الذي يضيءُ لك طريقَ التعظيمِ والإجلالِ.

فاللهُ ▌ عظيمٌ في ذاتِه، عظيمٌ في أسمائِه، عظيمٌ في صفاتِه، عظيمٌ في ملكِه وسلطانِه، عظيمٌ في خلقِه وأمرِه، عظيمٌ في دينِه وشرعِه، عظيمٌ في علمِه وكلماتِه قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧]، هذا علمُ اللهِ تعالى فماذا عن قدرته؟ قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان:٢٨-٣١].

إنها العظمةُ المطلقةُ والقدرةُ المطلقةُ والعلوُّ المطلقُ، والجلالُ المطلقُ، والقهرُ المطلقُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

قال الإمامُ ابنُ القيمِ في ارتباطِ التعظيمِ بالمعرفةِ: «وهذه المنزلةُ ــ أي منزلةُ تعظيمِ اللهِ U ــ تابعةٌ للمعرفةِ، فعلى قدرِ المعرفةِ يكونُ تعظيمُ الربِّ تعالى في القلبِ، وأعرفُ الناسِ به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ اللهُ تعالى من لم يعظِّمْهُ حقَّ عظمَتِهِ، ولا عَرَفَهُ حقَّ معرفتِهِ، ولا وَصَفَهُ حقَّ وصفِهِ، فقال تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح:١٣]»(٣١).

وقال أبو القاسمِ إسماعيلُ الأصبهانيُّ في صفةِ العظمةِ: «العظمةُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ، لا يقومُ لها خلقٌ، واللهُ تعالى خلقَ بين الخلقِ عظمةً يعظِّمُ بها بعضُهم بعضًا، فمن الناسِ من يعظَّم لمالٍ، ومنهم من يعظَّم لفضلٍ، ومنهم من يعظَّم لعلمٍ، ومنهم من يعظَّم لسلطانٍ، ومنهم من يعظَّم لجاهٍ، وكلُّ واحدٍ من الخلقِ إنما يعظَّمُ لمعنى دونَ معنىً واللهُ U يعظَّمُ في الأَحوالِ كلِّها، فينبغي لمن عَرَفَ حقَّ عظمةِ اللهِ أن لا يتكلمَ بكلمةٍ يكرهُها اللهُ، ولا يرتكبَ معصيةً لا يرضاها اللهُ، إذ هو القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ»(٣٢)، يشير بذلك رحمه اللهُ إلى أنّ المعصيةَ تُضْعِفُ من تعظيمِ العبدِ لربِّه، وقد تذهبُ التعظيمَ من قلبِه بالكليةِ.

* * *

(٣١) مدارج السالكين (٢/٤٩٥).

(٣٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٤١، ١٤٢).

تعظيمُ الأمرِ والنهي

وهذا يدلُّ على أن أولَ مراتبِ التعظيمِ هي تعظيمُ الأمرِ والنهيِ، وقد ذكر ذلك ابنُ القيمِ فقال: «تعظيمُ الأمرِ والنهيِ هو ناشئٌ عن تعظيمِ الآمرِ الناهي فإن اللهَ تعالى ذمَّ من لا يعظِّمهُ ولا يعظِّمُ أمرَهُ ونهيَهُ، قال I : ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح:١٣]، قالوا في تفسيرِها: ما لكم لا تخافونَ للهِ تعالى عظمةً.

وما أحسنَ ما قالَه شيخُ الإسلامِ في تعظيمِ الأمرِ والنهيِ: «هو ألا يُعَارَضَا بترخصٍ جافٍ، ولا يُعرِّضا لتشديدٍ غالٍ ولا يُحْمَلَا على علةٍ توهنُ الانقيادَ».

ومعنى كلامِه: أن أولَ مراتبِ تعظيمِ الحقِّ U: تعظيمُ أمرِه ونهيِه، وذلك لأن المؤمنَ يعرِفُ ربَّه U برسالتِه التي أرسلَ بها رسولَ اللهِ r إلى كافةِ الناسِ، ومقتضاها: الانقيادُ لأمرِهِ ونهيِهِ، وإنما يكونُ ذلك بتعظيمِ أمرِ اللهِ U واتباعِه، وتعظيمِ نهيِه واجتنابِه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه واجتنابه دالًّا على تعظيمِه لصاحبِ الأمرِ والنهيِ، ويكونُ بحسبِ هذا التعظيمِ من الأبرارِ المشهودِ لهم بالإيمانِ والتصديقِ وصحةِ العقيدةِ، والبراءةِ من النفاقِ الأكبرِ. فإن الرجلَ قد يتعَاطَى فعلَ الأمرِ لنظرِ الخلقِ وطلبِ المنزلةِ والجاهِ عندَهم، ويتّقِي المناهِيَ خشيةَ سقوطِه من أعينِهم، وخشيةَ العقوباتِ الدنيويِّةِ من الحدودِ التي رتَّبَها الشارعُ على المناهِي، فهذا ليس فعلُه وتركه صادرًا عن تعظيمِ الأمرِ والنهيِ، ولا عن تعظيمِ الآمرِ الناهِي»[٣٣].

---

(٣٣) الوابل الصيب (ص:١٧-١٨).

كيف نعرف الله؟[٣٤]

الربُّ تعالى يدعُو عبادَه في القرآنِ إلى معرفتِه من طريقينِ:

أحدُهما: النظرُ في مفعولاتِه.

والثاني: التفكُّرُ في آياتِه وتدبُّرُها.

فتلكَ آياتُه المشهودَةُ، وهذه آياتُه المسموعَةُ المعقولَةُ.

فالنوعُ الأولُ: كقولِه: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**﴾ [البقرة:١٦٤]، إلى آخرها. وقوله: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:١٩٠].. وهو كثيرٌ في القرآنِ.

والثاني: كقولِه: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ [النساء:٨٢]. وقوله: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ**﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص:٢٩]. وهو كثيرٌ أيضًا.

فأمَّا المفعولاتُ، فإنها دالّةٌ على الأفعالِ، والأفعالُ دالّةٌ على الصفاتِ؛ فإنّ المفعولَ يدلُّ على فاعلِ فعلِه، وذلكَ يستلزِمُ وجودَه وقدرتَه ومشيئتَه وعلمَه لاستحالةِ صدورِ الفعلِ الاختياريِّ من معدومٍ أو موجودٍ لا قدرةَ له ولا حياةَ ولا علمَ ولا إرادةَ.

ثم ما في المفعولاتِ من التخصُّصَاتِ المتنوعةِ دالٌّ على إرادةِ الفاعلِ، وأنّ فعلَه

(٣٤) الفوائد لابن القيم (ص:٤٠-٤٢).

ليس بالطبعِ بحيثُ يكونُ واحدًا غيرَ متكررٍ.

وما فيها من المصالحِ والحِكَمِ والغاياتِ المحمودةِ دالٌّ على حكمتِه تعالى.

وما فيها من النفعِ والإحسانِ والخيرِ دالٌّ على رحمتِه.

وما فيها من البطشِ والانتقامِ والعقوبةِ دالٌّ على غضبِه.

وما فيها من الإكرامِ والتقريبِ والعنايةِ دالٌّ على محبتِه.

وما فيها من الإهانةِ والإبعادِ والخذلانِ دالٌّ على بُغضِه ومَقتِه.

وما فيها من ابتداءِ الشيءِ في غايةِ النقصِ والضعفِ ثم سَوْقِهِ إلى تمامِه ونهايتِه دالٌّ على وقوعِ المعادِ.

وما فيها من أحوالِ النباتِ والحيوانِ وتصرُّفِ المياهِ دليلٌ على إمكانِ المعادِ.

وما فيها من ظهورِ آثارِ الرحمةِ والنعمةِ على خلقِه دليلٌ على صحةِ النبوَّاتِ.

وما فيها من الكمالاتِ التي لو عَدِمَتْها كانتْ ناقصةً دليلٌ على أنّ معطي تلكَ الكمالاتِ أحقٌّ بها.

فمفعولاتُه من أدلِّ شيءٍ على صفاتِه وصِدْقِ ما أخبرَتْ به رُسُلُه عنه؛ فالمصنوعاتُ شاهدةٌ تُصَدِّقُ الآياتِ المسموعاتِ، منبهةٌ على الاستدلالِ بالآياتِ المصنوعاتِ. قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت:٥٣]، أي أنّ القرآنَ حقٌّ، فأخبرَ أنّه لا بدّ أن يُريَهُم من آياتِه المشهودةِ ما يبيِّنُ لهم أنّ آياتِه المتلوَّةَ حقٌّ. ثم أخبرَ بكفايةِ شهادتِه على صحةِ خَبَرِه بما أقامَ من الدلائلِ والبراهينِ على صدقِ رسولِه. فآياتُه شاهدةٌ بصدقِه، وهو شاهدٌ بصدقِ

رسولِه بآياتِه. فهو الشاهدُ والمشهودُ له، وهو الدليلُ والمدلولُ عليه. فهو الدليلُ بنفسِه على نفسِه كما قالَ بعضُ العارفينَ: كيفَ أطلبُ الدليلَ على من هو دليلٌ لي على كلِّ شيءٍ؟ فأيُّ دليلٍ طلبتَه عليه فوجودُه أظهرُ منه. ولهذا قال الرُّسُلُ لقومِهم: ﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ**﴾؟ [إبراهيم:١٠]؛ فهو أعرفُ من كلِّ معروفٍ، وأبينُ من كلِّ دليلٍ. فالأشياءُ عُرِفَتْ به في الحقيقةِ، وإنْ كانَ عُرِفَ بها في النَّظَرِ، والاستدلالِ بأفعالِه وأحكامِه عليه.

* * *

معرفةُ جمالِ الله عز وجل[٣٥]

من أعزِّ أنواعِ المعرفةِ: معرفةُ الربِّ سبحانه بالجمالِ، وهي معرفةُ خواصِّ الخلقِ، وكلُّهم عَرَفَهُ بصفةٍ من صفاتِه، وأتمُّهم معرفةً من عَرَفَهُ بكمالِه وجلالِه وجمالِه سبحانه، ليسَ كمثلِه شيءٌ في سائرِ صفاتِه، ولو فَرَضْتَ الخلقُ كلُّهم على أجملِهم صورةً، وكلُّهم على تلكَ الصورةِ، ونَسَبْتَ جمالَهم الظاهرَ والباطنَ إلى جمالِ الربِّ سبحانَه لكانَ أقلَّ من نسبةِ سراجٍ ضعيفٍ إلى قرصِ الشمسِ، ويكفِي في جمالِه أنَّه لو كَشَفَ الحجابَ عن وجْهِه لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُه[٣٦] ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه. ويكفِي في جمالِه أنَّ كلَّ جمالٍ ظاهرٍ وباطنٍ في الدنيا والآخرةِ فمن آثارِ صنعَتِه، فما الظنُّ بمَنْ صدرَ عنه هذا الجمالُ؟!

ويكفِي في جمالِه: أنَّه لَهُ العزَّةُ جميعًا، والقوَّةُ جميعًا، والجودُ كلُّه، والإحسانُ كلُّه، والعلمُ كلُّه، والفضلُ كلُّه، ولِنُورِ وجهِه أَشْرَقَتِ الظلماتُ، كما قالَ النبيُّ ﷺ في دعاءِ الطائفِ: «**أعوذُ بنورِ وجهِكَ الذي أشرقَتْ لهُ الظلماتُ وصلُحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرةِ**»[٣٧].

وقال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: ليسَ عندَ ربِّكُم ليلٌ ولا نهارٌ، نورُ السمواتِ والأرضِ من نورِ وجهِه، فهو سبحانَه نورُ السمواتِ والأرضِ، ويومَ القيامةِ إذا جاء لفصلِ القضاءِ تُشْرِقُ الأرضُ بنُوره.

---

(٣٥) الفوائد (ص:٢٥٨).

(٣٦) (سُبُحاتُ) وجهِ الله تعالى بضمتين: جلالتُه.

(٣٧) رواه الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن جعفر. وهو ضعيف. انظر: تخريج فقه السيرة (١٣١).

ومن أسمائِه الحسنى (الجميلُ). وفي الصحيح عنه r: «**إن اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ**»[٣٨].

وجمالُه سبحانَه على أربعِ مراتِبٍ: جمالُ الذاتِ، وجمالُ الصفاتِ، وجمالُ الأفعالِ، وجمالُ الأسماءِ. فأسماؤُه كلُّها حُسْنَى، وصفاتُه كلُّها صفاتُ كمالٍ، وأفعالُه كلُّها حكمةٌ ومصلحةٌ وعدلٌ ورحمةٌ. وأمَّا جمالُ الذّاتِ، وما هو عليه، فأمرٌ لا يُدْرِكُهُ سِوَاهُ، ولا يعلمُه غيرُه، وليسَ عندَ المخلوقِينَ منه إلا تعريفاتٌ تَعَرَّفَ بها إلى مَنْ أَكْرَمَهُ من عبادِه، فإنّ ذلكَ الجمالَ مصونٌ عن الأغيارِ محجوبٌ بسترِ الرداءِ والإزارِ، كما قال رسوله r فيما يُحْكَى عنه: «**الكبرياءُ رِدَائي، والعظمةُ إزاري**»[٣٩]. ولما كانت الكبرياءُ أعظمُ وأوسعُ كانتْ أَحَقَّ باسمِ الرداءِ؛ فإنه سبحانَه الكبيرُ المتعالِ، فهو سبحانَه العليُّ العظيمُ.

قال ابنُ عباسٍ: حجبَ الذاتَ بالصفاتِ، وحجبَ الصفاتِ بالأفعالِ، فما ظنُّكَ بجمالٍ حُجِبَ بأوصافِ الكمالِ وسُتِرَ بنعوتِ العظمةِ والجلالِ؟!

ومن هذا المعنى يُفْهَمُ بعضُ معاني جمالِ ذاتِه؛ فإنّ العبدَ يترقّى من معرفةِ الأفعالِ إلى معرفةِ الصفاتِ، ومن معرفةِ الصفاتِ إلى معرفةِ الذاتِ. فإذا شاهدَ شيئًا من جمالِ الأفعالِ، استدلَّ به على جمالِ الصفاتِ، ثم استَدَلَّ بجمالِ الصفاتِ على جمالِ الذاتِ.

ومن ههنا يتبينُ أنَّهُ سبحانَه لهُ الحمدُ كلُّه، وأنّ أحدًا من خَلْقِهِ لا يُحصِي ثناءً

---

(٣٨) رواه مسلم (١٤٧)، والترمذي (١٩٩٩).
(٣٩) مسلم (٦٢٠)، وأبو داود (٣٥٦٧).

عليه، بل هو كما أثْنَى على نفسه، وأنه يستحقُّ أن يُعْبَدَ لذاتِه، ويُحَبَّ لذاتِه، ويُشْكَرَ لذاته، وأنه سبحانَه يُحِبُّ نفسَه ويُثني على نفسِه ويحمدُ نفسَه، وأن محبَّتَه لنفسِه وحمدَه لنفسِه وثناءَه على نفسه وتوحيدَه لنفسِه، هو في الحقيقةِ الحمدُ والثناءُ والحبُّ والتوحيدُ؛ فهو سبحانه كما أَثْنَى على نفسِه، وفوقَ ما يُثْني به عليه خلقُه.

وهو سبحانه كما يُحِبُّ ذاتَه يحبُّ صفاتِه وأفعالَه، فكلُّ أفعالِه حسنٌ محبوبٌ، وإن كانَ في مفعولاتِه ما يُبْغِضُهُ ويكرهُه، فليس في أفعالِه ما هو مكروهٌ مسخوطٌ، وليسَ في الوجودِ ما يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه إلا هو سبحانَه. وكل ما يُحَبُّ سواهُ، فإنْ كانَتْ محبَّتُه تابعةٌ لمحبتِه سبحانَه بحيثُ يُحَبُّ لأجلِه، فمحبَّتُه صحيحةٌ، وإلا فهي محبةٌ باطلةٌ. وهذا هو حقيقةُ الإلهيةِ؛ فإنّ الإلهَ الحقَّ هو الذي يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه. فكيفَ إذا انضافَ إلى ذلكَ إحسانُه وإنعامُه وحلمُه وتجاوزُه وعفوُه وبرُّه ورحمتُه؟

فعلى العبدِ أنْ يعلَمَ أنَّه لا إلهَ إلا اللهُ، فيحبُّه ويحمدُه لذاتِه وكمالِه، وأنْ يعلمَ أنَّه لا مُحْسِنَ على الحقيقةِ بأصنافِ النعمِ الظاهرةِ والباطنةِ إلا هو ، فيحبُّه لإحسانِه وإنعامِه، ويحمَدُه على ذلكَ؛ فيحبُّه من الوجهينِ جميعًا.

وكما أنَّه ليسَ كمثلِه شيءٌ، فليسَ كمحبَّتِه محبةٌ. والمحبَّةُ معَ الخضوعِ هي العبوديةُ التي خُلِقَ الخلقُ لأجلِها؛ فإنَّها غايةُ الحبِّ بغايةِ الذُّلِّ، ولا يصلحُ ذلكَ إلَّا له سبحانَه. والإشراكُ به في هذا، هو الشركُ الذي لا يَغْفِرُه اللهُ، ولا يقبلُ لصاحِبِه عملًا.

وحمدُه يتضمَّنُ أصلينِ: الإخبارُ بمحامدِه وصفاتِ كمالِه، والمحبةُ له عليها.

فمَنْ أخبرَ بمحاسنِ غيرِه من غيرِ محبةٍ له لم يَكُنْ حامدًا. ومن أحبَّه من غير إخبارٍ بمحاسنِه لم يَكُنْ حامدًا حتى يجمَعَ الأمرينِ.

وهو سبحانَه يحمدُ نفسَه بنفسِه، ويحمدُ نفسَه بما يُجْرِيهِ على ألسنةِ الحامدينَ له من ملائكتِه وأنبيائِه ورُسلِه وعبادِه المؤمنينَ؛ فهو الحامدُ لنفسِه بهذا وهذا؛ فإن حمدَهم له بمشيئتِه وإذنِه وتكوينِه؛ فإنَّه هو الذي جعلَ الحامدَ حامدًا، والمسلمَ مسلمًا، والمصلِّيَ مصليًا، والتائبَ تائبًا؛ فمنه ابتدأتِ النعمُ وإليه انتهَتْ، فابتدأَتْ بحمدِه وانتهَتْ إلى حمدِه.

وهو الذي ألهمَ عبدَه التوبةَ، وفرحَ بها أعظمَ فرحٍ، وهي من فَضْلِه وجُودِه. وألهمَ عبدَه الطاعةَ، وأعانَه عليها، ثم أثابَه عليها، وهي من فَضْلِهِ وجودِه.

وهو سبحانَه غنيٌّ عن كلِّ ما سواهُ بكلِّ وجهٍ، وما سواهُ فقيرٌ إليه بكلِّ وجهٍ، والعبدُ مفتقرٌ إليه لذاتِهِ في الأسبابِ والغاياتِ؛ فإنّ ما لا يكونُ به لا يكونُ، وما لا يكونُ له لا يَنْفَعُ.

* * *

أعرفُ الناسِ بالله(٤٠)

من الناسِ من يعرفُ اللهَ بالجودِ والإفضالِ والإحسانِ، ومنهم من يعرِفُه بالعفوِ والحلمِ والتجاوزِ، ومنهم من يعرفُه بالبطشِ والانتقامِ، ومنهم من يعرفُه بالعلمِ والحكمةِ، ومنهم من يعرفُه بالعزّةِ والكبرياءِ، ومنهم من يعرفُه بالرحمةِ والبرِّ واللطفِ، ومنهم من يعرفُه بالقهرِ والملكِ، ومنهم من يعرفُه بإجابةِ دعوتِه وإغاثةِ لهفتِه وقضاءِ حاجتِه.

وأعظمُ هؤلاءِ معرفةً: من عَرَفَه من كلامِه؛ فإنَّه يعرِفُ ربًّا قد اجتمعَتْ له صفاتُ الكمالِ ونعوتُ الجلالِ، منزَّهٌ عن المثالِ، بريءٌ من النقائص والعيوبِ، له كلُّ اسمٍ حسنٍ وكلُّ وصفِ كمالٍ، فعَّالٌ لما يريدُ، فوقَ كلِّ شيءٍ، ومع كلِّ شيءٍ، وقادرٌ على كلِّ شيءٍ، ومقيمٌ لكلِّ شيءٍ، آمرٌ ناهٍ، متكلمٌ بكلماتِه الدينيةِ والكونيةِ، أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأجملُ من كلِّ شيءٍ، أرحمُ الراحمينَ، وأقدرُ القادرينَ، وأحكمُ الحاكمينَ. فالقرآنُ أُنْزِلَ لتعريفِ عبادِه به، وبصراطِه الموصلِ إليه، وبحالِ السالكينَ بعد الوصولِ إليه.

* * *

(٤٠) الفوائد (ص:٢٥٧).

الحمدُ من طرقِ تعظيمِ الله تعالى

ومن الوسائلِ التي تُفضِي إلى تعظيمِ اللهِ تعالى وإجلالِه: كثرةُ حمدِه سبحانه وتعالى والثناءِ عليه سبحانه وشكرِه على نعمِه. وقدْ روى البخاريُّ عن أبي أمامةَ أنّ النبيِّ r كانَ إذا رَفَعَ مائدتَه قال: «**الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غيرَ مكفيٍّ، ولا مودَّعٍ، ولا مستغنًى عنه**».

فاللهُ تعالى لا يستطيعُ أحدٌ أن يكافِيه على إنعامِه أبدًا، لأنّ شكرَه سبحانه هو نعمةٌ من نِعَمِه كما قيل:

إذا كان شُكري نعمــةَ اللهِ نعمــةً ... عليَّ له في مثلِها يجــبُ الشــكرُ

فكيف وقوعُ الشكرِ إلا بفضــلِه ... وإنْ طالتِ الأيامُ واتَّصلَ العمــرُ

إذا مسَّ بالسرَّاءِ عــمَّ ســرورُها ... وإن مسَّ بالضرَّاءِ أعقبَها الأجــرُ

فما منــهما إلا لــهُ فيــه نعمــةٌ ... تضيقُ بها الأوهامُ والسِّرُّ والجهــرُ

فالمعظِّمُ لربِّه U يعترفُ بقلبِه أنَّه لو أنفقَ جميعَ عمرِه في قيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ ولم يَزَلْ لسانُه رطبًا بذكرِ اللهِ، فإنَّه لا يستطيعُ تأديةَ شكرِ نعمةٍ واحدةٍ منْ نعمِ اللهِ عليه. ومعَ ذلكَ فإنَّه يَجبُ على العبدِ أن يَلْهَجَ بحمدِ اللهِ تعالى وشكرِه والثناءِ عليهِ وأن يقدِّمَ ذلكَ بين يَدَيْ دُعائِهِ وسؤالِه.

فإنَّ الحمدَ يتضمَّنُ مدحَ المحمودِ بصفاتِ كمالِه، ونعوتِ جلالِه، معَ محبَّتِه والرِّضَا عنه، والخضوعِ له. فلا يكونُ حامدًا من جَحَدَ صفاتِ المحمودِ، ولا من أعرضَ عن محبَّتِه والخضوعِ له. وكلَّما كانت صفاتُ كمالِ المحمودِ أكثرَ كان حمدُه أكملَ، وكلما نقصَ من صفاتِ كمالِه نقصَ من حمدِه بحَسَبِها. ولهذا كانَ الحمدُ

كلُّه للهِ حمدًا لا يحصِيهِ سِوَاهُ، لكمالِ صفاتِه وكثرتِها. ولأجلِ هذا لا يُحْصِي أحدٌ من خلقِهِ ثناءً عليه، لما له من صفاتِ الكمالِ، ونعوتِ الجلالِ التي لا يحصِيها سِوَاهُ.

ومعلومٌ بالفِطَرِ والعقولِ السليمةِ والكُتُبِ السماويِّةِ: أنَّ فاقدَ صفاتِ الكمالِ لا يكونُ إلهًا، ولا مدبِّرًا، ولا ربًّا، بل هو مذمومٌ، معيبٌ ناقصٌ، ليسَ له الحمدُ، لا في الأولى ولا في الآخرةِ. وإنَّما الحمدُ في الأولى والآخرةِ لمن له صفاتُ الكمالِ، ونعوتُ الجلالِ، التي لأجلِها استحَقَّ الحمدَ.

وكذلكَ حمدُه لنفسِه على عدمِ اتِّخَاذِ الولدِ المتضمِّنِ لكمالِ صَمَدِيَّتِه وغِنَاه وملكِه، وتعبيدِ كلِّ شيءٍ له. فاتِّخَاذُ الولدِ يُنَافِي ذلكَ، كما قال تعالى: ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [يونس:٦٨].

وحمدُ نفسِه على عدمِ الشريكِ، المتضمِّنِ تفرُّدِه بالربوبيِّةِ والإلهيَّةِ، وتوحُّدِه بصفاتِ الكمالِ التي لا يوصَفُ بها غيرُه، فيكونُ شريكًا له. فلو عَدِمَها لكانَ كلُّ موجودٍ أكملَ منه. لأنَّ الموجودَ أكملُ من المعدومِ. ولهذا لا يحمدُ نفسَه سبحانه بعدمٍ، إلا إذا كانَ متضمِّنًا لثبوتِ كمالٍ. كما حَمِدَ نفسَه بكونِه لا يموتُ لتضمُّنِه كمالَ حياتِه.

وحَمِدَ نفسَه بكونِه لا تأخُذُه سنةٌ ولا نومٌ، لتضمُّنِ ذلك كمالَ قيوميَّتِه.

وحَمِدَ نفسَه بأنَّه لا يعزُبُ عن علْمِهِ مثقالُ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ، لكمالِ علمِه وإحاطتِه.

وحَمِدَ نفسَه بأنَّه لا يظلِمُ أحدًا، لكمالِ عدلِه وإحسانِه.

وحَمِدَ نفسَه بأنَّه لا تدركُه الأبصارُ، لكمالِ عظمَتِه، يُرى ولا يُدْرَكُ، كما أنه

يُعْلَمُ ولا يُحَاطُ به علمًا. فمجرَّدُ نفْيِ الرؤيةِ ليسَ بكمالٍ. لأنّ العدمَ لا يُرى. فليسَ في كونِ الشيءِ لا يُرَى كمالٌ ألبتةَ. وإنَّما الكمالُ في كونِه لا يحاطُ به رؤيةً ولا إدراكًا، لعظمَتِه في نفسِه، وتعلِّيهِ عن إدراكِ المخلوقِ له. وكذلكَ حَمِدَ نفسَه بعدمِ الغفلةِ والنسيانِ، لكمالِ علمِه.

فكلٌّ سَلْبٍ في القرآنِ حَمِدَ اللهُ به نفْسَه فلمضادَتِه لثبوتِ ضِدِّه، ولتضمُّنِه كمالَ ثبوتِ ضِدِّهِ.

فعلمت أنّ حقيقةَ الحمدِ تابعةٌ لثبوتِ أوصافِ الكمالِ، وأنّ نفيَها نفيٌ لحمدِه، ونفيُ الحمدِ مستلزمٌ لثبوتِ ضدِّه(٤١).

* * *

(٤١) مدارج السالكين (٢٦/١).

التفكرُ من طرق تعظيمِ الله تعالى

فمن تعظيمِ اللهِ تباركَ وتعالى: التفكرُ في آياتِه وآلائِه وبديعِ صُنْعِه كما قالَ تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩١].

قال ابنُ كثير رحمه الله: «ومعنى الآيةِ أن اللهَ تعالى يقولُ: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ أي هذه في ارتفاعِها واتساعِها، وهذه في انخفاضِها وكثافَتِها واتضاعِها، وما فيها من الآياتِ المشاهَدَةِ العظيمةِ من كواكبَ سياراتٍ، وثوابتَ وبحارٍ وجبالٍ وقفارٍ وأشجارٍ ونباتٍ، وزروعٍ وثمارٍ، وحيوانٍ ومعادنَ، ومنافعَ مختلفةِ الألوانِ والروائحِ والطعومِ والخواصِّ، ﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ أي تعاقُبُهما وتقارضُهما الطولَ والقِصَرَ، فتارةً يطولُ هذا ويقصرُ هذا، ثم يعتدلانِ ثم يأخذُ هذا من هذا فيطولُ الذي كان قصيرًا، ويقصرُ الذي كانَ طويلًا. وكلٌّ ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ، ولهذا قال تعالى: ﴿**لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ أي العقولِ التامةِ الذكيةِ التي تُدركُ الأشياءَ بحقائِقِها على جليَّاتِها، وليسُوا كالصُمِّ البُكْمِ الذين لا يعقلونَ، الذين قال الله فيهم: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٦]، ثم وصف تعالى أولي الألباب، فقال: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾. كما ثبت في صحيحِ البخاريِّ عن عمرانَ بن حصينٍ: أن رسولَ اللهِ r

قال: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطعْ فقاعدًا، فإن لم تستطعْ فعلى جَنْبٍ**»[٤٢] أي لا يقطعونَ ذكرَه في جميعِ أحوالِهم بسرائرِهم وضمائرِهم وألسنتِهم، ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ أي يفهمونَ ما فيهما من الحِكَمِ الدالةِ على عظمةِ الخالقِ وقدرتِه وعلمِه وحكمتِه واختيارِه ورحمتِه.

وقال الشيخُ أبو سليمانَ الدارانيُّ: إني لأخرجُ من منزلي فما يقعُ بصري على شيءٍ إلا رأيتُ للهِ عليَّ فيه نعمةً ولي فيه عبرةٌ. رواه ابنُ أبي الدنيا في كتابِ التوكلِ والاعتبارِ.

وعن الحسنِ البصريِّ أنه قالَ: تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من قيامِ ليلةٍ، وقال الفضيلُ: قال الحسنُ: الفكرةُ مرآةٌ تريك حسناتِك وسيئاتِك.

وقال سفيانُ بن عيينةَ: الفكرةُ نورٌ يدخلُ قلبَك وربَّما تمثَّل بهذا البيتِ:

إذا المرءُ كانت له فكــرةٌ ففي كلِّ شيءٍ لهُ عــبرةٌ

وعن عيسى u أنه قال: «طُوبى لمن كانَ قيلُه تذكُّرًا وصمتُه تفكرًا، ونظرُه عِبَرًا».

قال لقمانُ الحكيمُ: «إن طولَ الوحدةِ ألهمُ للفكرةِ، وطولَ الفكرةِ دليلٌ على طرقِ بابِ الجنةِ».

وقال وهبُ بنُ منبهٍ: «ما طالت فكرةُ امريءٍ إلا فَهِمَ، ولا فَهِمَ امرؤٌ قطُّ إلا عَلِمَ، ولا عَلِمَ امرؤٌ قطُّ إلا عَمِلَ». وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: «الكلامُ بذكرِ اللهِ U حسنٌ، والفكرةُ في نعمِ اللهِ أفضلُ العبادةِ».

---

(٤٢) رواه البخاري (١٠٥٠)، وأبو داود (٨١٥).

وقال مغيثٌ الأسودُ: «زورُوا القبورَ كلَّ يومٍ تُفَكِّرُكم، وشاهدُوا الموقفَ بقلوبكم، وانظرُوا إلى ا لمنصرفِ بالفريقينِ إلى الجنةِ أو النارِ، وأشعِرُوا قلوبَكم وأبدانَكُم ذكرَ النارِ ومقامِعَها وأطباقَها».

وعنِ ابن عباسٍ أنه قال: «ركعتانِ مقتصدتانِ في تفكرٍ، خيرٌ من قيامِ ليلةٍ والقلبُ ساهٍ».

وقال الحسنُ البصريُّ: «يا ابنَ آدمَ، كلْ في ثلثِ بطنِك، واشربْ في ثلثِه، ودعْ ثلثَه الآخرَ تتنفسُ للفكرةِ».

وقال بعضُ الحكماءِ: «من نظرَ إلى الدنيا بغيرِ العبرةِ، انطمس من بصرِ قلبِه بقدرِ تلك الغفلةِ».

وقال بشرُ بنُ الحارثِ الحافي: «لو تفكّر الناس في عظمةِ اللهِ تعالى لما عَصَوْهُ».

وقال الحسنُ عن عامرِ بنِ عبدِ قيسٍ، قال: «سمعتُ غيرَ واحدٍ ولا اثنينِ ولا ثلاثةٍ من أصحابِ النبيِّ r يقولونَ: إن ضياءَ الإيمانِ أو نورَ الإيمانِ التفكُّرُ».

وعن عيسى u أنه قال: «يا ابنَ آدمَ الضعيفَ اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وكن في الدنيا ضيفًا، واتخذ المساجدَ بيتًا، وعلِّم عينَيْك البكاءَ، وجسدَك الصبْرَ، وقلبَكَ الفِكْرَ، ولا تهتمّ برزقِ غدٍ».

وعن أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، أنه بكى يومًا بين أصحابِه، فسُئل عن ذلك، فقال: «فكرتُ في الدنيا ولذاتِها وشهواتِها، فاعتبرتُ منها بها، ما تكادُ شهواتُها تنقضي حتى تكدِّرَها مرارتُها، ولئن لم يكن فيها عبرةٌ لمن اعتبر إنّ فيها مواعظَ لمن ادَّكَرَ».

وقال ابنُ أبي الدنيا: «أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

نزهةُ المـــؤمنِ الفِكَـــر	لـــذةُ المـــؤمنِ العِبَـــر
نحمـــــدُ اللهَ وحـــــدَه	نحنُ كلٌّ على خَطَـــر
ربَّ لاهٍ وعمـــــــرُه	قد تقضَّى وما شَـــعَر
رُبَّ عيشٍ قد كان فو	قَ المنى مونَقَ الزَّهَـــر
في خريرٍ مـــن العُيـــو	نِ وظلٍ من الشَّـــجَر
وســـرورٍ مـــن النَّبَـــا	تِ وطيبٍ من الثَمَـــر
غيَّرتْـــــه وأهلَـــــه	سرعةُ الدهرِ بـــالغِيَر
نحمـــــدُ الله وحـــــدَه	إن في ذا لمعتَبَـــــــــر
إنّ في ذا لعِبْـــــــرةٌ	للّبيـــــبِ إن اعتبَـــــر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبرُ بمخلوقاتِه الدالةِ على ذاتِه وصفاتِه وشرعِه وقدرِه وآياتِه، فقال: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٦]، ومدح عبادَه المؤمنينَ: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ قائلين: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا**﴾ أي ما خلقْتَ هذا الخلقَ عبثًا، بل بالحقِّ لتجْزِيَ الذي أساؤوا بما عمِلوا، وتجزي الذين أحسَنوا بالحسْنى، ثم نَزَّهُوهُ عن العبثِ وخلقِ الباطلِ، فقالوا: ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾ أي عن أن تخلقَ شيئًا باطلًا ﴿**فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ أي يا من خلق الخلقَ بالحقِّ والعدلِ، يا من هو متزّهٌ عن النقائصِ والعيبِ والعبثِ. قِنَا من عذابِ النارِ بحولِك وقوتِك وقَيِّضْنَا لأعمالٍ ترضَى بها عنا. ووفِّقْنَا لعملٍ صالحٍ تهدينا به إلى جناتِ النعيمِ، وتجيرنا به من

عذابِك الأليم»[٤٣].

* * *

(٤٣) تفسير ابن كثير (١/٥٧٠-٥٧٢) باختصار.

وفي أنفسكم أفلا تُبصرون

تفكَّرْ في نفسك أيُّها الإنسانُ.. أين كنتَ؟ وكيف جئتَ؟ ومم خلقتَ؟ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون:١٢-١٦].

فالإنسانُ إذا تفكّر بعقلِه في نفسِه رآها مدبَّرةً وعلى أحوالٍ شتَّى مُصَرَّفة.. كان نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم لحمًا وعظمًا.. فيعلمُ ـــ بهذا الفكرِ ـــ أنه لم ينتقِلْ من حالِ النقصِ إلى حالِ الكمالِ، لأنَّه لا يقدرُ على أن يحدثَ لنفسه في الحالِ الأفضلِ التي هي كمالُ عقلِه وبلوغِ أشدِّه عُضْوًا من الأعضاءِ، ولا يمكنُه أن يزيد في جوارحِه جارحةً، فيدلُّه ذلك على أنه في حالِ نقصِه وأوانِ ضعفِه على فِعل ذلك أعجزُ.

وقد يرى نفسَه شابًّا ثم كهلًا، ثم شيخًا وهو لم ينقِلْ نفسَه من حالِ الشبابِ والقوةِ إلى حالِ الشيخوخةِ والهرمِ، ولا اختارَه لنفسِه، ولا في وُسْعِه أن يزايلَ حالَ المشيبِ ويراجعَ قوةَ الشبابِ.

فيعلمُ بذلك أنه ليس هو الذي فعلَ تلكَ الأفعالَ بنفسِه، وأنّ له صانعًا صنَعَه، وناقلًا نَقَلَهُ من حالٍ إلى حالٍ، ولولا ذلك لم تتبدلْ أحوالُه بلا ناقلٍ ولا مدبرٍ.

وقالَ بعضُ الحكماءِ: إن كلّ شيءٍ في العالمِ الكبيرِ له نظيرٌ في العالمِ الصغيرِ الذي هو بدنُ الإنسانِ ولذلك قال تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾

[الذرايات: ٢١].

§ والسمعُ والبصرُ منها بمنزلةِ الشمسِ والقمرِ في إدراكِ المدركاتِ بها.

§ وأعضاؤُه تصيرُ عند البِلى ترابًا من جنسِ الأرضِ.

§ وفيه من جنسِ الماءِ العرقُ وسائرُ رطوباتِ البدنِ.

§ ومن جنسِ الهواءِ فيه الروحُ والنفسُ.

§ ومن جنسِ النارِ فيه المرةُ الصفراءُ.

§ وعروقُه بمنزلةِ الأنهارِ في الأرضِ.

§ وكَبِدُه بمنزلةِ العيونِ التي تستمدُّ منها الأنهارُ لأن العروقَ تستمدُّ من الكبدِ.

§ ومثانَتُه بمنزلةِ البحرِ؛ لانصبابِ ما في أوعيةِ البدنِ إليها، كما تنصبُّ الأنهارُ إلى البحرِ.

§ وعظامُه بمنزلةِ الجبالِ التي هي أوتادُ الأرضِ.

§ وأعضاؤُه كالأشجارِ، فكما أنّ لكلِّ شجرةٍ ورقًا وثمرًا، فَلِكُلِّ عضوٍ فعلٌ أو أثرٌ.

§ والشعرُ على البدنِ بمنزلةِ النباتِ والحشيشِ على الأرضِ.

§ ثمّ إنّ الإنسانَ يحكي بلسانِه كلّ صوتِ حيوانٍ، ويحاكِي بأعضائِه صنعَ كلِّ حيوانٍ.

فهو العالمُ الصغيرُ مع العالمِ الكبيرِ، مخلوقٌ مُحدَثٌ لصانعٍ واحدٍ لا إلهَ إلا

هُو[٤٤].

قال قتادةُ في قولِه تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قالَ: «من تفكَّرَ في نفسِه علِمَ أنَّه خُلِقَ ليَعْبُدَ اللهَ»، وقال ابنُ الزبيرِ ومجاهدٌ: «المرادُ: سبيلُ الخلاءِ والبولِ».

وقال السائبُ بنُ شريكٍ: «يأكلُ ويشربُ من مكانٍ واحدٍ ويُخْرِجُ من مكانينِ».

ولو شَرِبَ لبنًا محضًا لخرجَ منه الماءُ ومنهُ الغائطُ.

وقال ابنُ زيدٍ: «المعنى أنَّه خلقَكُم من ترابٍ وجعلَ لكمُ السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم:٢٠]».

وقال السدِّيُّ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: «في حياتِكُم وموتِكم وفيما يدخلُ ويخرجُ من طعامِكم».

وقال الحسنُ: «في الهرمِ بعدَ الشبابِ، والضعفِ بعدَ القوَّةِ، والشيبِ بعدَ السوادِ».

وقيلَ المعنى: وفي خلقِ أنفسِكم من نطفةٍ وعلقةٍ ومُضْغةٍ ولحمٍ وعظمٍ إلى نفخِ الروحِ، وفي اختلافِ الألسنةِ والألوانِ والصورِ إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ الباطنةِ والظاهرةِ، وحسبُكَ بالقلوبِ وما ركَزَ فيها من العقولِ، وما خُصَّت به من أنواعِ المعاني والفنونِ، وبالألسنِ والنطقِ ومخارجِ الحروفِ، والأبصارِ والأطرافِ، وسائرِ الجوارحِ، وتأتيها لما خُلقتْ له، وما سوَّى في الأعضاءِ من المفاصلِ للانعطافِ والتَّثنِّي

(٤٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٢٠٢).

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، وقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني بَصَرَ القلبِ، ليعرِفُوا كمال قدرة الخالق[٤٥].

أراد رجلٌ أن يحاججَ الإمامَ عليًّا t فوقفَ وقال: «يا عليّ! إني سائلُك.. فقال الإمام: سلْ تفقهًا ولا تسأل تعنُّتًا. فقالَ الرجلُ: أنت حَمَلْتني على ذلك ثم قال: هل رأيتَ ربّك يا عليّ؟ قال: ما كنتُ أعبد ربًّا لم أرَه! فقال الرجلُ: كيف رأيته؟ قال: لم تَرَهُ العيونُ بمشاهدةِ العيانِ، ولكن رأتْه القلوبُ بحقيقةِ الإيمانِ، ربي واحدٌ لا شريكَ له، أحدٌ لا ثانيَ له، فردٌ لا مِثلَ له، لا يحويه مكانٌ، ولا يداولُه زمانٌ، لا يُدْرَكُ بالحواسِّ، ولا يُقَاسُ بالقِيَاسِ»[٤٦].

قال عليّ t :

دواؤُك فيــكَ ومــا تبصــرُ ... وداؤُك منــكَ ومــا تشــعرُ

وتزعمُ أنّــك جــرمٌ صــغيرٌ ... وفيكَ انطَوَى العــالمُ الأكــبرُ

فمن تأمل في ذاتِه، وتفكّرَ في صفاتِه ظهرت له عظمةُ باريه، وآياتُ مُبْدِيه..

فسبحانه من ربٍّ لا يُضَاهَى، ومنانٍ لا يُحصَى كرمُهُ ولا يتناهى، ونحن في تيارِ بحرِ جودِه سابحونَ، وعن إقامةِ مراسمِ شُكْرِهِ قاصرونَ. وما أحسنَ قولَ بعضِ العارفينَ: أنه تعالى يملكُ عبادًا غيرَك، وأنت ليس لك ربٌّ سواه ثم إنك تتساهلُ في خدمَتِهِ، والقيامِ بوظائفِ طاعتِهِ، كأنّ لك ربًّا بل أربابًا غيرَه، وهو سبحانه يعتني بتربيتِك حتى كأنه لا عبدَ له سواك، فسبحانَه ما أتمّ تربيتَه، وأعظمَ رحمَته[٤٧].

---

(٤٥) انظر: المصدر السابق (٤٠/١٧).

(٤٦) تفسير روح البيان (١٢٨/٩).

(٤٧) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) لأبي الفضل محمود الألوسي.

إليك إلهَ الخلــقِ أرفــعُ رغــبتي ... وإن كنتُ ياذا المنِّ والجودِ مجرمًــا

ولما قَسَا قلبي وَضَــاقَتْ مــذَاهبي ... جعلتُ الرَّجا مِني لعفــوكَ سُــلّمًا

تعــاظَمَني ذنــبي فلمــا قرنتُــه ... بعفْوِكَ ربِّي كان عفــوُكَ أعظَمَــا

وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تَــزَلْ ... تجُــودُ وتعفُــو مِنَّــةً وتكرُّمــا

ولولاكَ لم يصمدْ بــإبليسَ عابــدٌ ... فكيفَ وقد أغْوَى صفيِّكَ آدمَــا

فيا ليتَ شِعْرِي هل أصــيرُ لجنــةٍ ... فَأَهْنَــا وأمــا للســعيرِ فأنْــدَمَا

وإني لآتِي الذنبَ أعــرفُ قــدرَه ... وأعلــمُ أن اللهَ يعفُــو ويرحَمَــا

فإن تعفُ عني تعفُ عــن متمــردٍ ... ظلُومٍ غشُــومٍ لا يزايــلُ مأْثَمًــا

وإن تنتقِمْ مــني فلســتُ بــآيسٍ ... ولو أُدْخِلَتْ نفسي بجُرمي جهنَّمَــا

* * *

عناية الله بالإنسان

جاء في بعضِ الآثارِ: يا ابن آدم! أنّى تعجزُني وقد خلقتُك من نطفةٍ، ثم من علقةٍ، ثمّ من مضغةٍ، ثم نفختُ فيك الروحَ، وجعلتُ لك مُتّكأً عن يمينك، ومتّكأً عن شمالِك. فالذي عن يمينِك الكبدُ، والذي عن شمالِك الطحالُ، وجعلتُ وجهك إلى ظهرِ أمِّك حتى لا تفزَعَ من الرَّحِمِ، وغشَّيتُ وجهَك بغشاءٍ حتى لا تؤذيكَ رائحةُ الطعامِ، ورزقتُك وأنتَ في بطنِ أمِّك. حتى إذا جاءَ وقتُ خروجِك إلى الدنيا، أمرتُ الملكَ الموكّلَ، فأخرجَك إلى الأرضِ، ليسَ لكَ يدٌ تبطِشُ، ولا رِجْلٌ تسعَى بها، ولا سنٌّ يقطَعُ. وأنبتُّ لك في صَدْرِ أمِّك عرقَيْنِ رقيقينِ يُغَذِّيَانكَ بلبنٍ سائغٍ، باردٍ في الصيفِ، دافئٍ في الشتاءِ. وقذفتُ محبَّتَك في قلبِ والدَيْكَ، فلا يأكلانِ حتى تأكلَ، ولا يشربانِ حتى تشربَ، ولا يرقدانِ حتى ترقدَ، حتى إذا اشتدَّ عودُك، وقَوِيَ جسمُك بارَزْتَني بالمعاصي، ولم تستحِ منّي! ومعَ ذلك إن تبتَ إليَّ قبلتُك، وإن سألتَني أعطيتُك، وإن استَغْفَرْتَني غفرتُ لكَ، وأنا الرحمنُ الرحيمُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٧-٧٩].

عن بُسرِ بن جحَاشٍ القرشيِّ أنّ النبيَّ ﷺ بزقَ يومًا في كفِّهِ، فوضَع عليها أصبعَه، ثم قالَ: «**قالَ اللهُ: ابنَ آدمَ! أنَّى تُعجِزُني، وقد خلقْتُك من مثلِ هذه.. حتى إذا سوَّيْتُك وعدَّلتُك مشيتَ بين بردين، وللأرضِ منك وئيدٌ، فجَمعتَ ومنعتَ.. حتى إذا بلغَتِ التراقِيَ قلتَ: أتصدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصدقةِ**» [رواه أحمد].

قال ابنُ الجوزيِّ: « وجميعُ الموجوداتِ من آثارِ قدرتِه.. وأعجبُ آثارِ الآدميِّ، فإنك إذا تفكرتَ في نفسِك كَفَى، وإذا نظرتَ في خلقِك شَفَى! أليس قد فعلَ في قطرةٍ من ماءٍ ما لو انقَضَتِ الأعمارُ في شرحِ حكمَتِه ما وفَّتْ؟

كانتِ النقطةُ مغموسةً في دمِ الحيضِ ومقياسُ القدرةِ يشقُّ السَّمْعَ والبصرَ!

خلق منها ثلاثمائةٍ وستينَ عظمًا، وخمسمائةٍ وتسعًا وعشرينَ عَضَلَةً، كلٌّ من ذلك تحتَه حكمةٌ.

فالعينُ سبعُ طبقاتٍ، وأربعةٌ وعشرينَ عضلةً لتحريكِ حَدَقَةِ العينِ وأجفانِها، لو نُقِصَتْ منها واحدةٌ لاختلّ الأمرُ.

وأظهرَ في سوادِ العينِ على صِغَرِه صورةَ السماءِ مع اتساعِها.

وخالفَ بينَ أشكالِ الحناجرِ في الأصواتِ.

وسخَّر المعدةَ لإنضاجِ الغذاءِ.

والكبدَ لإحالتِه إلى الدمِ.

والطحالَ لجذبِ السوداءِ.

والمرارةَ تناولُ الصفراءَ كلّها.

والعروقَ كالخدمِ للكبدِ، تنفذُ منها الدماءُ إلى أطرافِ البدنِ.

فيا أيُّها الغافلُ! ما عندكَ خبرٌ منك، فما تعرفُ من نفسِكَ إلا أن تجوعَ فتأكلَ، وتشبعَ فتنامَ، وتغضبَ فتخاصِمَ، فبماذَا تميزتَ على البهائمِ؟!

* * *

انظر حولك.. تأملات في الكون والآفاق

ارفعْ بصرَ فِكْرِكَ إلى عجائبِ السمواتِ، فتلمَّح الشمسَ في كلِّ يومٍ في منزلٍ، فإذا انخفَضَتْ بَرَدَ الهواءُ وجاءَ الشتاءُ، وإذا ارتفَعَتْ قَوِيَ الحرُّ، وإذا كانت بين المنزلتينِ اعتدلَ الزمانُ.

ثم اخفِضْ بَصَرَكَ إلى الأرضِ، ترى فِجَاجَها مذلَّلةً للتسخيرِ، ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾ [الملك:١٥]، وتفكَّروا في شُربِها بعد جَدْبِها بكأسِ القطرِ.

وتلمَّحْ خروجَ النباتِ يرفُلُ في ألوانِ الحُللِ على اختلافِ الصورِ والطعومِ والأراييحِ.

وانظرْ كيفَ نَزَلَ القطرُ إلى عِرقِ الشَّجَرِ، ثم عاد ينجذبُ إلى فروعِها، ويجري في تجاويفِها بعروقٍ لا تفتقِرُ إلى كُلْفَةٍ.

فلا حظَّ للغافلِ في ذلك إلا سماعُ الرعدِ بأذنه، ورؤيةِ النباتِ والمطرِ بعينيه.. كلا! لو فُتح بصرُ البصيرةِ لقرأَ على كلِّ قطرةٍ خطًّا بالقلمِ الإلهيِّ: أنَّها رزقُ فلانٍ في وقتِ كذا!!

ثم انظُرْ إلى المعادنِ لحاجاتِ الفقيرِ إلى المصالحِ، فمنها مودعٌ كالرصاصِ والحديدِ، ومنها مصنوعٌ بسببِ غيرِه كالأرضِ السبخةِ، يُجمعُ فيها ماءُ المطرِ فيصيرُ مِلْحًا.

وانظرْ إلى انقسامِ الحيواناتِ ما بين طائرٍ وماشٍ وإلهامِها ما يُصلِحُها.

وانظرْ إلى بُعْدِ ما بين السماءِ والأرضِ، كيف ملأَ ذلكَ الفراغَ هواءً، لتستنشقَ منه الأرواحُ، وتَسْبَحَ الطير في تيَّارِه إذا طارَتْ.

وانظرْ بفكرِك إلى سَعَةِ البحرِ وتسخيرِ الفُلكِ فيه، وما فيه من دابةٍ.

قال يحيى بنُ أبي كثيرٍ: خلقَ اللهُ ألفَ أمةٍ، فأسْكَنَ ستمائةٍ في البحرِ، وأربعمائةٍ في البرِّ.

واعجبًا لك! لو رأيتَ خطًّا مستحسَنَ الرّقْمِ، لأدركَك الدهشُ من حكمةِ الكاتبِ، وأنت تَرَى رقومَ القدرةِ ولا تعرفُ الخالقَ، فإن لم تَعْرِفْهُ بتلك الصنعةِ، فتَعَجَّبْ كيف أعْمَى بصيرتَك مع رؤيةِ بصرِك![٤٨].

فسبحانَك يا ربَّنا.. يا من سبحتْ له الكائناتُ.. وسجدَ له الصخرُ والنباتُ.. وتدكدَكَتْ لخشيتِه الجبالُ الراسياتُ..

ويهتفُ حمدًا جمالُ الصباحِ ... وسِحرُ الربيعِ الشهيُّ العَطِر
وسِحْرُ السماء الشَّجيُّ الوديعُ ... وهمسُ النسيمِ ولحنُ المَطَر
تُسبّحُه نغماتُ الطيورِ ... يُسبّحُه الظلّ تحتَ الشّجَر
يُسبّحه النبعُ بين المروجِ ... يسبّحُ دومًا أريجُ الزّهَر
يسبّحه النورُ بين الغصونِ ... وسِحْرُ المساءِ وضوءُ القَمَر

قال الإمامُ ابنُ الجوزيِّ: عَرض لي في طريقِ الحجِّ خوفٌ من العربِ، فَسِرْنَا على طريقِ خيبرٍ، فرأيتُ من الجبالِ الهائلةِ والطرقِ العجيبةِ ما أذهَلَني.. وزادتْ عظمةُ الخالقِ U في صَدْرِي، فصارَ يعرِضُ لي عند ذكرِ تلك الطرقِ نوعُ تعظيمٍ لا أجدُه عند ذكرِ غيرِهَا.

فصحتُ بالنفسِ: ويحكِ! اعبُري إلى البحرِ، وانظري إليه وإلى عجائِبه بعينِ

(٤٨) انظر: التبصرة لابن الجوزي (١/٥٩-٦١).

الفكْرِ، تُشاهدِي أهوالًا هي أعظمُ من هذه.. ثم اخرُجي عن الكونِ، والتفتي إليه، فإنكِ ترينَه بالإضافةِ إلى السمواتِ والأفلاكِ كذرَّةٍ في فلاةٍ..

ثم جُولي في الأفلاكِ.. وطوفي حولَ العرشِ.. وتلمَّحِي ما في الجنانِ والنيرانِ.. ثم اخرُجي عن الكلِّ والتَفِتِي إليه.. فإنكِ تشاهدينَ العالَمَ في قبضةِ القادرِ الذي لا تَقِفُ قدرتُه عندَ حدٍّ.. ثم التفِتِي إليكِ.. فتلمَّحِي بدايتكِ ونهايتَكِ.. وتفكَّرِي فيما قبل البدايةِ وليس إلا العدمُ.. وفيما بعدَ البِلَى وليس إلا الترابُ!!

فكيف يأنسُ بهذا الوجودِ من نَظَرَ بعينِ فكرِهِ المبدأَ والمنتَهَى؟ وكيف تغفلُ القلوبُ عن ذكرِ هذا الإلهِ العظيمِ؟

باللهِ لو صَحَّت النفوسُ عن سُكْرِ هواها لذابتْ من خوفِه.. أو لغابَتْ في حبِّه.. غيرَ أنَّ الحسَّ غَلَبَ .. فعظُمَتْ قدرةُ الخالقِ عندَ رؤية جبلٍ.. وإن الفطنةَ لو تلمَّحتْ المعانيَ لدلَّت القدرةُ عليه أوفى من دليلِ الجبلِ. فسبحانَ من شغلَ أكثرَ الخلقِ بما هم فيه عما خُلِقوا له.. سبحانَه» [صيد الخاطر].

الفجرُ بدَّده الضحى وعلى الضحى شدَّ الأصِـــيل
والليلُ يدنو زحفُــه فكأنمـــا انهَمَـــرَتْ سُـــيُول
أرخَى على الدنيا دُجَاهُ فعمَّ في الـــدنيا الـــذُّهُول
الصمتُ لوَّن هـــذه الـــدنيا وغطَّاهـــا خُمُـــول
والريحُ أعياها السُّرى والبدرُ من ضعفٍ خَجُـــول
ونظرتُ من يَحْمِي الأنامَ وعزَّ في الناسِ الســـبيلُ!
ونظرتُ من للنَّجْمِ يُمْسكُه فلا يخشَـــى أُفُـــول!!
ونظرتُ ثم نظرتُ ثم رأيتُ كم حَـــارَتْ عُقُـــول

ونَظَرْتُ ثم نَظَرْتُ يا سبحانَ ربِّي ما أقُول
وضحَ الدليلُ وغابَ عنا أنه وَضَحَ الدَّلِيل
ولربما تَحْوِي يَدِي وأنا بما تَحْوِي جَهُول!!

ذكر الحافظُ ابنُ رجبٍ عن بعضِ السلفِ أنه قرأَ في بعض الكتب المترلةِ: «يقولُ اللهُ **U**: يؤمِّلُ غيري للشدائدِ.. والشدائدُ بيدِي.. وأنا الحيُّ القيومُ.. ويُرجَى غيري.. ويُطرقُ بابُه بالبُكرَاتِ**!** وبيدي مفاتيحُ الخزائنِ.. وبابي مفتوحٌ لمن دعاني**!!**

من ذا الذي أمَّلني لنائبةٍ فقطعتُ به..

أو من ذا الذي رَجَاني لعظيمٍ فَقَطَعْتُ رَجَاءَه**!!**..

ومن ذا الذي طرقَ بابي فلم أَفْتَحْ له؟

أنا غايةُ الآمالِ.. فكيف تَنْقِطُعُ الآمالُ دوني؟**!**

أبخيلٌ أنا؟ فيبخِّلُني عَبْدِي**!!**

أليس الدنيا والآخرةُ والكرمُ والفضلُ كلُّه لي؟**!**

فما يمنعُ المؤمِّلينَ أن يؤمّلوني؟**!**

لو جمعتُ أهلَ السمواتِ وأهلَ الأرضِ.. ثم أعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم ما أعطيتُ الجميعَ.. وبلّغتُ كلَّ واحدٍ منهم أمَلَه.. لم يُنْقِصْ ذلك من مُلكي ذرةً.. وكيف يَنْقُصُ مُلكٌ أنا قيّمُهُ؟**!**

فيا بؤسًا للقَانطِينَ من رَحْمَتِي**!!**

ويا بؤسًا لمن عَصَاني.. وتوثَّب على مَحَارِمي**!!**

* * *

تعظيمُ الله تعالى من خلالِ أسمائِه وصفاتِه

لا شكَّ أنّ من أعظمِ أسبابِ تعظيمِ الله سبحانه وتعالى: تدبُّرُ معاني أسمائِهِ الحسْنَى وما تدلُّ عليه من صفاتٍ وما توجِبُهُ من آثارٍ عظيمةٍ، ولذلكَ نَبَّهَ اللهُ سبحانه وتعالى على التأمُّلِ والتدبُّرِ في تلكَ الآثارِ فقالَ في صفةِ «الرحمةِ»: ﴿**فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الروم:٥٠].

فإذا جَهِلَ الإنسانُ معانيَ تلكَ الأسماءِ الحسْنَى، وجَهِلَ ما تدلُّ عليه من صفاتٍ، كيفَ له أن يَعْرِفَ آثارَ هذهِ الأسماءِ ويَنْتَفِعَ بها فقد قال سبحانه: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [الإسراء:١١٠]، وقال: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف:١٨٠].

والدعاءُ هنا يَتَضَمَّنُ نوعينِ:

أولًا: دعاءُ المسألةِ والطلبِ: وذلك بأن تُقَدِّمَ بين يَدَيْ دعائِك من أسماءِ الله ما يكونُ مناسبًا للمطلوبِ، كما قال ابنُ القيمِ: يسألُ في كلِّ مطلوبٍ بما يكونُ مقتضيًا لذلك المطلوبِ، فيكونُ السائلُ متوسِّلًا إليه بذلك الاسمِ، ومن تأمَّلَ أدعيةَ الرسلِ وجدَها مطابقةً لهذا.

ثانيًا: دعاءُ الثناءِ والعبادةِ: وذلكَ بأنْ تُمَجِّدَهُ وتُثْنِيَ عليه بأسمائِهِ الحسْنَى وأن تَتَعَبَّدَ للهِ تعالَى بمقتَضَى هذهِ الأسماءِ.

ولا شكَّ أن الجهلَ بمعانِي هذه الأسماءِ الحسْنَى يمْنَعُ من الانتفاعِ بها في هذا البابِ.

وقدْ أكثرَ الإمامُ ابنُ القيمِ وأطابَ في ذكرِ معانِي أسماءِ اللهِ الحسْنَى، وتَبِعَهُ في ذلكَ الشيخُ عبدُ الرحمنِ بنِ سَعْدِيٍّ رحمهما الله(٤٩)، وكان مما قالا:

* * *

(٤٩) انظر: (ص: ١٣٠) من هذا الكتاب.

نظراتٌ في الأسماءِ والصفاتِ وآثارِها

قال ابنُ القيمِ عن هذا المشهدِ: «وهو من أجلِّ المشاهدِ.

والمطّلِعُ على هذا المشهدِ: معرفةُ تعلقِ الوجودِ خلقًا وأمرًا بالأسماءِ الحُسْنَى، والصفاتِ العُلَى، وارتباطُه بها. وإن كان العَالَم ــ بما فيه ــ من بعضِ آثارِها ومقتضياتِها.

وهذا من أجلِّ المعارفِ وأشرفِها، وكلٌّ اسمٍ من أسمائِه سبحانَه له صفةٌ خاصَّةٌ.

فإن أسماءَه أوصافُ مدحٍ وكمالٍ.

وكلُّ صفةٍ لها مقتضًى وفِعْلٌ: إمَّا لازمٌ وإما مُتَعَدٍّ، ولذلكَ الفعلِ تعلُّقٌ بمفعولٍ هو من لوازِمِهِ. وهذا في خلقِهِ وأمرِهِ، وثوابِهِ وعقَابِهِ. كلُّ ذلكَ آثارُ الأسماءِ الحسنَى وموجِبَاتُها.

ومن المحالِ تعطيلُ أسمائِه عن أوصافِها ومعانيها، وتعطيلُ الأوصافِ عما تقتضِيهِ وتستَدْعِيه من الأفعالِ، وتعطيلُ الأفعالِ عن المفعولاتِ، كما أنه يستحيلُ تعطيلُ مفعولِه عن أفعالِه وأفعالِه عن صفاتِه، وصفاتِه عن أسمائِه. وتعطيلُ أسمائِه وأوصافِه عن ذاتِه.

وإذا كانتْ أوصافُه صفاتِ كمالٍ، وأفعالُه حكمًا ومصالحَ، وأسماؤُه حُسْنَىً: ففرضُ تعطيلِها عن موجباتِها مستحيلٌ في حقِّه.

ولهذا ينكرُ سبحانه على من عطَّلَهُ عن أمرِه ونهيِه، وثوابِه وعقابِه، وأنه بذلكَ

نسبَهُ إلى ما لا يليقُ به وإلى ما يتنزّهُ عنه، وأنّ ذلكَ حُكْمٌ سيِّئٌ ممن حكمَ به عليه، وأنّ من نسَبَه إلى ذلكَ فما قدرَهُ حقّ قَدْره، ولا عظَّمَهُ حقّ تعظِيمِه، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:٩١]، وقال تعالى في حقّ مُنْكِري المعادِ والثوابِ والعقاب: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ [الزمر:٦٧]، وقالَ في حقِ من جَوَّزَ عليهِ التسويةَ بينَ المختلفَيْنِ، كالأبرارِ والفجارِ، والمؤمنينَ والكفارِ: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الجاثية:٢١]، فأخبرَ أنّ هذا حكمٌ سيِّئٌ لا يليقُ به، تأْبَاهُ أسماؤُه وصفاتُه. وقال سبحانه: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦]، عن هذا الظنّ والحسبانِ، الذي تأْبَاهُ أسماؤُه وصفاتُه.

ونظائرُ هذا في القرآنِ كثيرةٌ. يَنْفِي فيها عن نفسِهِ خلافَ موجبِ أسمائِه وصفاتِه. إذ ذلك مستلزمٌ تعطيلَها عن كمالِها ومقتضياتِها.

فاسْمُهُ (**الحميدُ، المجيدُ**) يمنعُ تركَ الإنسانِ سُدًى مُهملًا معطّلًا، لا يُؤمرُ ولا يُنهَى. ولا يثابُ ولا يعاقبُ.

وكذلك اسْمُه (**الحكيمُ**) يأبَى ذلكَ. وكذلكَ اسمُه (**الملكُ**) واسمُه (**الحيُّ**) يمنعُ أنْ يكونَ معطّلًا من الفعلِ. بلْ حقيقةُ (الحياةِ) الفعلُ. فكلُّ حيٍّ فعَّالٌ.

وكونُه سبحانَهَ (**خالقًا قيومًا**) من موجباتِ حياتِه ومقتضياتِها.

واسمُه **(السميعُ البصيرُ)** يوجبُ مسموعًا ومرئيًا.

واسمُهُ **(الخالقُ)** يقتضِي مخلوقًا. وكذلكَ **(الرزَّاقُ)**.

واسمُهُ **(المَلِكُ)** يقتضي مملكةً وتصرُّفًا وتدبيرًا، وإعطاءً ومنعًا، وإحسانًا وعدْلًا، وثوابًا وعقابًا.

واسمُهُ **(البَرُّ المُحسنُ، المُعطِي، المنَّانُ)** ونحوُها تقتضِي آثارَهَا وموجباتِها.

إذا عُرِفَ هذا. فمن أسمائِه سبحانَهُ **(الغفّارُ، التوَّابُ، العفُوُّ)** فلا بدَّ لهذه الأسماءِ من متعلقاتٍ، ولا بدَّ من جنايةٍ تُغْفَرُ، وتوبةٍ تُقْبَلُ، وجرائمَ يُعْفَى عنها.

ولا بدَّ لاسمِهِ **(الحكيمِ)** من متعلّقٍ يظهرُ فيه حُكمُهُ، إذ اقتضاءُ هذه الأسماءِ لآثارِها كاقتضاءِ اسمِ **(الخالقِ، الرزَّاقِ، المعطِي،المانعِ)** للمخلوقِ والمرزوقِ والمعطى والممنوعِ. وهذه الأسماءُ كلُّها حسْنَى.

والربُّ تعالى يحبُّ ذاتَه وأوصافَه وأسماءَه. فهو عَفُوٌّ يُحِبُّ العفوَ، ويحبُّ المغفرةَ، ويحبُّ التوبةَ، ويفرحُ بتوبةِ عبدِه حينَ يتوبُ إليهِ أعظَمَ فَرَحٍ يخطُرُ بالبالِ.

وكان تقديرُ ما يغفِرُه ويعفُو عن فاعِلِه، ويحلمُ عنه، ويتوبُ عليه ويسامِحُه: من موجبِ أسمائِه وصفاتِه، وحُصولُ ما يحبُّه ويرضَاهُ من ذلك. وما يحمدُ به نفسَه، ويحمَدُه به أهلُ سمواتِه وأهلُ أرضِه: ما هو من موجباتِ كمالِه ومقتَضَى حمدِه.

وهو سبحانَه: **(الحميدُ المجيدُ)** وحمدُه ومجدُه يقتضِيَانِ آثارَهُمَا.

ومن آثارِهِمَا: مغفرةُ الزلّاتِ، وإقالَةُ العَثَرَاتِ، والعَفْوُ عن السيئاتِ، والمسامحةُ على الجناياتِ، مع كمالِ القدرةِ على استيفاءِ الحقِّ، والعلمُ منه سبحانه بالجنايةِ

ومقدارِ عقوبَتِها، فحِلمُهُ بعدَ علمِهِ، وعفوُهُ بعدَ قدرَتِهِ، ومغفرَتُهُ عن كمالِ عزَّتِهِ وحكمَتِهِ، كما قال المسيح u : ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة:١١٨]، أي فمغفرتُك عن كمالِ قدرتِكَ وحكمتِكَ، لستَ كمن يغفرُ عَجْزًا، ويسامحُ جَهْلًا بقدرِ الحقِّ، بلْ أنت عليمٌ بحقِّكَ، قادرٌ على استيفائِه، حكيمٌ في الأخذِ به.

فمن تأملَ سريانَ آثارِ الأسماءِ والصفاتِ في العالمِ، وفي الأمرِ، تبيَّنَ له أن مصدرَ قضاءِ هذه الجناياتِ من العبيدِ، وتقديرَها: هو من كمالِ الأسماءِ والصفاتِ والأفعالِ. وغاياتُها أيضًا: مقتَضَى حمدِه ومجدِه، كما هو مقتَضَى ربوبيَّتِهِ وإلهيَّتِهِ.

فله في كلِّ ما قَضَاهُ وقَدَّرَهُ الحكمةُ البالغةُ، والآياتُ الباهرةُ، والتعرفاتُ إلى عبادِه بأسمائِه وصفاتِه، واستدعاءُ محبتِهم له، وذكرِهم له، وشكرِهم له، وتعبدِهم له بأسمائِه الحُسْنَى. إذ كلُّ اسمٍ فله تعبُّدٌ مختصٌّ به، علمًا ومعرفةً وحالًا.

وأكملُ الناسِ عُبوديةً: المتعبِّدُ بجميعِ الأسماءِ والصفاتِ التي يطلعُ عليها البشرُ، فلا تحجُبُه عبوديةُ اسمٍ عن عبوديةِ اسمٍ آخرَ، كمنْ يَحْجُبُهُ التعبدُ باسمِ (**القديرِ**) عن التعبُّدِ باسمِ (**الحليمِ الرحيمِ**) أو يحجُبُهُ عبوديةُ اسمِه (**المُعطِي**) عن عبوديةِ اسمِه (**المَنَّاعِ**) أو عبوديةِ اسمِهِ (**الرَّحيمِ والعفوِّ والغفورِ**) عن اسمِه (**المنتقمِ**) أو التعبُّدُ بأسماءِ (التودُّدِ، والبرِّ، واللُّطفِ، والإحسانِ) عن أسماءِ (العدلِ، والجبروتِ، والعظمةِ، والكبرياءِ) ونحو ذلك.

وهذه طريقةُ الكُمَّلِ من السائرينَ إلى اللهِ. وهي طريقةٌ مشتقةٌ من قلبِ القرآنِ. قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف:١٨٠]،

والدعاءُ بها يتناولُ دعاءَ المسألةِ، ودعاءَ الثناءِ، ودعاءَ التعبدِ.

وهو سبحانَه يدعُو عبادَه إلى أن يعرفُوه بأسمائِه وصفاتِه، ويُثْنُوا عليه بها، ويأخذُوا بحظِّهم من عبوديِّتِها.

وهو سبحانَه يحبُّ موجبَ أسمائِه وصفاتِه.

فهو (**عليمٌ**) يحبُّ كلَّ عليمٍ (**جَوادٌ**) يُحبُّ كلَّ جوادٍ (**وترٌ**) يحبُّ الوترَ (**جميلٌ**) يحبُّ الجمالَ (**عَفُوٌّ**) يحبُ العَفْوَ وأهلَهُ (**حَيِيٌّ**) يحبُّ الحياءَ وأهلَهُ (**بَرٌّ**) يحبُّ الأبرارَ (**شكُورٌ**) يحبُّ الشاكرينَ (**صبورٌ**) يحبُّ الصابرينَ (**حليمٌ**) يحبُّ أهلَ الحلمِ.

فلمحبتِه سبحانَه للتوبةِ والمغفرةِ، والعفوِ والصفحِ: خلقَ من يغفرُ له، ويتوبُ عليهِ، ويعفُو عنه، وقدَّرَ عليه ما يقتَضِي وقوعَ المكروهِ والمبغوضِ له، ليترتبَ عليهِ المحبوبُ لهُ المرضِي له، فتوسُّطُه كتوسُّطِ الأسبابِ المكرُوهَةِ المفضِيَةِ إلى المحبوبِ.

فربَّما كان مكرُوهُ العبادِ إلى محبوبِها سببٌ ما مِثلُه سببُ

والأسبابُ ـــ مع مسبِّباتِها ـــ أربعةُ أنواعٍ:

محبوبٌ يُفضِي إلى محبوبٍ.

ومكروهٌ يُفضِي إلى محبوبٍ.

وهذانِ النوعانِ عليهما مدارُ أقضيتِهِ وأقدارِه سبحانه بالنسبةِ إلى ما يحبُّه وما يكرَهُهُ.

والثالثُ: مكروهٌ يفضِي إلى مكروهٍ.

والرابعُ: محبوبٌ يفضِي إلى مكروهٍ.

وهذانِ النوعانِ ممتنعانِ في حقِّه سبحانَه، إذ الغاياتُ المطلوبةُ من قضَائِهِ وقدَرِهِ ــ الذي ما خَلَقَ ما خَلَقَ، ولا قَضَى ما قَضَى إلّا لأجْلِ حُصُولِها ــ لا تكونُ إلا محبوبةً للربِّ مرضيةً له. والأسبابُ الموصِّلَةُ إليها مُنقسمَةٌ إلى محبوبٍ له ومكروهٍ له.

فالطاعاتُ والتوحيدُ: أسبابٌ محبوبةٌ له، مُوصِلَةٌ إلى الإحسانِ، والثوابِ المحبوبِ له أيضًا.

والشركُ والمعاصي: أسبابٌ مسخوطةٌ له، مُوصِلَةٌ إلى العدلِ المحبوبِ له، وإنْ كانَ الفضلُ أحبَّ إليه من العدلِ. فاجتماعُ العدلِ والفضلِ أحبُّ إليه من انفرادِ أحدِهما عن الآخرِ، لما فيهما من كمالِ المُلكِ والحمدِ، وتنوعِ الثناءِ، وكمالِ القدرةِ.

فإن قيل: كان يمكنُ حصولُ هذا المحبوبِ من غيرِ توسُّطِ المكروهِ.

قيلَ: هذا سؤالٌ باطلٌ، لأنَّ وجودَ الملزومِ بدونِ لازمِه ممتنعٌ. والذي يقدَّرُ في الذهنِ وجودُه شيءٌ آخرَ غيرُ هذا المطلوبِ المحبوبِ للربِّ. وحكمُ الذهنِ عليه بأنه محبوبٌ للربِّ حكمٌ بلا علمٍ، بل قد يكونُ مبغوضًا للربِّ تعالى لمنافاتِه حكمتَه، فإذا حَكَمَ الذهنُ عليه بأنه محبوبٌ له. كان نسبةً له إلى ما لا يليقُ به. ويتعالى عنه.

فليُعْطِ اللبيبُ هذا الموضِعَ حقّه من التأملِ. فإنه مزلَّةُ أقدامٍ، ومضلّةُ أفهامٍ. ولو أمسكَ عن الكلامِ من لا يعلمُ لقلَّ الخلافُ.

وهذا المشهدُ أجلُّ من أن يحيطَ به كتابٌ أو يستوعِبَهُ خطابٌ، وإنما أَشَرْنَا إليه أدنَى إشارةٍ تُطْلِعُ على ما وراءِها. واللهُ الموفقُ والمعينُ(٥٠).

---

(٥٠) مدارج السالكين (١/٣٥٠).

* * *

تعظيم الله تعالى في القرآن

ومن وسائلِ تعظيمِ الله تعالى: تدبرُ القرآنِ وتحديقُ النظرِ في سُوَرِهِ وآياتِه، فالقرآنُ كلُّه ينطقُ بالتعظيمِ والتمجيدِ والإجلالِ لربِّ العالمينَ حتى قال أحدُ الباحثينَ الغربيينَ ليس هناك كتابٌ حَوَى من التعظيمِ والثناءِ والحمدِ والتقديسِ لله تعالى مثلَ ما حواه القرآنُ وهذا يثبتُ أنه من عندِ اللهِ تعالى، لأنه لو كان من افتراءِ محمدٍ لجعلَ محمدٌ لنفسه شيئًا من هذا التعظيمِ الإلهيِّ وهو ما لا نَجِدْه أبدًا في القرآنِ.

فانظرْ كيف يحمدُ اللهُ تعالى نفسه: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:١]، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:١]، وانظر كيف أثبتَ لنفسه كمالَ العلم: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام:٣]، وانظر كيف أثبتَ لنفسه القدرةَ التامَّةَ والقهرَ التامَّ: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٧-١٨].

ومع ذلك فهو يثبتُ لنفسه الرحمةَ: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الأنعام:٥٤]، وهكذا لا نجدُ آيةً من القرآنِ إلا وهيَ تدلُّ على عظمةِ اللهِ تعالى بلفظِها ومعناها، ولذلك فقد وصفَ اللهُ تعالى هذا الكتابَ بالعظمةِ فقال: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ [الحجر:٨٧]. وقال سبحانه: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾ [الحشر:٢١].

فإذا كان هذا حالُ الجبلِ الصخرِ الأصمِّ إذا أُنزلَ عليه القرآنُ فكيف بحالِ الإنسانِ الضعيفِ؟!

وقد وصف اللهُ تعالى أهلَ الإيمان بالخشيةِ والرقةِ والقشعريرةِ عند سماعِ القرآنِ كما في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الزمر:٢٣]، وقال تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**﴾ [الإسراء:١٠٦-١٠٩]، وما ذلك إلا لما سَمِعُوهُ وشَاهَدُوهُ في آياتِ اللهِ تعالى المتلوةِ من شواهدِ العظمةِ والقدرةِ والكبرياءِ والجلالِ.

* * *

وما قدروا الله حق قدره

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

هذا ذمٌّ للمشركينَ الذينَ لم يخلِصُوا العبادةَ للهِ فعبدُوا مع اللهِ آلهةً أخرى وذلكَ لجهلِهم بعظمةِ اللهِ عزَّ وجلّ وما يستحِقُّه منَ العبادةِ والتعظيمِ. وهذه الآيةُ تشملُ كلَّ من عبدَ مع اللهِ غيرَه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ فهؤلاءِ جميعًا ما قدروا اللهَ حقَّ قدرِه.

قالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه: «يقولُ تعالى: وما قدرَ المشركونَ اللهَ حقَّ قدرِه، حينَ عبدُوا معه غيرَه، وهو العظيمُ الذي لا أعظمَ منه، القادرُ على كلِّ شيءٍ، المالكُ لكلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ تحتَ قهرِه وقدرتِه.

وقال السُّدِّيُّ: ما عظّموه حقَّ عَظَمَتِهِ.

وقال محمدُ بنُ كعبٍ: لو قَدَرُوه حقَّ قَدْرِه ما كَذّبوه.

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ همُ الكفارُ الذين لم يؤمنوا بقدرةِ اللهِ تعالى عليهم، فمن آمنَ أنّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ فقد قَدَرَ اللهَ حقَّ قدرِه، ومن لم يؤمنْ بذلك فلم يَقْدُرِ اللهَ حقَّ قدرِهِ»[٥١].

وقال السعديُّ في تفسيرِه: « يقولُ تعالى: وما قدرَ هؤلاءِ المشركونَ ربَّهم حقَّ قدرِه، ولا عظّموه حقَّ تعظيمِه، بل فعلوا ما يناقضُ ذلك، من إشراكِهم به مَنْ هو

(٥١) تفسير ابن كثير (١١٣/٧).

ناقصٌ في أوصافِه وأفعالِه، فأوصافُه ناقصةٌ من كلِّ وجهٍ، وأفعالُه ليس عنده نفعٌ ولا ضرٌ، ولا عطاءٌ ولامنعٌ، ولا يملكُ من الأمرِ شيئًا.

فَسَوَّوْا هذا المخلوقَ الناقصَ بالخالقِ الربِّ العظيمِ، الذي من عظمَتِهِ الباهرةِ، وقدرتِه القاهرةِ، أنّ جميعَ الأرضِ يومَ القيامةِ قبضةٌ للرحمنِ، وأنّ السماواتِ ـــ على سَعَتِها وعِظَمِها ـــ مطوياتٌ بيمينِه، فلا عظَّمَه حقَّ عَظَمَتِهِ من سَوَّى به غيرَه، ولا أظلمَ منه.

﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ أي: تنزّهَ وتعاظَمَ عن شركِهم به»[٥٢].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: «واللهُ سبحانَه بعثَ الرسلَ وأنزلَ الكتبَ؛ بأنْ يكونَ هو المعبودَ وحدَهُ لا شريكَ له وإنّما يعبدُ بما أَمَرَ به على أَلْسُنِ رسلِه.

وأصلُ عبادتِه: معرفتُهُ بما وصفَ به نفسَه في كتابه وما وصفَه به رسلُه؛ ولهذا كانَ مذهبُ السلفِ أنهم يصفُونَ اللهَ بما وصفَ به نفسَه وما وصفَه به رسلُه من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غيرِ تكييفٍ ولا تمثيلٍ والذينَ يُنكرونَ بعضَ ذلكَ ما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِهِ وما عَرَفُوهُ حقَّ مَعْرفتِهِ ولا وَصفُوه حقَّ صفتِه ولا عبدُوهُ حقَّ عبادَتِهِ.

واللهُ سبحانه قد ذكرَ هذه الكلمةَ ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ في ثلاثِ مواضعٍ؛ ليثبتَ عظمتَه في نفسه وما يستحقُّه من الصفاتِ وليثبتَ وحدانيَّته وأنَّه لا يستحقُّ العبادةَ إلا هو وليثبتَ ما أنزَلَهُ على رسلِه فقالَ في الزمرِ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [الزمر:٦٧] الآية، وقال في الحجِّ: ﴿**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الحج:٧٣-٧٤]، وقال

(٥٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٢٩).

في الأنعامِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

وفي المواضعِ الثلاثةِ ذمَّ الذين ما قدرُوه حقَّ قدرِه منَ الكفارِ فدلَّ ذلك على أنه يجبُ على المؤمنِ أن يقدُرَ اللهَ حقَّ قدرِه كما يجبُ عليه أن يتقِيَهُ حقَّ تقاتِه وأن يجاهدَ فيه حقَّ جهادِه قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج:٧٨]، وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢]، والمصدرُ هنا مضافٌ إلى مفعولٍ والفاعلُ مرادٌ أي حقَّ جهادِه الذي أمرَكُم به وحقَّ تقاتِه التي أمرَكُم بها واقدرُوه قدرَه الذي بيَّنَه لكم وأمرَكم به فصدِّقُوا الرسولَ فيما أخبرَ وأطيعُوه فيما أوجبَ وأمرَ.

وأما ما يخرجُ عن طاقةِ البشرِ، فذلك لا يُذَمُّ أحدٌ على تركِه قالتْ عائشةُ: فاقدرُوا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السنِّ الحريصةِ على اللهوِ. ودلت الآيةُ على أنَّ له قدرًا عظيمًا؛ لا سيّما قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وفي تفسيرِ ابنِ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ قال: من آمنَ بأنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ فقدْ قَدَرَ اللهَ حقَّ قدْرِه.

وقدْ ثبتَ في الصحيحينِ من حديثِ ابنِ مسعودٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأَ هذه الآيةَ لما ذكرَ له بعضُ اليهودِ أنَّ اللهَ يحملُ السمواتِ على أصبعٍ والأرضينَ على أصبعٍ والجبالَ على أصبعٍ والشجرَ والثرى على أصبعٍ وسائرَ الخلقِ على أصبعٍ؛ فضحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ تعجبًا وتصديقًا لقولِ الحبرِ وقرأَ هذهِ الآيةَ.

وعن ابن عباسٍ قال: مرَّ يهوديٌّ بالنبيِّ ﷺ فقال: يا أبا القاسِمِ ما تقولُ إذا وضعَ اللهُ السماءَ على ذِهِ؟ والأرضَ على ذِهِ والجبالَ والماءَ على ذِهِ وسائرَ الخلقِ على

ذِهِ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾ رواهُ الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ والترمذيٌّ من حديثِ أبي الضحى عنِ ابنِ عباسٍ وقال غريبٌ حسنٌ صحيحٌ.

وهذا يقتضي أنّ عظمَتَه أعظمُ مِمَّا وصفَ ذلكَ الحبرُ فإنّ الذي في الآيةِ أبلغُ كما في الصحيحينِ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ r قالَ: «**يقبضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ ويطوي السماءَ بيمينه ثم يقولُ: أنا الملكُ أين ملوكُ الأرضِ**».

وفي الصحيحين عن ابنِ عمرَ قال: قالَ رسولُ اللهِ r : «**يطوي اللهُ السمواتِ يومَ القيامةِ ثمّ يأخُذُهُنَّ بيدِه اليمنى. ثم يقول: أينَ الملوكُ؟ أين الجبارونَ؟ أين المتكبرونَ؟**». ورواهُ مسلمٌ أبسطَ من هذا وذكرَ فيه أنّه يأخذُ الأرضَ بيدِه الأخرى.

وقدْ روى ابنُ أبي حاتمٍ: حدثنا أبي ثنا عمرُو بن رافعٍ ثنا يعقوبُ بن عبدِ اللهِ عن جعفرَ عن سعيدٍ بن جبيرٍ قال: تكلّمَتِ اليهودُ في صفةِ الربِّ ــ تبارك وتعالى ــ فقالُوا ما لم يعلَمُوا ولم يَرَوْا فأنزلَ اللهُ على نبيِّه: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ فجعلَ صفتَه التي وصفُوه بها شِركًا. وقال: حدثنا أبي ثنا أبو نعيمٍ ثنا الحكمُ يعني أبا معاذٍ عن الحسنِ قال: عَمَدَتِ اليهودُ فنظرُوا في خلقِ السمواتِ والأرضِ والملائكةِ فلما فرَغُوا أخذُوا يقدرُونَه فأنْزَلَ اللهُ تعالى على نبيِّه: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ وهذا يدلٌ على أنّه أعظمُ مما وصفُوه وأنهم لم يقدُرُوه حقَّ قدرِه.

وقوله: ﴿**عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ فكلٌّ من جعلَ مخلوقًا مثلًا للخالقِ في شيءٍ من الأشياءِ فأحَبَّه مثلَ ما يحبُّ الخالقَ أو وصَفَه بمثلِ ما يوصَفُ به الخالقُ فهو مشركٌ سوَّى بينَ اللهِ وبينَ المخلوقِ في شيءٍ من الأشياءِ فعَدَلَ بربِّه.

والربُّ تعالى لا كُفْؤَ لهُ ولا سَمِيَّ لَهُ ولا مِثْلَ له ومَنْ جعَلَهُ مثلَ المعدومِ والممتنعِ فهو شرٌّ من هؤلاءِ فإنَّه معطِّلٌ ممثِّلٌ والمعطِّلُ شرٌّ من المشركِ.

والله ثَنَّى قصةَ فرعونَ في القرآنِ في غيرِ موضعٍ؛ لاحتياجِ الناسِ إلى الاعتبارِ بها فإنه حَصَلَ له من الملكِ ودعوى الربوبيةِ والإلهيةِ والعلوِّ ما لم يحصُلْ مثلَهُ لأحدٍ من المعطِّلِينَ وكانتْ عاقِبَتُه إلى ما ذَكَرَ اللهُ تعالى وليسَ للهِ صفةٌ يماثِلُهُ فيها غيرُه؛ فلهذا لم يَجُزْ أن يُستَعْمَلَ في حقِّهِ قياسُ التمثيلِ ولا قياسُ الشمولِ الذي تَستَوِي أفرادُه فإنَّ ذلك شركٌ؛ إذ سُوِّيَ فيه بالمخلوقِ؛ بل قياسُ الأولى.

فإنَّه سبحانه له المثلُ الأعلى في السمواتِ والأرضِ فهو أحقُّ من غيرِه بصفاتِ الكمالِ وأحقُّ من غيرِه بالتَّنْزيهِ عن صفاتِ النقصِ(٥٣).

ويدعو ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ إلى التأملِ في القرآنِ بهدفِ الوصولِ إلى تعظيمِ اللهِ تعالى ومحبَّتِه وإفرادِه بالعبادةِ والطاعةِ، قالَ رحمهُ اللهُ: «تأمل خطابَ القرآنِ تجدْ ملكًا له المُلكُ كلُّه، وله الحمدُ كلُّه، أزِمَّةُ الأمورِ كلُّها بيدِه، ومصدَرُها منه، ومردُّها إليه، لا تَخْفَى عليه خَافِيةٌ في أقطارِ مملكتِهِ، عليمًا بما في نفوسِ عبيدِه، مُطَّلِعًا على أسرارِهم وعلانيَتِهم، منفَرِدًا بتدبيرِ المملكةِ، يسمعُ، ويرى، ويعطي، ويمنعُ، ويثيبُ، ويعاقبُ، ويُكرمُ، ويُهينُ، ويخلقُ، ويرزقُ، ويُميتُ، ويُحيي، ويقدِّرُ، ويقضي، ويدبِّرُ. الأمورُ نازلةٌ من عندِه دقيقُها وجليلُها، وصاعدةٌ إليه لا تَتَحَرَّكُ في ذرَّةٍ إلا بإذْنِه، ولا تسقُطُ ورقةٌ إلا بعلْمِه.

فتأملْ كيفَ تجِدُهُ يثني على نفسِه، ويمجِّدُ نفسَه، ويحمَدُ نفسَهُ، وينصَحُ عبادَه،

(٥٣) الفرقان (ص: ٧٥).

ويدُلُّهم على ما فيه سعادَتُهم وفلاحُهم ويرغبُهم فيه، ويحذِّرُهم مما فيه هلاكُهم. ويتعرَّضُ إليهم بأسمائِه وصفاتِه، ويتحبَّبُ إليهم بنعمِهِ وآلائِه. فيذكِّرُهم بنعَمِهِ عليهم، ويأمرُهم بما يَسْتَوْجِبُون به تمامَها، ويحذِّرُهم من نِقَمِهِ، ويذكِّرُهم بما أعدَّ لهم من الكرامةِ إن أطاعُوه، وما أعدَّ لهم من العقوبةِ إن عَصَوْهُ. ويخبرُهم بصُنْعِه في أوليائِهِ وأعدائِهِ، وكيفَ كانتْ عاقبةُ هؤلاءِ وهؤلاءِ. ويثني على أوليائِهِ بصالحِ أعمالِهم، وأحسنِ أوصافِهِم، ويذمُّ أعداءَه بسيِّئِ أعمالِهم، وقبيحِ صفاتِهم.

ويضربُ الأمثالَ، وينوِّعُ الأدلةَ والبراهينَ، ويجيبُ عن شُبهِ أعدائِه أحسنَ الأجوبَةِ، ويصدِّقُ الصادق، ويكذِّبُ الكاذبَ، ويقولُ الحقَّ، ويهدي السبيلَ.

ويدعو إلى دارِ السلامِ، ويذكرُ أوصافَها وحسنَها ونعيمَها، ويحذِّرُ من دارِ البوارِ، ويذكُرُ عذابَها وقبْحَها وآلامَها، ويُذَكِّرُ عبادَه فقرَهم إليهِ، وشدةَ حاجَتِهم إليه من كلِّ وجهٍ، وأنهم لا غنىً لهم عنه طرفةَ عينٍ، ويذكُرُ غنَاهُ عنهم وعن جميعِ الموجوداتِ، وأنه الغنيُّ بنفسِه عن كلِّ ما سوَاهُ، وكلُّ ما سواهُ فقيرٌ إليه بنفسِه، وأنه لا ينَالُ أحدٌ ذرةً من الخيرِ فما فوقَها إلا بفضْلِه ورحمَتِه، ولا ذرَّةً من الشَّرِّ فما فوقَها إلا بعدْلِه وحكمَتِه.

ويشهدُ من خطابِه عتابَه لأحبابِه ألطفَ عتابٍ، وأنَّه معَ ذلك مُقيلُ عثراتِهم، وغافرُ زلاتِهم، ومقيمُ أعذارِهم، ومصلحُ فسادِهم، والدافعُ عنْهُم، والمحامِي عنهُم، والناصرُ لهم، والكفيلُ بمصالحِهم، والمنجي لهم من كلِّ كربٍ، والموفِّي لهم بوعدِه، وأنه وليُّهم الذي لا وليَّ لهم سوَاهُ، فهو مولاهُم الحقُّ، ونصيرُهم على عدوِّهم؛ فنعمَ المولى ونعمَ النصيرُ.

فإذا شهدتِ القلوبُ من القرآنِ ملكًا عظيمًا، رحيمًا، جوادًا، جميلًا، هذا شأنُه؛ فكيفَ لا تحبُّه، وتُنافِسُ في القربِ منه، وتنفِقُ أنفاسَها في التودُّدِ إليه، ويكونُ أحبَّ إليها من كلِّ ما سوَاهُ، ورضَاهُ آثَرُ عندَها من رضَا كلِّ ما سوَاهُ؟**!** وكيفَ لا تَلْهَجُ بذِكْرِه، ويصيرُ حبُّه، والشوقُ إليه، والأنسُ به، هو غذاؤُها وقوتُها ودواؤُها؛ بحيثُ إن فَقَدَتْ ذلكَ فَسَدَتْ وهلكَت و لم تَنْتَفِعْ بحياتِها؟**!**

* * *

تجلياتُ الله تعالى في القرآن[٥٤]

القرآنُ كلامُ اللهِ، وقدْ تجلّى اللهُ فيه لعبادِهِ بصفاتِهِ، فتارةً يتجلّى في جلبابِ الهيبةِ والعظمةِ والجلالِ؛ فتخضَعُ الأعناقُ، وتنكَسِرُ النُّفوسُ، وتَخْشَعُ الأصواتُ، ويذوبُ الكِبْرُ كما يذوبُ الملحُ في الماءِ. وتارةً يتجلّى في صفاتِ الجمالِ والكمالِ، وهو كمالُ الأسماءِ، وجمالُ الصفاتِ، وجمالُ الأفعالِ الدالُّ على كمالِ الذاتِ؛ فيستنفذُ حُبُّه من قلبِ العبدِ قُوةَ الحبِّ كلِّها، بحسبِ ما عَرَفَهُ من صفاتِ جمالِه ونعوتِ كمالِه، فيصبحُ فؤادُ عبدِه فارغًا إلّا من محبّتِه، فإذا أرادَ منه الغيرُ أن يُعلِّقَ تلكَ المحبةِ به أَبَى قلبُه وأحشاؤُه ذلكَ كلَّ الإباءِ، كما قيلَ:

يُرادُ من القلبِ نسيانُكُم وتَأْبَى الطباعُ على النّاقلِ

فتبقَى المحبةُ له طبعًا لا تكلفًا..

وإذا تجلّى بصفاتِ الرحمةِ والبرِّ واللُّطفِ والإحْسانِ، انبعثَتْ قوَّةُ الرجاءِ من العبدِ، وانبَسَطَ أمَلُهُ ، وقويَ طمعُهُ، وسارَ إلى ربِّه وحادِي الرجاءِ يحدُو ركابَ سيرِه. وكلّما قوِيَ الرِّجاءُ، جدَّ في العملِ، كما أنّ الباذرَ كلّما قويَ طمعُه في المغلِّ[٥٥] غلقَ أرضَه بالبذرِ، وإذا ضَعُفَ رجاؤُه قصَّرَ في البَذْرِ.

وإذا تجلّى بصفاتِ العدلِ والانتقامِ والغضبِ والسخطِ والعقوبةِ، انقمعتِ[٥٦] النفسُ الأمّارةِ، وبطلتْ أو ضعفتْ قُوَاها: من الشهوةِ، والغضبِ، واللهوِ،

---

(٥٤) الفوائد (ص:١٠٥-١٠٨).

(٥٥) المغلّ: هنا بمعنى ناتج الأرض.

(٥٦) قمعه وأقمعه: أي قهره وأذله (فانقمع).

واللعبِ، والحرصِ على المحرماتِ، وانقبضتْ أعِنَّةُ[٥٧] رعوناتِها[٥٨]؛ فأحضَرَت المطيةُ حظَّها من الخوفِ والخشيةِ والحذرِ.

وإذا تجلّى بصفاتِ الأمرِ والنهيِ والعهدِ والوصيةِ وإرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ وشرعِ الشرائعِ، انبعثَ منها قوةُ الامتثالِ والتنفيذِ لأوامرِه، والتبليغِ لها، والتواصي بها، وذكرِها، وتذكُّرِها، والتَّصديقِ بالخبرِ، والامتثالِ للطلبِ، والاجتنابِ للنهيِ.

وإذا تجلّى بصفاتِ السمعِ والبصرِ والعلمِ، انبعثتْ منَ العبدِ قوةُ الحياءِ؛ فيستحيِي من ربِّه أن يرَاهُ على ما يكرَهُ، أو يسمَعُ منه ما يكرَهُ، أو يخفِي في سريرَتِهِ ما يمقتُهُ عليه؛ فتبقى حركاتُه وأقوالُه وخواطرُه موزونةٌ بميزانِ الشرعِ، غيرَ مهملةٍ ولا مرسَلَةٍ تحتَ حكمِ الطبيعةِ والهوى.

وإذا تجلّى بصفاتِ الكفايةِ والحسْبِ، والقيامِ بمصالحِ العبادِ، وسوقِ أرزاقِهم إليهم، ودفعِ المصائبِ عنهم، ونصرِه لأوليائِه، وحمايتِه لهم، ومعيَّتِه الخاصةِ لهم، انبعثَ من العبدِ قوةُ التوكلِ عليه، والتفويضُ إليه، والرضَا به وبكلِّ ما عَلِمَ العبدُ بكفايةِ اللهِ وحسنِ اختيارِه لعبدِه وثقتِه به ورضَاهُ بما يفعَلُهُ به ويختارُه له.

وإذا تجلّى بصفاتِ العزِّ والكبرياءِ، أعطَتْ نفسُهُ المطمئنةُ ما وصلتْ إليه من الذلِّ لعظمتِه، والانكسارِ لعزَّتِه، والخضوعِ لكبريائِه، وخشوعِ القلبِ والجوارحِ له؛

---

(٥٧) أعِنة: جمع (عِنان)، وهو سير اللجام الذي يمسك.

(٥٨) الرُّعُونة: الحمق والاسترخاء.

فتعلُوه السكينةُ والوقارُ في قلبِه ولسانُه وجوارحُه وسمتُه[٥٩]، ويذهبُ طَيشُه وقوتُه وحدتُه.

وجماعُ ذلك: أنه سبحانه يتعرفُ إلى العبدِ بصفاتِ إلهيِّتِه تارةً، وبصفاتِ ربوبيِّتِه تارةً؛ فيوجبُ له شهودُ صفاتِ الآلهيةِ المحبةَ الخاصَّةَ، والشوقَ إلى لقائِه، والأنسَ والفرحَ به، والسرورَ بخدمتِه، والمنافسةَ في قربه، والتودُّدَ إليه بطاعتِه، واللّهَجَ بذكْرِه، والفرارَ من الخلقِ إليه، ويصيرُ هو وحدَهُ هَمَّهُ دونَ ما سوَاهُ. ويوجبُ له شهودُ صفاتِ الربوبيةِ التوكلَ عليه، والافتقارَ إليه، والاستعانةَ به، والذلَّ والخضوعَ والانكسارَ له.

وكمالُ ذلكَ أن يشهدَ ربوبيِّتَهُ في إلهيتِه، وآلهيِّتَه في ربوبيِّتِه، وحمدَه في ملْكِهِ، وعزَّه في عفْوِه، وحكمَتَه في قضائِه وقدرِه، ونعمتَه في بلائِه، وعطاءَه في منعِه، وبرَّه ولطفَه وإحسانَه ورحمتَه في قيُّوميَّتِه، وعدلَه في انتقامِه، وجودَه وكرمَه في مغفرتِه، وسترِه وتجاوُزِه. ويشهدَ حكمتَه ونعمتَه في أمرِه ونهيِه، وعزَّه في رضَاهُ وغضبِه، وحِلمَه في إمهالِه، وكرمَه في إقبالِه، وغنَاهُ في إعراضِه.

* * *

(٥٩) سمته: هيئته.

تعظيمُ النبيِّ r لربِّه

إذا كان التعظيمُ ثمرةً من ثمراتِ المعرفةِ فقد كان النبيُّ r أعرفَ الخلقِ بربِّه، وكيفَ لا يكونُ كذلكَ وهو الذي اصطفَاهُ ربُّه وعلّمَه ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ [النساء:١١٣]، ومنْ تدبَّرَ في عبادةِ النبيِّ r وذكرِهِ ودعائِه ولجوئِه إلى ربِّه عَلِمَ أنَّهُ أعظَمُ من عَظَّمَ الله تعالى، فقدْ كان r يقومُ من الليلِ حتى تتفطَّرَ قدماه، فقالتْ له عائشة رضي الله عنها: تفعلُ ذلك وقد غُفِرَ لك ما تقدمَ من ذنبِك وما تأخرَ!! فقال r : «**أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا**»(٦٠).

ومن تعظيمِ النبيِّ r لربِّه أنه كان يسدُّ جميعَ الأبوابِ التي تُفضِي إلى الغلوِّ فيه وإخراجِه عن حدودِ العبوديةِ والرسالةِ التي أَنْزَلَهُ اللهُ تعالى إيَّاها، فكان r يقولُ: «**لا تُطْروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريمَ، إنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ اللهِ ورسولُه**»(٦١).

وعن محمدِ بن جبيرِ بن مطعِمٍ عن أبيه قال: أتى رسولَ اللهِ r أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله! جَهِدت الأنفسُ، وضاعتِ العيالُ، ونُهكتِ الأموالُ، وهلكتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللهَ لنا، فإنا نستشفِعُ بكَ على اللهِ، ونستشْفِعُ باللهِ عليكَ. فقال رسولُ اللهِ r : «**ويحك! أتدري ما تقولُ؟**»، وسبَّحَ رسولُ اللهِ r ، فما زالَ يسبِّحُ حتى عُرِفَ ذلك في وجوهِ أصحابِه، ثم قال: «**إنَّه لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على أحدٍ من خَلْقِه، شأن**

---

(٦٠) البخاري (١١٣٠)، مسلم (٢٨١٩)، الترمذي (٤١٢).
(٦١) البخاري (٣٤٤٥)، مسلم (١٦٩١)، أحمد (١٥٥).

اللهِ أعظمُ من ذلك»(٦٢).

وعن ابن عباسٍ قال: قال رجلٌ للنبيِّ r: ما شاءُ اللهُ وشئتَ، فقال r: «**أَجَعَلْتني للهِ ندًّا، لا بل ما شاءَ اللهُ وحدَهُ**»(٦٣).

وعن عبدِ اللهِ بن الشخيرِ قال: انطلقتُ في وفدِ بني عامرٍ إلى رسولِ اللهِ r فقلنا: أنت سيدُنا. فقال: «**السيدُ اللهُ**» فقلنا: وأفضلُنا فضلًا وأعظمُنا طَوْلًا. فقال r: «**قولوا بقولِكم أو بعضِ قولِكم، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشيطانُ**»(٦٤).

قال في (النهاية): «أي لا يَسْتَغْلِبَنَّكُم فيتخِذُكم جَرِيًّا، أي رسولًا ووكيلًا، وذلك أنهم كانوا مَدَحُوه، فَكَرِهَ لهمُ المبالغةَ في المدحِ، فنهاهم عنه»(٦٥).

وقولُه r: «**السيدُ اللهُ**» أي السؤددُ على الحقيقةِ إنما هو للهِ U، لأنه المتصفُ بذلك على الإطلاقِ فهو الذي الخلقُ خلقُه، والملكُ ملكُه، وهو المتفضلُ بكلِّ النِّعَمِ، وهو المتصرفُ في الخلقِ كيفَ شاءَ، وهو صاحبُ السؤددِ على الحقيقةِ، وأما غيرُه ممن حصَّل سؤددًا فإنما هو سؤددٌ ناقصٌ وغيرُ كاملٍ، ولهذا فإن النبيَّ r أخبر عن نفسِه بأنه سيدُ ولدِ آدمَ r، وهو سيدُهم في الدنيا والآخرةِ ـــ صلواتُ اللهِ وسلامِه وبركاتِه عليه ـــ، ولكنَّ السؤددَ الذي يليقُ بالإنسانِ، للرسولِ r منه الحظُّ الأكبرُ والنصيبُ الأوفرُ، وأما السؤددُ الكاملُ على الحقيقةِ فهو للهِ U... فالرسولُ r لحمايَتِه جنابَ التوحيدِ، ولحرصِه على ألا يحصلَ غلوٌّ يُؤَدِّي إلى محذورٍ أرشدَ ـــ عليه

(٦٢) رواه أبو داود (٤١٠١) بسند فيه ضعف.
(٦٣) رواه أحمد (١٧٤٢).
(٦٤) رواه أبو داود (٤١٧٢)، وأحمد (١٥٧٢٦).
(٦٥) النهاية (٧٣٩/١) ط: الشاملة.

الصلاةُ والسلامُ ــ وبيَّنَ أن السيدَ هو اللهُ وأن السؤددَ الحقيقيَّ إنما هو للهِ I (٦٦).

وكان النبيُّ r يعظمُ اللهَ تعالى من خلالِ تدبرِ آياتِ القرآنِ، وكان r يخشى من نزولِ العذابِ على هذه الأمةِ ففي صحيحِ البخاريِّ من حديثِ جابرِ بن عبدِ اللهِ t قالَ: لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ**﴾ قال رسولُ اللهِ r: «**أعوذ بوجهك**». قال: ﴿**أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾ قالَ النبيُّ r: «**أعوذُ بوجهِكَ**» قال: ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ قالَ رسولُ اللهِ r: «**هذا أهونُ أو هذا أيسرُ**»(٦٧).

وكان r إذا رأى غيمًا عُرِفَ في وجْهِه، قالت عائشةُ: يا رسولَ اللهِ! الناسُ إذا رأَوُا الغيمَ فَرِحُوا، رجاءَ أن يكونَ فيه المطرُ، وأَراكَ إذا رأيتَ غَيْمًا عُرِفَ في وجْهِكَ الكراهَيَةُ! فقال: «**يا عائشةُ! وما يُؤَمِّنني أن يكونَ فيه عذابٌ؟ قد عُذِّبَ قومٌ بالريحِ، وقد رأى قومٌ العذابَ فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾** [الأحقاف:٢٤]»(٦٨).

وكان r من تعظيمِه لربِّه يتأثرُ بالآياتِ التي يخوفُ اللهُ بها عبادَه فعن عبدِ اللهِ بن عمرٍو t قالَ: انكسَفَتِ الشمسُ يومًا على عهدِ رسولِ اللهِ r، فقامَ رسولُ اللهِ r يصلِّي، فلم يَكَدْ أن يسجُدَ ثم سَجَدَ، فلم يكد أن يَرْفَعَ رأسَهُ، فجعلَ ينفُخُ ويبكِي ويقولُ: «**ربِّ ألم تَعِدْني ألا تعذِّبَهم وأنا فيهم؟ ربِّ ألم تَعِدْني ألا تعذِّبَهم وهم يستغفرون؟ ونحن نستغفِرُك**»، فلما صلّى ركعتينِ انجلَت الشمسُ، فقامَ فحمِدَ

(٦٦) انظر شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد (٢٧/٤٤٦)، ط. الموسوعة الشاملة.
(٦٧) رواه البخاري (٤٢٦٢)، والترمذي (٢٩٩١).
(٦٨) رواه البخاري (٤٤٥٤)، ومسلم (١٤٩٧).

اللهَ تعالى وأثنَى عليه ثم قال: «**إنّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللهِ، لا ينكسِفَانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا انكسَفَا، فَافْزَعُوا إلى ذكرِ اللهِ**»[٦٩].

وقد ذكرْنا شيئًا من تعظيمِ النبيِّ r لربِّه في أمهاتِ العبادةِ كالصلاةِ والحجِّ وذكرِ الله تعالى.

* * *

(٦٩) رواه أبو داود (١١٩٤)، والنسائي (٥٤٧).

أحاديث نبويةٌ في تعظيمِ الله I

وعن أبي هريرةَ t ، أن رسولَ الله r قال: «**يدُ اللهِ ملْأَى لا يغيضُها**[٧٠] **نفقةٌ، سَحَاءَ الليلَ والنهارَ**»، وقال: «**أرأيتُم ما أنفقَ منذُ خلقَ السمواتِ والأرضَ، فإنَّه لم يُغِضْ ما في يدِه**»، وقال: «**وكانَ عرشُه على الماءِ، وبيدِه الأخرى الميزانُ يخفضُ ويرفعُ**»[٧١] [متفق عليه].

وكان النبيُّ r يأمرُ بتعظيمِ اللهِ U في الصلاةِ، فقال: «**أمَّا الركوعُ فعظِّمُوا فيهِ الربَّ**»[٧٢].

عن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله r : «**يطوِي اللهُ عزَّ وجلَّ السمواتِ يومَ القيامةِ، ثم يأخُذُهنَّ بيدِه اليمْنَى ثم يقولُ: أنا الملكُ أينَ الجبارونَ؟ أينَ المتكبِّرونَ؟ ثم يطوِي الأرضينَ بشمالِه ثم يقولُ: أنا الملكُ، أينَ الجبارونَ؟ أينَ المتكبرونَ؟**»[٧٣] [رواه مسلم].

وعن النبيِّ r قال: «**إن اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفضُ القسطَ ويرفعُه، يُرفَعُ إليه عملُ النهارِ قبلَ عملِ الليلِ، وعملُ الليلِ قبلَ عملِ النهارِ، حجابُه النورُ، لو كَشَفَهُ لأحرقَتْ سُبُحاتِ وجْهِه، ما انتَهَى إليه بصرُه من خلقِه**»[٧٤].

---

(٧٠) يغيضها: ينقصها.
(٧١) رواه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).
(٧٢) رواه مسلم (٤٧٩)، وأبو داود (٨٧٦).
(٧٣) رواه مسلم (٢٧٨٨).
(٧٤) رواه مسلم حديث رقم (٤٤٥).

وعن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ t قالَ: جاءَ حبرٌ إلى النبيِّ r فقال: يا محمدُ! أو يا أبا القاسمِ! إنّ الله تعالى يُمْسِكُ السمواتِ يومَ القيامةِ على إصبعٍ، والأرضينَ على إصبعٍ، والجبالَ والشجرَ على إصبعٍ، والماءَ والثرى على إصبعٍ، وسائرَ الخلقِ على إصبعٍ ثم يهزُّهُنَّ فيقولُ: أنا الملكُ، أنا الملكُ، فضَحِكَ رسولُ اللهِ r تعجُّبًا مما قالَ الحبرُ، تصديقًا له ثمّ قرأَ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر:٦٧]»(٧٥).

وقال r: «**إنّ اللهَ تعالى يقولُ: إن العِزّ إِزَارِي، والكبرياءَ ردائِي، فمن نازَعَني فيهما عذَّبتُهُ**»(٧٦).

وقال r: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُهُ اللهُ يومَ القيامةِ، ليسَ بينَه وبينَه ترجمان، فينظرُ أيمنَ منه، فلا يرَى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ أشأمَ**(٧٧) **منه، فلا يرَى إلا ما قدّمَ، وينظرُ بين يديْهِ، فلا يَرَى إلا النّارَ تلقاءَ وجهِهِ، فاتّقُوا النّارَ، ولو بشقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيبةٍ**»(٧٨).

وقال r: «**إن أحدَكم يُجمعُ خلقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفةً، ثم يكونُ علقةً مثل ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلك، ثم يبعثُ اللهُ إليه مَلَكًا، ويؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، ويقالُ له: اكتبْ علمهُ، ورزقهُ، وأجلهُ، وشقيٌّ أم سعيدٌ، ثم ينفخُ فيه**

(٧٥) متفق عليه البخاري (٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٧٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٢)، وقال الألباني: صحيح.
(٧٧) أي: جهة شماله.
(٧٨) البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

الروحَ، فإنَّ الرجلَ منكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، حتى لا يكونُ بينهُ وبينَها إلَّا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ، فيدخلُ النارَ. وإنّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتى ما يكونُ بينَهُ وبينها إلَّا ذراعٌ، فيسبقُ عليهِ الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، فيدخلُ الجنةَ»[٧٩].

عن أبي ذرٍّ الغفاري ا عن النبي صلى الله عليه وآله فيما يرويه عن ربه U أنه قال:«**يا عبَادي إنّي حرّمْتُ الظُّلمَ علَى نفسِي وجعلتُهُ بينكم مُحرَّمًا فلا تظّالموا.**

يَا عِبادِي كُلكُم ضَالٌّ إلّا من هديتُه فاستَهْدُوني أَهْدِكُم.

يَا عِبادِي كُلكُم جَائِعٌ إلّا من أَطْعمتُهُ فاستَطعمُوني أُطعِمْكُم.

يَا عِبادِي كُلكُم عَارٍ إلّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُم.

يَا عِبادِي إنكم تُخطِئون باللّيلِ والنّهارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فاستغفروني أغفر لكم.

يَاعِبادِي إنّكم لن تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضَروني وَلَنْ تَبْلغُوا نَفْعِي فتنفعُوني.

يَا عِبادِي لو أَنّ أَوّلكم وآخرَكم وإِنْسَكُمْ وجنّكُم كانوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلكَ في ملكي شيئا.

يَا عِبادِي لو أَنّ أوّلكم وآخرَكم وإنسَكُم وجنّكُم كانوا عَلَى أَفْجرِ قلب رَجُلٍ واحدٍ منكم ما نَقَصَ ذلك من مُلكي شيئا.

---

(٧٩) البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، والترمذي (٢١٣٧).

يَا عِبادِي لو أَنّ أوّلكم وآخرَكم وإنسَكُم وجنّكُم قاموا في صَعيدٍ وَاحدٍ فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسألته ما نقصَ ذلكَ مما عندي إلّا كما ينقصُ المخيط إذا أُدخِلَ البحر.

يَا عِبادِي إنّما هي أعمالُكُم أُحْصِيها لكُم ثُمّ أوفيكم إيّاهَا فمن وَجَدَ خيرًا فليحمدِ اللهَ، ومَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يلومنّ إلّا نفسه» [رواه مسلم].

قوله: «**إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما**».

قال ابن دقيق العيد: «قال بعض العلماء: معناه لا ينبغي لي ولا يجوز علي كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا**﴾ [مريم:٩٢]، فالظلم محال في حق الله تعالى. قال بعضهم في هذا الحديث: لا يسوغ لأحد أن يسأل الله تعالى أن يحكم له على خصمه إلا بالحق بقوله سبحانه:«**إني حرمت الظلم على نفسي**»، فهو سبحانه لا يظلم عباده فكيف يظن ظان أنه يظلم عباده لغيره؟

وكذلك قال: «**فلا تظالموا**» المعنى: المظلوم يقتص له من الظالم، وحذفت إحدى التاءين تخفيفًا أصله: فلا تتظالموا.

وقوله:«**كُلُّكُم ضَالٌ إلّا من هديتُه،... وكلُّكُم عَارٍ إلّا مَن كسوتُه... وكلكم جائعٌ إلّا من أطعمتُه...**».

تنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا ودفع مضارنا إلا أن يعيننا الله سبحانه على ذلك، وهو يرجع إلى معنى: **لا حول ولا قوة إلا بالله**. وليعلم العبد أنه إذا رأى آثار هذه النعمة عليه أن ذلك من عند الله ويتعين عليه شكر الله تعالى وكلما ازداد من ذلك يزيد في الحمد والشكر لله تعالى.

وقوله:«**فاستهدوني أهدكم**» أي اطلبوا مني الهداية أهدكم والجملة في ذلك أن يعلم العبد أنه طلب الهداية من مولاه فهداه ولو هداه قبل أن يسأله لم يبعد أن يقول: إنما أوتيته على علم عندي. وكذلك «**كلكم جائع**» إلى آخره يعني أنه خلق الخلق كلهم ذوي فقر إلى الطعام فكل طاعم كان جائعا حتى يطعمه الله بسوق الرزق إليه وتصحيح الآلات التي هيأها له فلا يظن ذو الثروة أن الرزق الذي في يده وقد رفعه إلى فيه أطعمه إياه أحد غير الله تعالى وفيه أيضا أدب للفقراء كأنه قال: لا تطلبوا الطعام من غيري فإن هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذي أطعمهم «**فاستطعموني أطعمكم**»، وكذلك ما بعده.

وقوله: «**إنكم تخطئون بالليل والنهار**».

في هذا الكلام من التوبيخ ما يستحي منه كل مؤمن وكذلك أن الله خلق الليل ليطاع فيه ويعبد بالإخلاص حيث تسلم الأعمال فيها غالبا من الرياء والنفاق أفلا يستحي المؤمن أن لا ينفق الليل والنهار [في الطاعة] فإنه خلق مشهودا من الناس فينبغي من كل فطن أن يطيع الله فيه أيضا ولا يتظاهر بين الناس بالمخالفة وكيف يحسن بالمؤمن أن يخطئ سرا أو جهرا لأنه سبحانه وتعالى قد قال بعد ذلك: «**وأنا أغفر الذنوب جميعًا**» فذكر الذنوب بالألف واللام التي للتعريف وأكدها بقوله: «**جميعا**» وإنما قال ذلك قبل أمره إيانا بالإستغفار لئلا يقنط أحد من رحمة الله لعظم ذنب ارتكبه.

قوله: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم**» إلى آخره ..

فيه ما يدل على أن تقوى المتقين رحمة لهم وأنها لا تزيد في ملكه شيئًا.

وأما قوله: «**لو أنّ أوّلكم وآخرَكُم وإنسَكُم وجنّكُم قاموا في صعيد واحد**».

إلى آخره ففيه تنبيه الخلق على أن يعظموا المسألة ويوسعوا الطلب، ولا يقتصر سائل ولا يختصر طالب؛ فإن ما عند الله لا ينقص، وخزائنه لا تنفد، فلا يظن ظان أن ما عند الله يغيضه الإنفاق كمال قال r في الحديث الآخر: «**يدُ الله مَلْأَى لا يغُيضُها نفقةٌ سَحَاء الليلِ والنّهار أرأيتُم مَا أنفَقَ منذُ خلقَ السّموات والأرضَ فإنّه لم يغضْ مَا في يَمينه**» وسر ذلك أن قدرته صالحة للإيجاد دائما لا يجوز عليها عجز ولا قصور والممكنات لا تنحصر ولا تتناهى.

وقوله: «**إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**».

هذا مثل قصد به التقريب إلى الأفهام بما نشاهده، والمعنى: أن ذلك لا ينقص مما عنده شيئا والمخيط ـــ بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء ـــ: هو الإبرة.

وقوله: «**إنّما هي أعمالُكم أُحصيهَا لَكُم، ثُمّ أُوفِيكُم إيّاهَا فمن وَجدَ خيرًا فليحمد الله**».

يعني لا يسند طاعته وعبادته من عمله لنفسه بل يسندها إلى التوفيق ويحمد الله على ذلك.

وقوله: «**ومن وجد غير ذلك**».

لم يقل ومن وجد شرًا يعني: ومن وجد غير الأفضل.

«**فَلَا يَلُومَنّ إلّا نفسَهُ**» أكد ذلك بالنون تحذيرا أن يخطر في قلب عامل أن اللوم تستحقه غير نفسه، والله أعلم[٨٠].

(٨٠) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص:٨٠).

تعظيم الصحابة والسلف الصالح لله U

وقال ابن رجب أيضًا: «وكان خلفاءُ الرسلِ وأتباعُهم من أمراءِ العدلِ وأتباعِهم وقضاتِهم لا يَدْعُونَ إلى تعظيمِ نفوسِهم البتةَ، بل إلى تعظيمِ اللهِ وحدَه، وإفرادِه بالعبوديةِ والإلهيةِ، ومنهم من كان لا يريدُ الولايةَ إلا للاستعانةِ بها على الدعوةِ إلى اللهِ وحدَه.

وكانتِ الرسلُ وأتباعُهم يصبرونَ على الأَذَى في الدعوةِ إلى اللهِ ويتحمَّلُونَ في تنفيذِ أوامرِ اللهِ من الخلقِ غايةَ المشقةِ وهم صابرونَ بل راضونَ بذلك، كما كان عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ / يقولُ لأبيهِ في خلافَتِه: «إذا حُرِصَ على تنفيذِ الحقِّ وإقامةِ العدلِ يا أبتِ لوددتُ أني غَلَتْ بي وبك القدورُ في اللهِ U».

وقال بعضُ الصالحينَ: وددتُ أنّ جِسْمِيَ قُرِّضَ بالمقاريضِ، وأن هذا الخلقَ كلّهم أطاعُوا اللهَ U» ومعنى هذا أن صاحبَ ذلك القولِ قد يكونُ لَحَظَ نُصْحَ الخلقِ والشفقةَ عليهم من عذابِ اللهِ، وأحبَّ أن يَقِيَهم من عذابِ اللهِ بأذى نفسه، وقد يكونُ لَحَظَ جلالَ اللهِ وعظمَتِه وما يستحِقُّه من الإجلالِ والإكرامِ والطاعةِ والمحبةِ، فودَّ أنّ الخلقَ كلّهم قامُوا بذلك، وإن حَصَلَ لَهُ في نفسِه غايةُ الضَّرِرِ»[٨١].

* * *

(٨١) شرح حديث: «ما ذئبان جائعان..» (ص: ١٩).

حقيقةُ التعظيمِ:

عن ابن السماكِ قال: أوصاني أخي داودُ بوصيةٍ قال: انظر، أن لا يراك اللهُ حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيثُ أمرَكَ؛ واستحِ في قربِه منك، وقدرتِه عليك(٨٢).

وقال رجلٌ لوهيبِ بن الوردِ: عِظْنِي، قال: اتقِ أن يكونَ اللهُ أهون الناظرينَ إليك(٨٣).

قل عليَّ رقيبُ:

عن أحمدَ بنِ حنبلَ رحمه الله تعالى قال:

إذا ما خلوتَ الدهْرَ يومًا فلا تَقُلْ ... خلوتُ ولكنْ قلْ عَلَيَّ رقيبُ
ولا تحسبَنَّ اللهَ يُغْفِلُ ما مَضَى ... وأن الذي يُخْفَى عليه يغيبُ
لهوْنَا عن الأيامِ حتى تَتَابَعَتْ ... ذنوبٌ على أثارهنَّ ذنوبُ
فيا ليتَ اللهَ يغفرُ ما مضى ... ويأذنُ لي في توبةٍ فأتوبُ

حبُّ القرآنِ:

عن سفيانَ بن عيينةَ قال: لا تبلُغُوا ذِروةَ هذا الأمر، إلا حتَّى لا يكونُ شيءٌ أحبَّ إليكم من اللهِ؛ ومن أحبَّ القرآنَ، فقد أحبَّ اللهَ؛ افقهوا ما يقالُ لكم(٨٤).

لذةُ المحبة:

قال إبراهيمُ بنُ أدهمَ: لو علِمَ الناسُ لذةَ حبِّ اللهِ: لقلّتْ مطاعِمُهم،

---

(٨٢) الحلية (٧/٣٥٨).
(٨٣) الحلية (٨/١٤٢).
(٨٤) الحلية (٧/٢٧٨).

ومشارِبُهم، وحرصُهم، وذلك أنّ الملائكةَ: أحبُّوا اللّهَ، فاستغْنَوْا بذكرِه عن غيرِه[٨٥].

جنة الدنيا:

عن أبي الدرداءِ t أنه قال: لولا ثلاثُ خلالٍ، لأحببتُ أن لا أبقَى في الدنيا؛ قيلَ: وما هنَّ؟ فقال: لولا وضوعُ وجهِي للسجودِ لخالِقِي في اختلافِ الليلِ والنهارِ، يكونُ تقدمةً لحياتِي، وظمأُ الهواجرِ، ومقاعدةُ أقوامٍ ينتقونَ الكلامَ كما تُنتقى الفاكهةُ.

قال أبو نعيم: وتمامُ التقوى: أن يتقيَ اللّهَ U العبدُ، حتى يتقيَه في مثلِ مثقالِ ذرةٍ، حتى يتركَ بعضَ ما يَرَى أنَّه حلالٌ خشيةَ أن يكونَ حَرَامًا، يكونُ حاجزًا بينه وبين الحرامِ؛ إن اللّهَ تعالى قد بَيَّنَ لعبادِه الذي هو يُصَيِّرُهم إليه؛ قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:٧-٨]. فلا تَحْقِرَنّ شيئًا من الشرِ أن تتقِيَهُ، ولا شيئًا من الخير أن تفعَلَه[٨٦].

تفكيرُ الحسنِ:

عن الحسنِ قال: تَفَكُّرُ ساعةٍ، خيرٌ من قيامِ ليلةٍ[٨٧].

أفضلُ العبادةِ:

عن عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ قالَ: الكلامُ بذكرِ اللهِ حسنٌ، والفكرةُ في نعمِ اللهِ

(٨٥) الحلية (٨١/١٠).
(٨٦) الحلية (٢١٢/١).
(٨٧) الحلية (٢٧١/٦).

أفضلُ عبادةٍ[٨٨].

الفكرُ أولاً:

عن وهبِ بن مُنَبِّهٍ قال: ألم يفكِّر ابنُ آدمَ، ثمَّ يَتَفَهَّمُ ويعتبرُ، ثم يُبْصِرُ، ثم يعقِلُ ويتفقَّهُ حتى يعلَمَ؟ فيتبيَّنُ له: أنَّ للهِ حلمًا: به يخلقُ الأحلامَ، وعلمًا: به يعلمُ العلماءَ، وحكمةً: بها يُتْقِنُ الخلقَ، ويدبِّرُ بها أمورَ الدنيا والآخرةِ؛ فإنَّ ابن آدمَ، لن يبلغَ بعلْمِه المقدرِ علمَ اللهِ الذي لا مقدارَ له، ولن يبلغَ بحلمِه المخلوقِ حلمَ اللهِ الذي بِهِ خلقَ الخلقَ كله، ولن يبلغَ بحكمتِه حكمةَ اللهِ: التي بها يتقنُ الخلقَ، ويُقَدِّرُ المقاديرَ؛ وكيف يُشْبِهُ ابنُ آدمَ ربَّ ابنِ آدمَ؟ وكيف يكونُ المخلوقُ كمن خَلَقَهُ؟[٨٩].

احذر سَخَطَ ربِّك:

وعن سفيانَ الثوريِّ، قالَ: احذرْ سَخَطَ اللهِ في ثلاثٍ: احذرْ أنْ تُقَصِّرَ فيما أمرَك، واحذرْ أن يَرَاكَ وأنتَ لا تَرْضَى بما قَسَمَ لك، وأن تطلبَ شيئًا من الدنيا فلا تَجِدْهُ، أن تسخَطَ على ربِّكَ[٩٠].

تأملاتٌ:

عن جعفرَ بنِ سليمانَ قال: سمعتُ خليفةَ العبديَّ يقولُ: لو أنَّ اللهَ لم يُعْبَدْ إلا عن رؤيةٍ، ما عبدَهُ أحدٌ؛ ولكنْ المؤمنونَ تفكَّرُوا في مجيءِ هذا الليلِ إذا جاءَ، فَمَلَأَ كلَّ شيءٍ وغَطَّى كلَّ شيءٍ، وفي مَجِيءِ سلطانِ النهارِ إذا جاءَ، فمَحَا سلطانَ الليلِ؛

---

(٨٨) الحلية (٣١٤/٥).
(٨٩) الحلية (٢٣/٤-٢٤).
(٩٠) نزهة الفضلاء (٦٩٧/١).

وفي السَّحابِ المسخَّرِ بين السماءِ والأرضِ، وفي النجومِ، وفي الشتاءِ، وفي الصيفِ؛ واللهِ ما زَالَ المؤمنونَ يتفكّرُونَ فيما خلقَ ربُّهم، حتى أيقنَتْ قلوبُهم بربِّهم؛ وحتَّى كأنَّمَا عبدوا الله تعالى عن رؤيةٍ[٩١].

عبادةُ أبي الدرداءِ:

عن عونِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: سألتُ أمَّ الدرداءِ: ما كان أفضلُ عملِ أبي الدرداءِ؟ قالت: التفكرُ والاعتبارُ[٩٢].

تفكُّرُ داودَ الطائيِّ:

عن عبدِ الأعلى بنِ زيادٍ الأسلميِّ قال: رأيتُ داودًا الطائيَّ يومًا، قائمًا على شاطئِ الفراتِ، مبهوتًا؛ فقلتُ: يا أبا سليمانَ، ما يوقِفُك هنا؟ قال: انظُرْ إلى الفُلْكِ، كيفَ تجرِي في البحرِ مسخراتٍ بأمرِ اللهِ تعالى[٩٣].

كيفيةُ التعاملِ مع الأسبابِ:

وقال بنانٌ الحمالُ: رؤيةُ الأسبابِ على الدوامِ قاطعةٌ عن مشاهدةِ المسبِّبِ، والإعراضُ عن الأسبابِ جملةً، يؤدِّي بصاحِبِه إلى ركوبِ الباطلِ[٩٤].

لو كُشِفَ الغطاءُ:

وعن أحمدَ بن أبي الحواريِّ، قال: كُنتُ أسمعُ وكيعًا يبتدئُ قبلَ أن يُحَدِّثَ

(٩١) الحلية (٦/٣٠٣).
(٩٢) الحلية (٤/٢٥٣).
(٩٣) (٧/٣٥٦).
(٩٤) نزهة الفضلاء (٣/١١٦٩).

فيقولُ: ما هنالِك إلا عفوُه، ولا نعيشُ إلا في سترِه، ولو كُشِفَ الغطاءُ لكُشِفَ عن أمرٍ عظيمٍ(٩٥).

كيفيةُ المراقبةِ:

سُئِلَ عبدُ اللهِ بن فاتكٍ عن المراقبةِ فقال: إذا كنتَ غافلًا: فانظُرْ نَظَرَ اللهِ إليك؛ وإذا كنتَ قائلًا: فانظر سَمْعَ اللهِ إليك؛ وإذا كنتَ ساكتًا: فانظُرْ علمَ اللهِ فيكَ قال اللهُ تعالى: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ [طه:٤٦](٩٦).

* * *

(٩٥) نزهة الفضلاء (٢/٩٨٧).
(٩٦) الحلية (١٠/٣٥٨).

أثرُ الذنوبِ والمعاصِي في ضَعْفِ تعظيمِ الله في القلبِ

قالَ الإمامُ ابنُ القيمِ: «ومن عُقُوباتِها ــ أي الذنوبُ والمعاصي ــ أنها تُضْعِفُ في القلبِ تعظيمَ الربِّ جلَّ جلالُه وتضعِفُ وقَارَهُ في قلبِ العبدِ ولا بدَّ شاءَ أم أبى، ولو تمَكّنَ وقَارُ اللهِ وعظمتُه في قلبِ العبدِ لما تجرَّأَ على معاصِيه.

وربَّما اغتَرَّ المغتَرُّ وقال إنما يحمِلُني على المعاصِي حسنُ الرجاءِ وطَمَعِي في عَفْوِهِ لا ضعفُ عظمتِه في قلبِي وهذا من مغالطةِ النفسِ؛ فإنّ عظمةَ الله تعالى وجلالَه في قلبِ العبدِ وتعظيمَ حرماتِه يحولُ بينَه وبينَ الذنوبِ، والمتجرِّؤنَ على معاصِيه ما قَدَرُوه حقَّ قدرِه، وكيفَ يَقْدُرُهُ حقَّ قدرِه أو يعظِّمُه أو يكَبِّرُه أو يرجُو وقارَه ويُجلُّهُ من يهونُ عليهِ أمْرُهُ ونَهْيُهُ؛ هذا من أمحلِ المحالِ وأبينِ الباطلِ، وَكَفَى بالعاصِي عقوبةً أَنْ يَضْمَحِلَّ من قَلْبِهِ تعظيمُ اللهِ جلَّ جلالُه وتعظيمُ حرماتِه، ويهونَ عليهِ حَقُّهُ.

ومن بعضِ عقوبةِ هذا أن يرفَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ مهابَتَهُ من قلوبِ الخلقِ ويهونُ عليهم ويستخِفُّونَ به كما هَانَ عليه أَمْرُهُ واستَخَفَّ به، فعلى قدرِ محبةِ العبدِ لله يحِبُّهُ النَّاسُ، وعلى قَدْرِ خَوْفِهِ منَ اللهِ يخافُهُ الناسُ، وعلى قدرِ تعظِيمِه للهِ وحرماتِه يُعَظِّمُ الناسُ حرمَاتِهِ.

وكيفَ يَنْتَهِكُ عبدٌ حرماتِ اللهِ ويطمَعُ أنْ لا يَنْتَهِكَ الناسُ حرماتِه، أم كيفَ يهونُ عليهِ حقُّ اللهِ ولا يُهَوِّنُهُ اللهُ على الناسِ، أم كيفَ يستخِفُّ بمعاصِي اللهِ ولا يستخِفُّ به الخلقُ.

وقدْ أشارَ سبحانَهُ إلى هذا في كتابِهِ عندَ ذِكْرِ عقوباتِ الذنوبِ وأنَّهُ أَرْكَسَ أربابَها بما كَسبُوا، وغَطَّى على قلوبِهم وطَبَعَ عليها بذنوبِهم، وأنَّه نسيَهُمْ كما نَسُوهُ،

وأهانَهُمْ كما أهانُوا دينَه، وضَيَّعَهُم كما ضَيَّعُوا أمرَهُ؛ ولهذا قال تعالى في آيةِ سجودِ المخلوقاتِ له: ﴿**وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ**﴾ [الحج:١٨]؛ فإنَّهم لما هانَ عليهِمُ السجودُ له واستَخَفُّوا بِهِ و لم يَفْعَلُوهُ، أهانَهُم فلم يَكُنْ لهم مِنْ مُكْرِمٍ بعدَ أنْ أهانَهُمْ، ومَنْ ذا يُكْرِمُ من أهانَهُ اللهُ أو يُهِنْ من أَكْرَمَ»(٩٧).

* * *

---

(٩٧) الجواب الكافي (٤٦/١).

عشرةُ وسائل لتعظيم الله U

لا شكَّ أن تعظيمَ اللهِ U من أجلِ العباداتِ القلبيةِ التي تَظْهَرُ آثارُها على الجوارحِ من خلالِ المسارعةِ إلى كلِّ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضَاهُ منَ الأقوالِ والأفعالِ الظاهرةِ والباطنةِ. فلولا وجودُ نوعِ تعظيمٍ للهِ U في القلبِ لما صبرَ الناسُ على طاعةِ اللهِ، وعن معصيةِ اللهِ، وعلى أقدارِ اللهِ المؤلمةِ.

وعلى قَدْرِ تعظيمِ اللهِ تعالى في القلبِ يكونُ إحسانُ العبادةِ وإتمامُها وإكمالُها وإتقانُها.

وهناك وسائل كثيرة لتعظيمِ اللهِ تعالى منها:

١- إفرادُ اللهِ سبحانَه بالوحدانيةِ:

فيشهد العبدُ انفرادَ اللهِ تعالى بالخلقِ والحُكْمِ، وأن ما شاء كان وما لم يشأْ لم يكنْ، وأنه لا تتحركُ ذرةٌ إلا بإذنه، وأنّ الخلقَ مقهورونَ تحتَ قبضَتِهِ، وأنه ما من قلبٍ إلا وهو بين أصبعينِ من أصابعِهِ، إنْ شاءَ اللهُ أن يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وإنْ شاءَ أن يُزِيغَهُ أزَاغَهُ، فالقلوبُ بيدِهِ، وهو مُقَلِّبُهَا ومُصَرِّفُهَا كيفَ شاءَ وكيفَ أرادَ، وأنَّه هو الذي آتى نفوسَ المؤمنينَ تَقْوَاهَا، وهو الذي هَداهَا وزكَّاهَا، وأَلْهَمَ نُفوسَ الفُجَّارِ فُجُورَهَا وَأَشْقَاهَا، من يهدِ اللهَ فلا مُضِلّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بفضْلِهِ ورحمَتِهِ، ويُضِلُّ من يشاءُ بعدلِهِ وحِكْمَتِهِ ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٣]»[٩٨].

---

(٩٨) مدارك السالكين (٤١٢/٢).

فإذا شاهدَ العبدُ ذلك، واستقرَّ في قلبِهِ إفرادُ اللهِ تعالى بالوحدانيةِ، فأوْرَثَه ذلك ــ ولا بدَّ ــ تعظيمَ اللهِ U، وانتقلَ من توحيدِ الربوبيةِ إلى توحيدِ الألوهيةِ، فاتخذ اللهَ وحدَه إلهًا ومعبودًا، وأحبَّ ما يحبُّه الله، وأبغضَ ما يبغضُه اللهُ، وأعطى للهِ، ومنع للهِ، ووالى في اللهِ، وعادى في اللهِ، فهذا التوحيدُ هو الذي من أجلِهِ أُرْسِلَتِ الرُّسلُ، وأُنْزِلَتِ الكتبُ، وخُلِقَ الخلقُ، وقَامَتْ سوقُ الجهادِ على ساقٍ.

قال ابنُ القيمِ رحمه الله في منزلةِ التعظيمِ: «هذه المنزلةُ تابعةٌ للمعرفةِ، فعلى قَدْرِ المعرفةِ يكونُ تعظيمُ الربِّ تعالى في القلبِ، وأعرفُ الناسِ به، أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ اللهُ تعالى من لم يُعَظِّمْه حقَّ عظمتِه، ولا عرفَه حقَّ معرفتِه، ولا وَصَفَهُ حقَّ صِفَتِه، فقال: ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح:١٣]، قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: «لا ترجُونَ للهِ عظمةً». وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: «ما لكم لا تعظِّمُونَ اللهَ حقَّ عظمَتِه»[٩٩].

٢- تدبُّر معاني أسماءِ اللهِ تعالى وصفاتِه:

فأسماءُ اللهِ تعالى كلُّهَا حُسْنَى، وكلُّها تدلُّ على الكمالِ المطلقِ، والحمدِ المطلقِ، وكلُّهَا مشتقةٌ من أوصَافِها، فتدبرُ معاني هذه الأسماءِ وما تُوجِبُهُ من آثارٍ من وسائلِ تعظيمِ اللهِ U قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقد ثبتَ في الصحيحين[١٠٠] من حديثِ أبي هريرةَ t، عن النبيِّ r أنَّه قالَ: «**إنّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسمًا، مائةً إلا واحدًا، من أَحْصَاهَا دخلَ الجنةَ**» أي من حَفِظَها وفهمَ

(٩٩) المصدر السابق (٢/٤٩٥).
(١٠٠) رواه البخاري (٢٥٣١)، ومسلم (٤٨٣٦).

معانِيها ومدلولَها، وأثْنَى على اللهِ بها، وسأَلَهُ بها، واعْتَقَدَها دخلَ الجنةَ، والجنةُ لا يدخُلُها إلا المؤمنونَ، فعُلِمَ أنّ ذلك أعظمُ ينبوعٍ ومادةٍ لحصولِ الإيمانِ وقوتِهِ وثباتِهِ(١٠١).

٣- تدبر القرآن:

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ**﴾ [الزمر:٢٣]، فهذا دليلٌ على أن تدبرَ القرآنِ العظيمَ يورثُ الخشيةَ والتعظيمَ للهِ سبحانه وتعالى، قال ابنُ القيمِ: «فليسَ شيءٌ أنفعُ للعبدِ في معاشِه ومعادِه، وأقربُ إلى نجاتِه من تدبرِ القرآنِ، وإطالةِ التأملِ فيه، وجمعِ الفكرِ على معانِي آياتِهِ، فإنّها تُطْلِعُ العبدَ على معالمِ الخيرِ والشرّ بحذافِيرِها، وعلى طرقَاتِهِمَا وأسبابِهِمَا وغاياتِهِمَا وثمراتِهِمَا، ومآلِ أهلِهِمَا، وتُتِلُّ في يدِهِ(١٠٢) مفاتيحَ كنوزِ السعادةِ والعلومِ النافعةِ، وتُثَبّتُ قواعدَ الإيمانِ في قلبِه، وتُشَيّدُ بنيانَه، وتُوَطِّدُ أركانَه، وتُرِيهِ صورةَ الدنيا والآخِرَةَ، والجنةِ والنارِ في قلبِه، وتُحْضِرُه بينَ الأممِ، وتُرِيهِ أَيَّامَ اللهِ فيهم، وتبصِّرُه مواقعَ العِبَرِ، وتُشْهِدُهُ عدلَ اللهِ وفَضْلِهِ، وتُعَرِّفُهُ ذاتَهُ، وأَسْمَاءَهُ وصِفَاتِهُ وأَفْعَالَهُ، وما يحِبُّهُ وما يبغضُه، وصراطَه الموصِّلَ إليه، وما لسالِكِيه بعدَ الوصولِ والقدومِ عليه، وقواطعَ الطريقِ وآفاتِها»(١٠٣).

وقد قال الله تعالى في وصفِ كتابِه: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾ [الحشر:٢١]، فإذا كانَ هذا تأثيرُ القرآنِ على الجبالِ،

---

(١٠١) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص:٣-٤).

(١٠٢) تتل في يده: تلقيه.

(١٠٣) مدار السالكين (١/٤٥٠).

فكيفَ يكونُ تأثيرُه على قلبِ المؤمنِ؟ قال جعفرُ: «سمعتُ مالكَ بن دينارٍ قرأَ: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ...**﴾ الآية، ثم قالَ: أقسمُ لكم لا يؤمنُ عبدٌ بهذا القرآنِ إلا صُدِعَ قلبُه»(١٠٤).

وعن ثابتٍ البنانيِّ أنه قرأ: ﴿**الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**﴾ [الهمزة:٧]، قال: تأكلُه إلى فؤادِه وهو حيٌّ، ثم بكَى وأبكَى من حَوْلَه(١٠٥).

٤- التفكرُ في آلاءِ اللهِ وعظيمِ نعمِه:

قال ابنُ القيمِ: «فجديرٌ بمن له مُسْكَةٌ من عقلٍ(١٠٦) أن يسافرَ بفكرِه في هذه النعمِ والآلاءِ، ويكررُ ذكرَهَا، لعلّه يوقِفُه على المرادِ منها ما هو، ولأيِّ شيءٍ خُلِقَ، ولماذا هُيِّئَ، وأيُّ أمرٍ طُلِبَ منه على هذه النعمِ، كما قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف:٦٩]، فَذِكْرُ آلائِه تبارك وتعالى ونعمِه على عبدِه سببُ الفلاحِ والسعادةِ لأن ذلك لا يزيدُه إلا محبةً للهِ وحمدًا وشكرًا وطاعةً»(١٠٧).

٥- التأملُ في ملكوتِ السمواتِ والأرضِ:

وهذا أيضًا من أعظمِ وسائلِ تعظيمِ اللهِ تعالى، وقدْ ربطَ القرآنُ بين هذا التأملِ وبين تعظيمِ اللهِ تعالى فقال: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا**

---

(١٠٤) الحلية (٣٧٨/٢).
(١٠٥) السابق (٣٢٣/٢).
(١٠٦) مسكة من عقل: بقية.
(١٠٧) مفتاح دار السعادة (٢٢٩/١).

سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقد ذكر ابنُ القيمِ رحمه الله أن الربَّ تعالى يدعو عبادَه في القرآنِ إلى معرفَتِه من طريقينِ:

أحدهما: النظرُ في مفعولاتِه.

والثاني: التفكرُ في آياتِه وتدبرُها[١٠٨].

وقال رحمه الله: والنظرُ في هذه الآياتِ وأمثالِها نوعانِ: نظرٌ إليها بالبصرِ الظاهرِ، فَيَرى ــ مثلًا ــ زُرقةَ السماءِ ونجومَها وعلوَّها وسَعَتَها، وهذا نظرٌ يشاركُ الإنسانُ فيه غيرَه من الحيواناتِ، وليسَ هو المقصودُ بالأمرِ.

والثاني: أن يتجاوزَ هذا إلى النظرِ بالبصيرةِ الباطنةِ، فتفتحُ له أبوابُ السماءِ، فيجولُ في أقطارِها وملكوتِها وبين ملائِكَتِها.

ثم يفتحُ له بابٌ بعد بابٍ، حتى ينتهيَ به سَيْرُ القلبِ إلى عرشِ الرحمنِ، فينظرُ سَعَتَه وعظمتَهُ وجلالَهُ ومجدَهُ ورفعَتَهُ، ويرَى السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ بالنسبةِ إليهِ كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضِ فلاةٍ. ويَرَى الملائكةَ حافِّينَ من حَوْلِه، لهم زَجَلٌ بالتسبيحِ والتحميدِ والتقديسِ والتكبيرِ، والأمرُ ينزلُ من فوقِه بتدبيرِ الممالكِ والجنودِ التي لا يعلَمُهَا إلا ربُّها ومليكُها. فينزلُ الأمرُ بإحياءِ قومٍ وإماتةِ آخرينَ، وإعزازِ قومٍ وإذلالِ آخرينَ، وإسعادِ قومٍ وشقاوةِ آخرينَ، وإنشاءِ مُلْكٍ وسَلْب مُلْكٍ، وتحويلِ نعمةٍ من مَحَلٍّ إلى محلٍّ، وقضاءِ الحاجاتِ على اختلافِها وتباينِها وكثرتِها؛ من جبرِ كسيرٍ، وإغناءِ فقيرٍ، وشفاءِ مريضٍ، وتفريجِ كربٍ، ومغفرةِ ذنبٍ، وكشفِ ضرٍّ،

(١٠٨) الفوائد (ص: ٤٠).

ونصرِ مظلومٍ، وهدايةِ حيرانَ، وتعليمِ جاهلٍ، وردِّ آبقٍ، وأمانِ خائفٍ، وإجارةِ مستجيرٍ، ومددٍ لضعيفٍ، وإغاثةٍ لملهوفٍ وإعانةٍ لعاجزٍ، وانتقامٍ من ظالمٍ، وكفٍّ لعدوانٍ... فحينئذٍ يقومُ القلبُ بين يديِ الرحمنِ مُطرِقًا لهيبتِه، خاشِعًا لعظمتِه، عانٍ لعزَّتِه، فيسجدُ بينَ يدَيِ الملكِ الحقِّ المبينِ سجدةً، لا يرفعُ رأسَهُ منها إلى يومِ المزيدِ(١٠٩).

٦- تعظيمُ شعائرِ اللهِ وحرماتِه:

فإذا عظَّمَ العبدُ ما عظَّمَه اللهُ تبارك وتعالى، امْتَلَأَ قلبُه بالتعظيمِ لله والخشيةِ منه، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج:٣٢]، وكانَ من شدةِ تعظيمِ السلفِ لله U، أنَّهم كانوا يبكُونَ إذا خُولِفَ أمرُ اللهِ سبحانه وتعالى من غيرِهم، فعن ربيع بن عتابٍ قال: كنتُ أمشِي مع زيادِ بن جريرٍ، فسَمِعَ رَجُلًا يحلِفُ بالأمانَةِ. قال: فنظرتُ إليه وهو يبكِي قلت: ما يبكِيكَ؟ فقال: أما سَمِعْتَ هذا يحلفُ بالأمانةِ؟ فَلَئَنْ تُحَكُّ أحشَائِي حتى تُدْمَى أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بالأمانةِ(١١٠).

وكان عمرُ بنُ ذرٍّ يقولُ: آنسكَ جانبُ حِلْمِهِ فتوثَّبْتَ على معاصِيه! أَفَأَسَفَه تريدُ؟ أما سمعتَه يقولُ: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ [الزخرف:٥٥].

أيُّها الناسُ: أَجِلّوا مقامَ اللهِ بالتنزُّهِ عما لا يحلُّ، فإنّ اللهَ لا يؤمنُ إذا عُصِي(١١١).

---

(١٠٩) مفتاح دار السعادة (١/١٩٩).
(١١٠) الحلية (٤/١٩٦).
(١١١) الحلية (٥/١١١).

٧- التأملُ في سننِ اللّهِ U:

ومن وسائلِ تعظيمِ الله U: التأملُ في سننِه التي لا تتبدلُ ولا تتغيرُ ومن هذهِ السننِ:

سُنّةُ الدفْعِ: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١].

وسُنّةُ التداولِ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠].

وسنةُ الابتلاءِ: ﴿الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:١-٣].

وسنةُ التغييرِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد:١١].

وسنةُ نصرِ المؤمنينَ إذا حَقّقُوا الشرطَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧]، وغير ذلك من السنن.

فلا شكّ أنّ التأملَ في هذهِ السننِ وغيرِها مما يورثُ تعظيمَ اللهِ في القلوبِ، لأنه يؤدِّي إلى حقيقةٍ مفادُها أنّ لهذا الكونِ إلهًا عظيمًا قادرًا، له مقاليدُ كلِّ شيءٍ، ولا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، غيرَ أنه I قد سَيَّرَ هذا الكونَ بما فيه وَفْقَ نظامٍ مُحكمٍ وقوانينَ ثابتةٍ لا تتبدلُ ولا تتغيرُ.

٨- معرفةُ بعضِ جوانبِ الإعجازِ العلميِّ في القرآنِ والسنةِ:

ومثالُ ذلكَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾ [الطارق:١٢]، قال الدكتور زغلولٌ النجارُ: «من الآياتِ الوصفيةِ المبهرةِ قولُ الحقِّ تبارك وتعالى في سورةِ الطارقِ: ﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾ فهذا قسمٌ عظيمٌ لحقيقةٍ كونيةٍ مبهرةٍ لم يُدْرِكْها العلماءُ إلَّا في النِّصفِ الأخيرِ من القرنِ العشرينَ.

فالأرضُ التي نَحْيَا عليها لها غلافٌ صَخْرِيٌّ خارجيٌّ، هذا الغلافُ مُمَزَّقٌ بشبكةٍ هائلةٍ من الصُّدوعِ، تمتدُّ لمئاتِ الآلافِ من الكيلومتراتِ طولًا وعرضًا، بعمقٍ يتراوحُ ما بين ٦٥ كيلومترًا و١٥٠ كيلومترًا في كلِّ الاتجاهات.

ومن الغريبِ أن هذه الصدوعَ مرتبطةٌ ببعضِها البعضِ ارتباطًا يجعلُها كأنَّها صدعٌ واحدٌ، يُشَبِّهُهُ العلماءُ باللِّحامِ على كرةِ التنسِ.

وانطلاقًا من ذلك يُقْسِمُ اللهُ تعالى بهذه الحقيقةِ الكونيةِ المبهرةِ، التي لم يَسْتَطِعْ العلماءُ أن يدركُوا أبعادَها إلا بعدَ الحربِ العالميَّةِ الثانيَةِ، واستمرتْ دراستُهم لها لأكثر من عشرينَ سنةً متصلةً من ١٩٤٥م- ١٩٦٥م حتى استطاعُوا أن يرسمُوا هذه الصدوعَ بالكاملِ، والقرآنُ الكريمُ كانَ قد سبقَ إدراكَهم بأكثرِ من ألفٍ وأربعمائةٍ من السنينَ بقولِ الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾»[١١٢].

فلا شكَّ أنْ تأمُّلَ مثلَ هذهِ الحقائقِ العلميةِ الموافقةِ للقرآنِ الكريمِ مما يُقَوِّي جانبَ تعظيمِ اللهِ سبحانه وتعالى في النفسِ.

---

(١١٢) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (ص:٨٣-٨٤)، باختصار يسير.

٩- التأملُ في دلائلِ الحكمةِ الإلهيةِ:

فهو سبحانه وتعالى الحكيمُ الذي بَهَرَتْ حكمتُه الألبابَ، وهو سبحانه لم يخلُقْ شيئًا عبثًا ولا سدىً، وله الحكمةُ البالغةُ في كلِّ ما قدَّرَهُ وقَضَاهُ من خيرٍ وشرٍّ وطاعةٍ ومعصيةٍ، وحِكَمُهُ سبحانه باهرةٌ تَعْجَزُ العقولُ عن الإحاطةِ بكُنْهِها، وتَكِلُّ الألسنُ عن التعبيرِ عنها.

ولله في كلِّ تحريكـــةٍ وتسكينةٍ أبدًا شـــاهدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيـــةٌ تدلَّ على أنه واحـــدُ

وحظُّ العبدِ في نفسِه وما يخصُّه من شهودِ هذهِ الحكمةِ فبحَسَبِ استعدادِه وقوةِ بصيرتِه، وكمالِ علمِه ومعرفتِه باللهِ وأسمائِه وصفاتِه، ومعرفتِه بحقوقِ العبوديةِ والربوبيةِ. وكلُّ مؤمنٍ له من ذلك شِربٌ معلومٌ، ومقامٌ لا يتعدَّاه ولا يتخطَّاه، واللهُ الموفقُ والمعينُ(١١٣).

١٠- محاسبةُ النفسِ:

من وسائلِ تعظيمِ اللهِ U: «محاسبةُ النفسِ» وذلكَ لأنَّ من أركانِ المحاسبةِ المقايسةِ بينَ ما كانَ من اللهِ من نعمٍ وإمهالٍ وسِتْرٍ وإفضالٍ وما من العبدِ من غفلةٍ وجهلٍ ومعصيةٍ.

قال ابنُ القيمِ: «وبهذه المقايسةِ تعلمُ أن الربَّ ربٌّ والعبدَ عبدٌ، ويتبينُ لك حقيقةُ النفسِ وصفاتِها، وعظمةُ جلالِ الربوبيةِ، وتفرُّدُ الربِّ بالكمالِ والإفضالِ، وأنّ كلَّ نعمةٍ منه فضلٌ، وكلَّ نقمةٍ منه عدلٌ، وأنتَ قبلَ هذه المقايسةِ جاهلٌ بحقيقةِ

---

(١١٣) انظر: مدارج السالكين (١/٤١١-٤١٢).

نفسِكَ، وبربوبيةِ فاطِرِها وخالِقِها...»[١١٤].

* * *

(١١٤) مدارج السالكين (١/١٨٨).

من ثمراتِ تعظيمِ اللهِ U

هناكَ آثارٌ كثيرةٌ لتعظيمِ اللهِ U على القلوبِ والجوارحِ منها:

أ- على الفردِ:

١- تحقيقُ التوحيدِ للهِ والسلامةُ من الشركِ ووسائلِه.

٢- محبةُ اللهِ U المحبةَ الشرعيةَ.

٣- الخوفُ من اللهِ U من غيرِ قنوطٍ.

٤- الرجاءُ في اللهِ U مع حسنِ العملِ.

٥- مراقبةُ اللهِ U في السرِّ والعلانيةِ.

٦- التوكلُ على اللهِ في كلِّ الأمورِ معَ الأخذِ بالأسبابِ.

٧- الثقةُ باللهِ U في أَحْلَكِ الظروفِ.

٨- الثباتُ والطمأنينةُ واليقينُ في اللهِ U.

٩- الحياءُ من اللهِ U.

١٠- التبرؤُ من الحولِ والقوةِ وإظهارُ الافتقارِ إلى اللهِ U.

١١- تحكيمُ شرعِ اللهِ U في كافةِ الأمورِ مع الرِّضَا والتسليمِ.

١٢- حفظُ الضرورياتِ الخمسِ؛ وهيَ: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ.

١٣- المسارعةُ إلى أداءِ الواجباتِ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وبرٍ بالوالدينِ وصلةٍ للرحمِ وحسنِ خلقٍ.

١٤- تركُ جميعِ المعاصي والمنكراتِ القوليةِ والعمليةِ والاعتقاديةِ.

١٥- كثرةُ ذكرِ اللهِ U ودعائِه واستغفارِه وتلاوةِ كتابِه.

١٦- الإكثارُ من ذكرِ الموتِ.

١٧- قصرُ الأملِ.

١٨- اتهامُ النفسِ دائمًا بالإهمالِ والتقصيرِ.

١٩- ألّا يَرَى لنفسِهِ على اللهِ حقًّا.

٢٠- ألا يَشْكُو اللهَ U إلى خلقِه.

٢١- ألا يُذِلّ نفسَه لصاحبِ دنيا.

ب- على الأسرةِ:

لا شكَّ أنَّ الأسرةَ هي المنبعُ الأساسُ الذي يصدُرُ عنه كافّةُ الأخلاقِ والسلوكياتِ والتصرفاتِ، سواءٌ أكانت أخلاقًا وسلوكياتٍ محمودةً أم مذمومةً.

ولذلكَ فإنّ الأسرةَ إذا تربَّتْ ونشأَتْ على معاني تعظيمِ اللهِ I ومراقبتِه في السرِّ والعلانيةِ، فإنّ ذلك سوفَ يُنْتِجُ أفرادًا يتحلّوْنَ بعُمْقِ الإيمانِ ومكارمِ الأخلاقِ، والوقوفِ عندَ حدودِ اللهِ I ، وكبحِ جماحِ رغباتِ النفسِ وشهواتِها، والحذرِ من كلِّ ما يُغْضِبُ اللهَ I مهما كانتِ الظروفُ معينةً على المعصيةِ حاثّةً على الوقوعِ فيها.

ومن ثمراتِ تعظيمِ اللهِ سبحانه في محيطِ الأسرةِ ما يلي:

١- أداءُ الحقوقِ، سواءٌ حقُّ الوالدينِ، أو الزوجِ، أو الزوجةِ، أو الأولادِ، أو الخادمِ.

٢- تربيةُ الأبناءِ على الأخلاقِ الكريمةِ والصفاتِ النبيلةِ.

٣- تربيةُ الأبناءِ على مراقبةِ اللهِ وتعظيمِه في السرِّ والعلانيةِ.

٤- تعظيمُ شأنِ الصلاةِ في محيطِ الأسرةِ.

٥- مشاركةُ أفرادِ الأسرةِ في الأعمالِ الخيريَّةِ والأنشطةِ الاجتماعيةِ.

٦- تطهيرُ البيتِ منَ الملاهِي والمنكراتِ والصُوَرِ.

٧- المحافظةُ على الوقتِ لأنَّه في الحقيقةِ هو عُمُرُ الإنسانِ ورأسُ مالِه الذي يشترِي به مرضاةَ اللهِ والخلودَ في الجنةِ والنجاةَ من النارِ.

٨- الإحسانُ إلى الجيرانِ وعدمُ إيذائِهم وتعاهُدِهم بالتُّحَفِ والهدايا والزياراتِ.

٩- ترتيبُ الأولوياتِ، وتقديمُ الفرائضِ على النوافلِ، وواجبِ الوقتِ على غيرِه.

١٠- تعظيمُ أوامرِ اللهِ ونواهِيهِ ونصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ والانقيادِ التامِّ لها.

١١- تربيةُ أفرادِ الأسرةِ على روحِ الإبداعِ والتفوقِ والتميُّزِ في كافَّةِ مجالاتِ الحياةِ، وهذا من الإحسانِ الذي أَمَرَنَا الله تعالى به: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:١٩٥].

ج- من ثمراتِ تعظيمِ اللّهِ على المجتمعِ:

إن المجتمعَ الذي يغلبُ على أفرادِه خشيةُ اللهِ تعالى وتعظيمُه في الغيبِ

والشهادةِ يكثُرُ خيرُه، ويقلُّ شرُّه، وينتفعُ به القريبُ والبعيدُ، والقاصِي والداني، ويصبحُ قدوةً لغيرِه من المجتمعاتِ والشعوبِ، ومن ثمراتِ تعظيمِ اللهِ على المجتمعِ ما يلي:

١- **حفظُ الضرورياتِ الخمسِ** التي جاءَ الإسلامُ بحفظِها؛ وهي: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ.

٢- **التكافلُ الاجتماعِيُّ** بحيثُ لا يبقَى جائعٌ لا يجِدُ طعامًا، ولا مريضٌ لا يَجِدُ دواءً، ولا عَارٍ لا يَجِدُ لباسًا، ولا أُسرةٌ مهدَّدَةٌ بالطردِ من البيتِ، لأنَّ ربَّ الأسرةِ لا يَجِدُ قيمةَ إيجارِ البيتِ، أو قيمةَ ما تَسْتَهْلِكُهُ الأسرةُ من ماءٍ وكهرباء.

٣- **تعزيزُ الأخلاقِ الإسلاميةِ** بينَ أبناءِ المجتمعِ، وتنفيرُ أبناءِ المجتمعِ من الأخلاقِ السيئةِ، وتكريمُ أهلِ التميزِ في هذا البابِ.

٤- **حملُ رايةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ** بالطرقِ الشرعيةِ التي تُثمرُ المطلوبَ من كثرةِ المعروفِ وطرقِ الخيرِ، وإماتةِ المنكراتِ أو تقليلِها.

٥- **محاربةُ البدعِ والمحدثاتِ** المتعلقةِ بالعباداتِ والمعاملاتِ والسلوكِ، والرجوعُ بالناسِ إلى سماحةِ الإسلامِ وبساطَتِهِ.

٦- **إبرازُ أهلِ الخشيةِ والتعظيمِ** كنجومٍ للمجتمعِ ينبغي الاستفادةُ منهم، وفي مقدِّمَتِهِم أهلُ العلمِ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فطر:٢٨].

٧- **إشاعةُ روحِ التناصحِ بين أبناءِ المجتمعِ** وبخاصةٍ في أسواقِ المسلمينَ، بحيثُ لا يوجدُ بين الناسِ غشٌّ ولا غررٌ ولا احتكارٌ.

٨- رفضُ المجتمعِ لكافةِ الاستخداماتِ السلبيةِ لوسائلِ الإعلامِ والتقنيةِ، والاقتصارُ على النافعِ والمفيدِ منها، ويدخلُ في ذلك الصحفُ والمجلّاتُ والقنواتُ التلفزيونيةُ، والراديو والكمبيوتر، والانترنت والهاتفُ الجوالُ وغيرُ ذلك.

٩- تكاتفُ المجتمعِ في مجابهةِ المشكلاتِ الطارئةِ قبلَ أن تتفاقمَ ويستفحلَ خَطَرُها، ومن ذلك: العنوسةُ بين الفتياتِ، البطالةُ، المسكراتُ والمخدراتُ، التدخينُ، التشبُّهُ بالكفارِ، العنفُ والإرهابُ، العلاقاتُ المحرمةُ بين الجنسينِ.

١٠- العملُ على تقويةِ روابطِ الوحدةِ والألفةِ بين المسلمينَ في كلِّ مكانٍ، من أجلِ إقامةِ أمةٍ واحدةٍ قادرةٍ على الحفاظِ على هويةِ الأمةِ والدفاعِ عن كيانِها ضدَّ كافّةِ الهجماتِ التي تُشَنُّ عليها.

* * *

المعاني الجامعة للأسماء الحسنى

وقال الشيخُ عبدِ الرحمنِ السعديّ[١١٥]:

«وقد تكررَ كثيرٌ من أسماءِ اللهِ الحسنى في القرآنِ بحسبِ المناسباتِ، والحاجةُ داعيةٌ إلى التنبيهِ إلى معانِيها الجامعةِ، فنقولُ:

قد تكرَّرَ اسمُ «الربِّ» في آياتٍ كثيرةٍ.

«**الربُّ**»: هو المربِّي جميعَ عبادِه بالتدبيرِ وأصنافِ النِّعمِ. وأخصُّ من هذا تربيتُه لأصفيائِهِ بإصلاحِ قلوبِهم وأرواحِهم وأخلاقِهم. ولهذا كَثُرَ دعاؤُهم له بهذا الاسمِ الجليلِ، لأنَّهم يطلبُونَ منه هذهِ التربيةَ الخاصَّةَ.

١- «**اللهُ**»: هو المألوهُ المعبودُ، ذو الألوهيةِ والعبوديةِ على خلقِهِ أجمعينَ، لما اتَّصفَ به من صفاتِ الألوهيةِ التي هي صفاتُ الكمالِ.

٢، ٣- «**الملكُ، المالكُ**»: الذي لهُ الملكُ فهو الموصوفُ بصفةِ الملكِ، وهي صفاتُ العظمةِ الكبرياءِ، والقهرِ والتدبيرِ، الذي له التصرفُ المطلقُ في الخلقِ والأمرِ والجزاءِ، وله جميعُ العالمِ العلويِّ والسفليِّ، كلُّهُم عبيدٌ ومماليكُ، ومضطرونَ إليه.

٤، ٥- «**الواحدُ، الأحدُ**»: وهو الذي تَوحَّدَ بجميعِ الكمالاتِ، بحيثُ لا يشاركُهُ فيها مشاركٌ، ويجبُ على العبيدِ تَوْحِيدُهُ، عقلًا، وقولًا، وعملًا، بأنْ يعترفُوا بكمالِه المطلقِ، وتفرُّدِه بالوحدانيةِ، ويفردُوه بأنواعِ العبادةِ.

٦- «**الصَّمَدُ**»: هو الذي يَقْصِدُهُ الخلائقُ كلُّها في جميعِ حاجَاتِها، وضروراتِها

(١١٥) ملحق بتفسير السعدي (ص:٩٤٥-٩٤٩).

وأحوالِها، لما له من الكمالِ المطلقِ في ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه.

٧، ٨- «**العليمُ، الخبيرُ**»: وهو الذي أحاطَ علمُه بالظاهرِ والباطنِ، والإسرارِ والإعلانِ، وبالواجباتِ والمستحيلاتِ والممكناتِ، وبالعالمِ العلويِّ والسفليِّ، وبالماضِي والحاضِرِ والمستقبلِ، فلا يَخْفَى عليه شيءٌ من الأشياءِ.

٩- «**الحكيمُ**»: وهو الذي له الحكمةُ العُلْيَا في خلقِهِ وأَمْرِهِ، الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقَهُ ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾. فلا يَخْلُقُ شيئًا عبثًا، ولا يَشْرَعُ شيئًا سُدىً، الذي له الحكمُ في الأولى والآخرةِ، وله الأحكامُ الثلاثةُ لا يشارِكُهُ فيها مشاركٌ، فيحكمُ بين عبادِه، في شرعِه، وفي قدرِه وجزائِه.

والحكمةُ: وضعُ الأشياءِ مواضعَها، وتتريلُها منازِلَها.

١٠، ١٦- «**الرحمنُ، الرحيمُ، البَرُّ، الكريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهَّابُ**». هذه الأسماءُ تتقاربُ معانِيها، وتدلُّ كلُّها على اتِّصافِ الربِّ بالرحمةِ، والبِرِّ والجودِ، والكرمِ، وعلى سَعَةِ رحمتِه ومواهبِه، التي عمَّ بها جميعَ الوجودِ، بحسبِ ما تقتضِيهِ حكمتُه، وخصَّ المؤمنينَ منها بالنصيبِ الأوفرِ، والحظِّ الأكملِ، قال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ الآية.

والنعمُ والإحسانُ كلُّه من آثارِ رحمتِه، وجودِه، وكرمِه، وخيراتُ الدنيا والآخرةِ، كلُّها من آثارِ رحمتِه.

١٧- «**السميعُ**» لجميعِ الأصواتِ، باختلافِ اللغاتِ على تفنُّنِ الحاجاتِ.

١٨- «**البصيرُ**» الذي يبصرُ كلَّ شيءٍ وإنْ دقَّ وصَغُرَ، فيبصرُ دبيبَ النملةِ

السوداءِ في الليلةِ الظلماءِ على الصخرةِ الصَّمَّاءِ. ويُبصرُ ما تحتَ الأرضينَ السبعِ، كما يبصرُ ما فوقَ السمواتِ السبعِ. وأيضًا سميعٌ بصيرٌ بمنْ يستحقُّ الجزاءَ بحسبِ حكمتِه، والمعنى الأخيرُ يرجعُ إلى الحكمةِ.

١٩- «**الحميدُ**» في ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه، فلهُ من الأسماءِ أحسنُها، ومن الصفاتِ أكملُها، ومن الأفعالِ أتمُّها وأحسنُها، فإنّ أفعالَه تعالى دائرةٌ بينَ الفضلِ والعدلِ.

٢٠-٢٣- «**المجيدُ، الكبيرُ، العظيمُ، الجليلُ**» وهو الموصوفُ بصفاتِ المجدِ، والكبرياءِ، والعظمةِ، والجلالِ، الذي هو أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأجلُّ وأعلى. وله التعظيمُ والإجلالُ في قلوبِ أوليائِه وأصفيائِه، قد مُلئَتْ قلوبُهم من تعظيمِه وإجلالِه، والخضوعِ له والتذلُّلِ لكبريائِه.

٢٤-٢٦- «**العفُوُّ، الغفورُ، الغفارُ**» الذي لم يزَلْ، ولا يَزَالُ بالعفوِ معروفًا، وبالغفرانِ والصفحِ عن عبادِه موصُوفًا، كلُّ أحدٍ مُضْطَرٌّ إلى عَفْوِه ومغفرَتِه، كما هو مُضْطَرٌّ إلى رحمتِه وكرمِه، وقد وَعَدَ بالمغفرةِ والعفوِ لمن أتى بأسبابِها، قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾.

٢٧- «**التوّابُ**» الذي لم يَزَلْ يتوبُ على التائبينَ، ويغفرُ ذنوبَ المنيبينَ، فكلُّ من تابَ إلى اللهِ توبةً نصوحًا، تابَ اللهُ عليه، فهو التائبُ على التائبينَ أولًا بتوفيقِهم للتوبةِ والإقبالِ بقلوبِهم إليه، وهو التائبُ عليهم بعد توبَتِهم قبولًا لهم، وعَفْوًا عن خطَايَاهم.

٢٨، ٢٩- «**القدُّوسُ، السلامُ**» أي: المعظَّمُ المنزَّهُ عن صفاتِ النقصِ كلِّها،

وأن يماثِلَه أحدٌ من الخلقِ، فهو المتنَزِّهُ عن جميعِ العيوبِ، والمتزِّهُ عن أن يقاربَه أو يماثِلَه أحدٌ في شيءٍ من الكمالِ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾، ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾، ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾، ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾.

فالقدُّوسُ كالسلامِ، ينفيانِ كلَّ نقصٍ من جميعِ الوجوهِ، ويتضمَّنانِ الكمالَ المطلقَ من جميعِ الوجوهِ، لأنَّ النقصَ إذا انْتَفَى ثَبتَ الكمالُ كُلُّه.

٣٠، ٣١- «**العليُّ الأعلى**» وهو الذي له العلوُّ المطلقُ من جميعِ الوجوهِ، علوُّ الذّاتِ، وعلوُّ القدرِ والصِّفَاتِ، وعلوُّ القهرِ. فهو الذي على العرشِ اسْتَوَى، وعلى المُلْكِ احْتَوَى، وبجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ والجلالِ والجمالِ وغايةِ الكمالِ اتَّصَفَ، وإليهِ فيها المُنْتَهَى.

٣٢- «**العزيزُ**» الذي له العزةُ كلُّها: عزةُ القوَّةِ، وعزةُ الغلبةِ، وعزةُ الامتناعِ، فامتنعَ أن ينالَه أحدٌ من المخلوقاتِ، وقَهَرَ جميعَ الموجوداتِ، ودَانَتْ لهُ الخليقَةُ وخَضَعَتْ لعظمتِه.

٣٣، ٣٤- «**القويُّ، المتينُ**» هو في معنى العزيزِ.

٣٥- «**الجبَّارُ**» هو بمعنى العليِّ الأعلى، وبمعنى القهَّارِ، وبمعنى «الرَّؤُوفِ» الجابرِ للقلوبِ المنكسِرَةِ، وللضعيفِ العاجزِ، ولمن لاذَ بهِ ولجأَ إليه.

٣٦- «**المتكبِّرُ**» عن السوءِ والنقصِ والعيوبِ، لعظمتِه وكبريائِه.

٣٧-٣٩- «**الخالقُ، البارئُ، المصوِّرُ**» الذي خلقَ جميعَ الموجوداتِ وبَرَأَها وسوَّاها بحكمتِه، وصوَّرَها بحمدِهِ وحكمتِهِ، وهو لم يَزَلْ ولا يَزَالُ على هذا الوصفِ العظيمِ.

٤٠- «**المؤمنُ**» الذي أَثْنَى على نفسِه بصفاتِ الكمالِ، وبكمالِ الجلالِ والجمالِ، الذي أَرْسَلَ رسلَه وأنزلَ كتبَه بالآياتِ والبراهينِ، وصدَّقَ رسلَه بكلِّ آيةٍ وبرهانٍ، يدُلُّ على صدقِهم وصحةِ ما جاؤُوا به.

٤١- «**المهيمنُ**»: المطلعُ على خفايَا الأمورِ وخبايَا الصدورِ، الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا.

٤٢- «**القديرُ**» كاملُ القدرةِ، بقدرتِه أوجدَ الموجوداتِ، وبقدرتِه دبَّرَها، وبقدرتِه سوَّاها وأحكَمَها، وبقدرَتِه يُحيي ويُميتُ، ويبعثُ العبادَ للجزاءِ، ويجازي المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءَتِه، الذي إذا أرادَ شيئًا قال له: ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾، وبقدرَتِه يقلِّبُ القلوبَ، ويُصَرِّفُها على ما يشاءُ ويريدُ.

٤٣- «**اللطيف**» الذي أحاطَ علمُه بالسرائرِ والخفايَا، وأدركَ الخبايَا والبواطنَ والأمورَ الدقيقةَ، اللطيفُ بعبادِه المؤمنينَ، الموصلُ إليهم مصالِحَهم بلطفِه وإحسانِه، من طرقٍ لا يشعرونَ بها، فهو بمعنى «**الخبيرِ**» وبمعنى «**الرؤوفِ**».

٤٤- «**الحسيبُ**» هو العليمُ بعبادِه، كافي المتوكلينَ، المُجَازِي لعبادِه بالخيرِ والشَّرِّ، بحسبِ حكمَتِه وعِلْمِهِ بدقيقِ أعمالِهم وجليلِها.

٤٥- «**الرقيبُ**» المطَّلِعُ على ما أَكَنَّتْهُ الصُدُورُ، القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ، الذي حَفِظَ المخلوقاتِ وأَجْرَاهَا على أحسنِ نظامٍ وأكملِ تدبيرٍ.

٤٦- «**الحفيظُ**» الذي حَفِظَ ما خَلَقَهُ، وأَحَاطَ علمُه بما أوجدَهُ، وحَفِظَ أولياءَه من وقوعِهِم في الذنوبِ والهَلَكَاتِ، ولَطَفَ بهم في الحركاتِ والسكناتِ، وأحصى على العبادِ أعمالَهم وجزاءَها.

٤٧- «**المحيطُ**» بكلِّ شيءٍ علمًا، وقدرةً، ورحمةً، وقهرًا.

٤٨- «**القهَّارُ**» لكلِّ شيءٍ، الذي خَضَعَتْ لهُ المخلوقاتُ، وذَلَّتْ لعزَّتِه وقوَّتِه وكمالِ اقْتِدَارِه.

٤٩- «**المُقيتُ**» الذي أوصلَ إلى كلِّ موجودٍ ما به يقتاتُ، وأوصلَ إليها أرزاقَها وصرَّفَها كيفَ يشاءُ بحكمتِه وحمدِه.

٥٠- «**الوكيلُ**» المتولِّي لتدبيرِ خلقِه بعلمِه وكمالِ قدرتِه وشمولِ حكمتِه، الذي تولَّى أولياءَه، فيَسَّرَهُم لليُسْرَى، وجنَّبَهُمُ العُسْرَى، وكَفَاهُمُ الأمورَ. فمن اتَّخَذَهُ وكِيلًا كَفَاهُ ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾.

٥١- «**ذو الجلالِ والإكرامِ**» أي: ذو العظمةِ والكبرياءِ، وذو الرحمةِ والجودِ، والإحسانِ العامِّ والخاصِّ، المكرمُ لأوليائِه وأصفيائِه، الذين يجلُّونَهُ ويعظِّمُونَهُ ويحبُّونَه.

٥٢- «**الودودُ**» الذي يُحِبُّ أنبياءَه ورسُلَهُ وأَتْبَاعَهُم، ويُحِبُّونَهُ، فهو أَحَبُّ إليهم من كلِّ شيءٍ، قدِ امتلأَتْ قلوبُهم من محبَّتِهِ، ولَهَجَتْ ألسنتُهم بالثناءِ عليه، وانجذَبَتْ أفئدَتُهم إليهِ وُدًّا وإخلاصًا وإنابةً من جميعِ الوجوهِ.

٥٣- «**الفتَّاحُ**» الذي يحكمُ بين عبادِه بأحكامِه الشرعيَّةِ، وأحكامِه القدريةِ، وأحكامِ الجزاءِ، الذي فَتَحَ بلُطْفِهِ بصائرَ الصادقِينَ، وفتحَ قلوبَهم لمعرفتِه ومحبتِه والإنابةِ إليه، وفتحَ لعبادِه أبوابَ الرحمةِ والأرزاقِ المتنوعَةِ، وسبَّبَ لهم الأسبابَ التي ينالُونَ بها خَيْرَ الدُّنْيا والآخرةِ ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ [فاطر:٢].

٥٤- «**الرزَّاقُ**» لجميعِ عبادِه، فما من دابَّةٍ في الأرضِ إلا على اللهِ رزْقُها.

ورِزْقُهُ لعبادِه نوعانِ:

رزقٌ عامٌّ: شَمَلَ البَرَّ والفاجرَ، والأولينَ والآخرينَ، وهو رزقُ الأبدانِ.

ورزقٌ خاصٌّ: وهو رزقُ القلوبِ، وتَغْذِيتُها بالعلمِ والإيمانِ، والرزقُ الحلالُ الذي يعينُ على صلاحِ الدينِ، وهذا خاصٌّ بالمؤمنينَ، على مراتِبِهم منه، بحسبِ ما تقتَضِيهِ حكمتُه ورحمتُه.

٥٥، ٥٦- «**الحَكَمُ، العدْلُ**» الذي يحكُمُ بين عبادِه في الدنيا والآخرةِ بعدلِه وقسطِه. فلا يظلمُ مثقالَ ذرَّةٍ ولا يُحَمِّلُ أحدًا وزرَ أحدٍ، ولا يجازي العبدَ بأكثرَ من ذنبِه، ويؤدِّي الحقوقَ إلى أهلِها، فلا يدَعُ صاحبَ حقٍّ إلا أَوْصَلَ إليه حقَّهُ، وهو العدلُ في تدبيرِه وتقديرِه ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ [هود:٥٦].

٥٧- «**جامعُ النَّاسِ**» ليومٍ لا ريبَ فيه، وجامعُ أعمالِهم وأرزاقِهم، فلا يتركُ منها صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصَاهَا، وجامعُ ما تفرَّقَ واستحالَ من الأمواتِ الأولينَ والآخرينَ، بكمالِ قدرتِه، وسعةِ علمِه.

٥٨- «**الحيُّ القيُّومُ**» كاملُ الحياةِ والقائمُ بنفسِه. القيومُ لأهلِ السمواتِ والأرضِ، القائمُ بتدبيرِهم وأرزاقِهم، وجميعِ أحوالِهم، فـ «**الحيُّ**»: الجامعُ لصفاتِ الذاتِ، و«**القيومُ**» الجامعُ لصفاتِ الأفعالِ.

٥٩- «**النورُ**» نورُ السمواتِ والأرضِ، الذي نَوَّرَ قلوبَ العارفينَ بمعرفتِه والإيمانِ به، ونَوَّرَ أفئدتَهم بهدايتِه، وهو الذي أنارَ السمواتِ والأرضَ بالأنوارِ التي وضَعَها، وحجابُه النورُ، لو كشَفَه لأحرَقَتْ سبحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بَصَرُه من خلقِهِ.

٦٠- «**بديعُ السمواتِ والأرضِ**» أي: خالقُهما ومبدعُهما، في غايةِ ما يكونُ من الحسْنِ والخلقِ البديعِ، والنظامِ العجيبِ المحكمِ.

٦١، ٦٢- «**القابضُ، الباسطُ**» يقبضُ الأرزاقَ والأرواحَ، ويبسطُ الأرزاقَ والقلوبَ، وذلكَ تبعٌ لحكمتِه ورحمتِه.

٦٣، ٦٤- «**المعطي، المانعُ**» لا مانعَ لما أعطَى، ولا معطِيَ لما منعَ، فجميعُ المصالحِ والمنافعِ منه تُطلبُ، وإليه يرغبُ فيها، وهو الذي يعطِيها لمن يشاءُ، ويمنعُها من يشاءُ بحكمتِه ورحمتِه.

٦٥- «**الشهيدُ**» أي: المطَّلعُ على جميعِ الأشياءِ. سمعَ جميعَ الأصواتِ خفيِّها وجليِّها، وأبصرَ جميعَ الموجوداتِ دقيقَها وجليلَها صغيرَها وكبيرَها، وأحاطَ علمُه بكلِّ شيءٍ، الذي شَهِدَ لعبادِه وعلى عبادِه بما عملُوه.

٦٦، ٦٧- «**المبدئُ، المعيدُ**» قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾، ابتدأَ خلقَهم ليبلوَهُم أيهم أحسنُ عملًا، ثم يعيدُهم ليجزيَ الذين أحسنُوا بالحُسْنَى، ويجزِيَ المسيئِينَ بإساءَتِهم. وكذلكَ هو الذي يُبْدِأُ إيجادَ المخلوقاتِ شيئًا فشيئًا، ثم يعيدُها كلّ وقتٍ.

٦٨- «**الفعَّالُ لما يريدُ**» وهذا من كمالِ قوتِه ونفوذِ مشيئتِه وقدرتِه، أنّ كلّ أمرٍ يريدُه يفعلُه بلا ممانعٍ ولا معارضٍ، وليسَ له ظهيرٌ ولا معينٌ، على أيِّ أمرٍ يكونُ، بلْ إذا أرادَ شيئًا قال له: ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾. ومعَ أنّه الفعَّالُ لما يريدُ، فإرادتُه تابعةٌ لحكمتِه وحمدِه، فهو موصوفٌ بكمالِ القدرةِ، ونفوذِ المشيئةِ، وموصوفٌ بشمولِ الحكمةِ، لكلِّ ما فعلَه ويفعلُه.

٦٩، ٧٠- «**الغنيُّ، المغني**» فهو الغنيُّ بذاتِه، الذي له الغنى التامُّ المطلقُ، من جميعِ الوجوهِ والاعتباراتِ لكمالِه، وكمالِ صفاتِه، فلا يتطرقُ إليها نقصٌ بوجْهٍ من الوجوهِ، ولا يمكنُ أن يكونَ إلا غنيًّا، لأن غنَاهُ من لوازمِ ذاتِه، كما لا يكونُ إلا خالقًا، قادرًا، رازقًا، محسنًا، فلا يحتاجُ إلى أحدٍ بوجْهٍ من الوجوهِ، فهو الغنيُّ، الذي بيدِه خزائنُ السمواتِ والأرضِ، وخزائنُ الدنيا والآخرةِ. المغني جميعَ خلقِه غنىً عامًّا، والمغنِي لخواصِّ خلقِه بما أفاضَ على قلوبِهم من المعارفِ الربانيَّةِ والحقائقِ الإيمانيةِ.

٧١- «**الحليمُ**» الذي يدرُّ على خلقِه النعمَ الظاهرةَ والباطنةَ، مع معاصِيهم وكثرةِ زَلّاتِهم، فيحلُمُ عن مقابلةِ العاصِينَ بعصيانِهم، ويستعتُبُهم كي يتوبوا، ويمهلُهم كي يُنِيبُوا.

٧٢، ٧٣- «**الشاكرُ، الشكورُ**» الذي يشكرُ القليلَ من العملِ، ويغفرُ الكثيرَ من الزللِ. ويضاعفُ للمخلصِينَ أعمالَهم بغيرِ حسابٍ، ويشكرُ الشاكرينَ، ويذكرُ من ذكرَه، ومن تقرَّبَ إليه بشيءٍ من الأعمالِ الصالحةِ، تقرَّبَ اللهُ منهُ أكثرَ.

٧٤، ٧٥- «**القريبُ، المجيبُ**» أي: هو تعالى القريبُ من كلِّ أحدٍ.

وقربُه تعالى نوعانِ: قربٌ عامٌّ من كلِّ أحدٍ، بعلْمِهِ، وخبرَتِهِ، ومراقبتِه، ومشاهدتِه، وإحاطتِه.

وقربٌ خاصٌّ، من عابدِيه، وسائلِيه، ومحبِّيه، وهو قربٌ لا تُدْرَكُ له حقيقةٌ، وإنما تُعْلَمُ آثارُه، من لطفِه بعبدِه، وعنايتِه به، وتوفيقِه وتسديدِه.

ومن آثارِه: الإجابةُ للداعينَ والإثابةُ للعابدينَ، فهو المجيبُ إجابةً عامَّةً للداعينَ مهما كانُوا، وأينَ كانُوا، وعلى أيِّ حالٍ كانُوا كما وعدَهم بهذا الوعدِ المطلقِ، وهو المجيبُ إجابةً خاصَّةً للمستجيبينَ له المنقادينَ لشرعِه، وهو المجيبُ أيضًا للمضطرينَ،

ومن انقطعَ رجاؤُهم من المخلوقينَ وقَوِيَ تعلُّقُهم به طمعًا ورجاءً وخوفًا.

٧٦- «**الكافي**» جميعَ عبادِه ما يحتاجُونَ ويضطرُّونَ إليه، الكافي كفايةً خاصَّةً من آمنَ به، وتوكَّلَ عليه، واستمدَّ منه حوائجَ دينِه ودنياه.

٧٧-٨٠- «**الأولُ، والآخرُ، والظاهرُ، والباطنُ**».

قد فسَّرَها النبيُّ ﷺ تفسيرًا جامعًا واضحًا، فقال: «**أنتَ الأولُ فليسَ قبلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطِنُ فليسَ دونَكَ شيءٌ**»[١١٦].

٨١- «**الواسعُ**» الصفاتِ والنعوتِ ومتعلقاتِها، بحيثُ لا يُحصِي أحدٌ ثناءً عليه، بلْ هو كَمَا أثنَى على نفسِه. واسعُ العظمةِ والسلطانِ والملكِ، واسعُ الفضلِ والإحسانِ، عظيمُ الجودِ والكرمِ.

٨٢، ٨٣- «**الهادي، الرشيدُ**» أي: الذي يهدِي ويرشدُ عبادَه إلى جميعِ المنافعِ، وإلى دفعِ المضارِّ، ويعلِّمُهم ما لا يعلمونَ، ويهدِيهم لهدايةِ التوفيقِ والتسديدِ، ويُلهِمُهم التقوى، ويجعلُ قلوبَهم منيبةً إليهِ منقادَةً لأمْرِهِ.

وللرشيدِ معنًى بمعنَى الحكيمِ، فهو الرشيدُ في أقوالِه وأفعالِه، وشرائعُه كُلُّها خيرٌ ورَشَدٌ وحكمةٌ، ومخلوقاتُه مشتملةٌ على الرشدِ.

٨٤- «**الحقُّ**» في ذاتِه وصفاتِه، فهو واجبُ الوجودِ، كاملُ الصفاتِ والنعوتِ، وجودُه من لوازمِ ذاتِه، ولا وجودَ لشيءٍ من الأشياءِ إلا به. فهو الذي لم يَزَلْ ولا يَزَالُ بالجلالِ والكمالِ موصُوفًا، ولم يَزَلْ ولا يَزَالُ بالإحسانِ معروفًا.

---

(١١٦) مسلم (٢٧١٣)، أبو داود (٥٠٥١)، الترمذي (٣٤٠٠).

فقولُه حقٌّ، وفعلُه حقٌّ، ولقاؤُه حقٌّ، ورسلُه حقٌّ، وكتبُه حقٌّ، ودينُه هو الحقُّ، وعبادتُه وحدَه لا شريكَ له هي الحقُّ، وكلُّ شيءٍ ينسبُ إليه فهو حقٌّ ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [الحج:٦٢].

﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف:٢٩]، ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾ [يونس:٣٢]، ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ [الإسراء:٨١].

* * *

قصائد في تعظيم اللّه

١- أسماء الله الحسنى

العليٌّ

فَهـــوَ العَلـــيُّ بذَاتِـــهِ سُـــبحَانَهُ ... إذ يســـتَحيلُ خِـــلافُ ذَا ببَيَـــانِ
وَهْوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ اســتَوى ... قَـــد قَـــامَ بالتَّـــدبيرِ للأَكـــوانِ
حَـــيٌّ مُرِيـــدٌ قَـــادِرٌ مُـــتكَلِّمٌ ... ذُو رَحْمَـــــةٍ وإرَادَةٍ وحَنَـــــانِ
هُوَ أوَّلٌ هُوَ آخِـــرٌ هُـــوَ ظَـــاهِرٌ ... هُوَ بَـــاطِنٌ هَـــي أربـــعٌ بـــوِزَانِ
مَا قَبلَهُ شـــيءٌ كَـــذَا مـــا بَعـــدَهُ ... شَـــيءٌ تَعَـــالى اللهُ ذُو السُّـــلطَانِ
مَا فَوقَهُ شيءٌ كَـــذَا مـــا دُونَـــهُ ... شيءٌ وَذَا تَفســـيرُ ذِي البُرهـــانِ
فـــانظُرْ إلى تَفســـيرِهِ بتَـــدَبُّرٍ ... وتَبَصُّـــــرٍ وتَعَقُّـــــلٍ لِمَعَـــــانِ
وانظر إلى ما فيهِ من أنواع مَعْـــ ... ـــرفَةٍ لخَالقِنَـــا العَظِـــيمِ الشَّـــانِ
وهُوَ العَليُ فَكَلٌّ أنـــواعِ العُلُـــ ... ـــوِّ لَـــهُ فثابِتَـــةٌ بـــلا نُكـــرانِ

العظيم

وهُوَ العَظِيمُ بكُلِ مَعنًـــى يُوجِـــبُ ... التَّعظِيمَ لَا يُحصِيهِ مِـــن إنسَـــانِ
وَهُوَ الجلَيلُ فكُلُّ أوصَافِ الجَلَـــا ... لِ لَـــهُ مُحقّقَـــةٌ بِلَـــا بُطـــلانِ

الجميل

وَهُوَ الجميلُ عَلَى الحقِيقَةِ كَيـــفَ لا؟! ... وَجَمالُ ســـائِرِ هَـــذِهِ الأكـــوانِ
مِن بَعضِ آثـــارِ الجمَيـــلِ فَرَبُّهـــا ... أولَى وأجدَرُ عَنـــدَ ذِيَ العِرفـــانِ
فَجمَالَهُ بالذّاتِ والأوصافِ والـــ ... أفعَـــالِ والأسمَـــاءِ بالبُرهَـــانِ
لا شَيءَ يُشـــبهُ ذَاتَـــهُ وَصِـــفَاتِهِ ... سُبحَانَهُ عَن إفـــكِ ذِي البُهتَـــانِ

المجيد

وهُوَ المَجيدُ صَفاتُهُ أوصَـــافِ تـــع ... ظِيمٍ فَشَأنُ الوَصفِ أعظَمُ شَـــانِ

السميع

وهُوَ السَّميعُ يَرى ويَسمَعُ كُلَّ مَــا فِي الكَونِ مِنْ سِرٍّ ومِــنْ إعــلانِ
ولِكُلِ صَوتٍ مِنهُ سَــمعٌ حاضــرٌ فالسِّــــرُّ والإعـــلانُ مُسْــتويانِ
والسمعُ منه واسعُ الأصــواتِ لا يَخْفَى عليــه بعيــدُها والــدَّاني

البصير

وهُوَ البَصِيرُ يَرى دَبيبَ النَمْلةِ الــسْ وداءِ تَحتَ الصَّــخْرِ والصَّــوانِ
ويَرَى مَجارِي القُــوتِ فِي أعضَــائِهَا ويَرَى بَيَــاضَ عُروقِهــا بعيــانِ
ويَرَى خَياناتِ العُيــونِ بلَحظِهَــا ويَرَى كَــذَاكَ تَقَلُّــبَ الأجفَــانِ

العليم

وهُوَ العَليمُ أحَاطَ عِلمًــا بالــذِي في الكَونِ من سِرٍّ ومِــنْ إعــلانِ
وبكُــلِّ شــيءٍ عِلمُــهُ سُــبحَانَهُ فَهْوَ المُحــيطُ ولَــيسَ ذَا نسـيَانِ
وَكَذاكَ يعْلمُ مَا يَكونُ غَــدًا وَمَــا قَد كَــانَ والموجــودَ فِي ذَا الآنِ
وَكَذَاكَ أَمرٌ لَمْ يَكُن لَو كَانَ كَيْــ ــفَ يَكُونُ ذَاكَ الأَمرُ ذَا إمكَــانِ

الحميد

وهُوَ الحَميدُ فَكُــلُ حَمــدٍ وَاقِــعٍ أو كَانَ مَفروضًا مَــدَى الأزمَــانِ
مَلَأ الوجُــودَ جَميْعَــهُ ونَظَــيرَهُ مِن غَيرِ مــا عَــدٍّ ولا حُسْــبَانِ
هُــوَ أهْلُــهُ سُــبْحَانَهُ وبِحَمْــدِهِ كُلُّ المحَامِدِ وَصْــفُ ذِي الإحسَــانِ
وهُوَ المُكَلِّمُ عَبْدَهُ مُوْسَــى بتَــكْ لِــيمِ الخِطَــابِ وَقَبلَــهُ الأبَــوانِ
كَلِماتُهُ جَلّتْ عن الإحصَاءِ والتَّــعْ دَادِ بَل عَن حَصرِ ذِي الحسَــبَانِ
لو أنَّ أشجَارَ البِلادِ جَميعَهَا الــــ أقْلَـــامُ تَكْتُبُهَـــا بكُــلِّ بَنَــانِ
والبَحرَ تُلقَى فِيــهِ سَــبعَةُ أبْحُــرٍ لِكَتابَةِ الكَلِمــاتِ كُــلِّ زَمَــانِ

لَيْسَ الكَلامُ مِـــن الإِلـــهِ بِفَـــانِ ... نَفِدَت وَلَم تَنفَـــد بِهَـــا كَلِمَاتُـــهُ

القدير

وهُوَ القَدِيرُ ولَـــيْسَ يُعجِـــزُهُ إذا ... مَا رَامَ شَـــيئًا قَـــطٌّ ذُو سُـــلطَانِ

القويُّ

وَهُوَ القَوِيُّ لَهُ القُوَى جَمعًـــا تعَـــا ... لَـــى اللهُ رَبُّ النّـــاسِ والأَكـــوانِ

الغنيُّ

وهُـــوَ الغَـــنيُّ بذاتِـــهِ فغِنـــاهُ ذا ... تِـــيٌّ لَـــهُ كَـــالجُودِ والإِحسَـــانِ

العزيز القاهر

وهُوَ العَزيزُ فَلَـــن يُـــرامَ جَنَابُـــهُ ... أنّى يُرامُ جَنَـــابُ ذِي السُّـــلطَانِ

وهُوَ العَزيـــزُ القَـــاهرُ الغلّـــابُ لَمْ ... يَغلِبْـــهُ شَـــيءٌ هَـــذِهِ صِـــفَتَانِ

وهُوَ العَزيزُ بقُـــوَّةٍ هِـــيَ وَصـــفُهُ ... فـــالعَزُّ حِينَئِـــذٍ ثَـــلاثُ مَعَـــانِ

وَهْيَ الّتِي كَمُلَـــت لَـــهُ سُـــبحَانَهُ ... مِنْ كُلِّ وَجْـــهٍ عَـــادِمِ النُقصَـــانِ

الحكيم

وهُوَ الحَكِيمُ وذَاكَ مِـــن أوصَـــافِهِ ... نَوعَانِ أيضًا مَـــا هُمَـــا عَـــدَمَانِ

حُكـــمٌ وإِحكَـــامٌ فَكُـــلٌ مِنـــهُمَا ... نَوعَـــانِ أيضًـــا ثَابتَـــا البُرهَـــانِ

والحُكْـــمُ شَـــرعِيٌّ وَكَـــونيٌّ وَلَـــا ... يَتلازَمـــانِ وَمَـــا هُمَـــا سِـــيَّانِ

الحييُّ

وهُوَ الحَيِيُّ فَلَيسَ يَفضَـــحُ عَبـــدَهُ ... عِندَ التَّجَـــاهُرِ مِنـــهُ بالعِصـــيَانِ

لَكِنَّـــهُ يُلقِـــي عَلَيـــه سِـــترَهُ ... فَهُوَ السِّتِيرُ وَصَـــاحبُ الغُفـــرَانِ

الحليم

وهُوَ الحَلِيمُ فَلَـــا يُعَاجِـــلُ عَبْـــدَهُ ... بِعُقُوبَـــةٍ لِيَتُـــوبَ مِـــنْ عِصـــيانِ

العفو

وَهُوَ العَفُوُّ فَعَفوُهُ وَسِــعَ الــوَرَى   لولَــاهُ غَــارَ الأَرض بالسُّـــكَانِ

الصبور

وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَــى أذَى أعدائِــهِ   شَــتَمُوهُ بَــل نَسَــبُوهُ لِلبُهتَــانِ

قَالُوا لَــهُ ولَــدٌ ولَــيسَ يُعَيــدُنَا   شَتمًا وتَكــذِيبًا مِــنَ الإِنســانِ

هَـــذَا وَذَاكَ بِسَــمعِهِ وَبِعلمِـــهِ   لَوْ شَاءَ عَاجَلــهُم بِكُــلِ هَــوَانِ

لَكِنْ يُعَــافِيهِمِ ويَــرزُقْهُمُ وهُــمْ   يُؤذُونَـــهُ بالشِّـــرْكِ وَالكُفــرَانِ

الرقيبُ

وَهَوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَواطِرِ واللَّــوَا   حِظِ كَيفَ بالأَفعَــالِ بالأَرْكَــانِ

الحفيظُ الكفيلُ

وَهُوَ الحَفيظُ عَلَيهِمُ وَهُوَ الكَفِيــــ   ـــلُ بِحِفظِهِمْ مِنْ كُلِّ أمــرٍ عَــانِ

اللطيفُ

وَهُوَ اللَّطِيــفُ بِعَبْــدِهِ وَلِعَبْــدِهِ   واللَّطفُ فِــي أوصَــافِهِ نَوعَــانِ

إدرَاكُ أســـرارِ الأمُـــورِ بخِـــبرَةٍ   واللَّطفُ عِندَ مَوَاقِــعِ الإحســانِ

فيُرِيـــكَ عِزّتَـــهُ ويُبـــدِي لُطفَـــهُ   وَالعَبدُ فِي الغَفَلَاتِ عَن ذَا الشَّــانِ

الرفيقُ

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أهلَ الرِّفقِ بَــل   يُعطِـــيهُمُ بـــالرِّفقِ فَـــوقَ أمَـــانِ

القريبُ

وهُوَ القَريبُ وقُربُهُ المُختَـصُّ بالـدْ   داعِــي وعَابِــدِهِ عَلَــى الإيمَــانِ

المجيبُ

وَهُوَ المُجِيبُ يَقولُ مَنْ يَدعُو أُجِبْـــ   ـــهُ أَنَا المُجِيبُ لِكُلِّ مَــن نَــادَانِي

وهُوَ المُجِيبُ لِـدَعوَةِ المضـطَرِّ إِذ يَـدْعُوهُ فِـي سِـرٍ وفِي إعـلانِ

الجوادُ

وهُوَ الجَوَادُ فَجُودُهُ عَـمَّ الوُجُـو دَ جَميعَـهُ بالفَضْـلِ والإِحسَـانِ

وهُوَ الجَوَادُ فَـلا يُخَيِّـبُ سَـائِلًا وَلَـوَ انَّـهُ مِـن أُمَّـةِ الكُفْـرانِ

المغيثُ

وهُـوَ المُغيـثُ لِكُـلِّ مخلُوقَاتِـهِ وَكَذَا يَجُيـبُ إغَاثَـةَ اللَّهفَـانِ

الودودُ

وَهُوَ الـوَدُودُ يُحِـبُّهُم ويُحِبُّـهُ أحبَابُـهُ وَالفَضْـلُ للمَنَّـانِ

وهُوَ الَّذِي جَعلَ المَحَبَّـةَ في قُلُـو بِهِـمُ وَجَـازَاهُم بِحُـبٍّ ثَـانِ

هَذَا هُوَ الإِحَسانُ حَقًّا لَـا مُعَـا وَضَـةً وَلَـا لِتَوقُّـعِ الشُّـكْرَانِ

لَكِن يُحِبُّ شَكُورَهُم وَشُـكُورُهُم لَـا لاحتِيَـاجٍ مِنـهُ للشُّـكرَانِ

الشكورُ

وَهُوَ الشَّكُورُ فَلَن يُضَيِّعَ سَـعيَهُم لِكِـن يَضَـاعِفُهُ بِلَـا حُسـبَانِ

ما لِلعِبَـادِ عليـه حَـقٌ وَاجِـبٌ هُوَ أوجَبَ الأَجرَ العَظِيمَ الشَّـانِ

كَلَّا وَلَـا عَمَـلٌ لَدَيـهِ ضَـائِعٌ إن كَانَ بالإِخلَـاصِ والإِحسَـانِ

إن عُـذِّبُوا فِبعَدلِـهِ أو نُعِّمُـوا فِبفَضْـلِهِ وَالحَمـدُ للـرَّحمَنِ

الغفورُ

وهُوَ الغَفُورُ فَلَـو أُتِـي بقُرَابِهَـا مِن غَيرَ شِرِكٍ بَل مِـنَ العِصَـيانِ

لاقَـاهُ بِـالغُفرانِ مِـلءَ قُرَابِهـا سُـبحَانَهُ هُـوَ وَاسِـعُ الغُفـرانِ

التوابُ

وكَذلِكَ التَّـوابُ مِـنْ أوصَـافِهِ والتَّوبُ فِـي أَوصَـافِهِ نَوعَـانِ

إذنٌ بِتوبـــةِ عَبـــدِهِ وقَبُولِهَـــا بَعـــدَ المَتـــابِ بمِنَّـــةِ المَنّـــانِ

الإلهُ السيدُ الصمدُ

وَهُوَ الإلهُ السَّيِّدُ الصَّـــمَدُ الَّـــذِي صَمَدَتْ إليـــهِ الخَلـــقُ بالإذعـــانِ
الكَامِلُ الأَوصَافِ مِنْ كُـــلِّ الوُجُـــو هِ كَمَالُهُ مـــا فِيـــهِ مِـــنْ نُقْصَـــانِ

القهارُ

وكَذلِكَ القَهّـــارُ مِـــنْ أَوْصَـــافِهِ فَـــالخَلْقُ مَقْهُـــورُونَ بالسُّـــلْطَانِ

الحيُّ العزيزُ القادرُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّـــا عَزِيـــزًا قَـــادِرًا مَا كَانَ مِنْ قَهْـــرٍ وَلَـــا سُـــلطانِ

الجبارُ

وَكَذلِكَ الجَبّـــارُ مِـــنْ أَوْصَـــافِهِ والجَبْـــرُ فِـــي أَوْصَـــافِهِ قِســـمَانِ
جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَـــدْ غَـــدَا ذَا كَسْـــرةٍ فَـــالجَبْرُ مِنْـــهُ دَانِ
الثّاني جَبْرُ الْقَهْـــرِ بِـــالعِزِّ الـــذي لَا يَنْبَغِـــي لِســـوَاهُ مِـــنْ إنْســـانِ
ولَهُ مُسَمًّى ثالـــثٌ وهُـــوَ العُلـــوْ فَلَيْسَ يَـــدْنُو مِنْـــهُ مِـــن إنْسَـــانِ
مِنْ قَوْلِهِمْ جَبّارَةٌ لِلنَّخلـــةِ الـــ ـــعُلْيَا التي فاتَـــتْ لِكُـــلِّ بَنـــانِ

الحسيبُ

وَهُوَ الحَسِـــيبُ كِفَايَـــةً وحِمَايـــةً وَالحَسْبُ كَافِي الْعَبْـــدِ كُـــلَّ أَوانِ

الرشيدُ

وَهُـــوَ الرَّشِـــيدُ فَقَولُـــهُ وفِعَالُـــهُ رُشْدٌ وَرَبُّـــكَ مُرْشِـــدُ الحَيْـــرَانِ
وَكِلَاهُمَـــا حَـــقٌّ فَهَـــذَا وَصْـــفُهُ وَالْفِعْـــلُ للإِرْشَـــادِ ذَاكَ الثَـــانِي

العدلُ

وَالْعَدْلُ مِنْ أَوْصَـــافِهِ فِـــي فِعْلِـــهِ وَمَقَالِـــهِ وَالحُكْـــمُ بِـــالمِيزَانِ

فَعَلى الصِّراطِ المَستقيمِ إلهُنا   قَولًا وَفِعْلًا ذَاكَ فِي القُرآنِ

القدوسُ

هَذَا وَمِنَ أَوْصَافِهِ القُدُّوْسُ ذَو   التَّنْزِيْهِ بِالتَعْظِيمِ للرَّحْمَنِ

السلامُ

وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الحَقِيقَةِ سَالِمٌ   مِنْ كُلِّ تَمثِيلٍ وَمِنْ نُقْصَانِ

البرُّ

والبَرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ   هُوَ كَثْرةُ الخَيْرَاتِ والإحْسَانِ

صَدَرَتْ عَنْ البرِّ الذي هُوَ وَصْفُهُ   فَالبرُّ حِينَئذٍ لَهُ نوعَانِ

وَصْفٌ وفِعْلٌ فَهُوَ بَرٌّ مُحسِنٌ   مُوْلِي الجَميلِ ودَائِمُ الإِحْسَانِ

الوهَّابُ

وكَذلِكَ الوَهَّابُ مِن أَسْمَائِهِ   فَانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الأزَمَانِ

أَهْلُ السَّمَواتِ العُلَى والأَرْضِ عَنْ   تِلكَ المَواهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ

الفتاحُ

وَكَذلِكَ الفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ   والفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ

فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهْوَ شَرْعُ إلهَنَا   وَالْفَتْحُ بالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثانِ

وَالرَبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِمَا   عَدْلًا وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمنِ

الرزاقُ

وَكَذَلِكَ الرَزَّاقُ مِنَ أَوْصَافِهِ   والرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوعَانِ

رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ ورَسُولِهِ   نوعانِ أيْضًا ذَانِ مَعْرُوفَانِ

رِزْقُ القُلُوب العِلمُ والإيمَانُ والر   زْقُ المُعَدُّ لِهَذِهِ الأَبْدَانِ

هَذا هُوَ الرِّزْقُ الحَلالُ وَرَبُّنَا   رَزَّاقُهُ وَالفَضْلُ لِلمَنَّانِ

وَالثّاني سَوْقُ القُوتِ لِلأَعْضَاء فِـي تِلْكَ المَجَـارِيْ سَــوقُهُ بِــوَازانِ
هَذَا يَكُونُ مِنَ الحَلال كَمَا يَكُــو نُ مِنْ الحَــرَامِ كِلاهُمَــا رِزْقَــانِ
واللهُ رَازِقُــــهُ بِهَــــذَا الاعْتَبَــــا رِ وَلَــيْسَ بِالإِطْلَــاقِ دُوْنَ بَيَــانِ

القيومُ

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ القَيِّــومُ والـــ ـــقَيُّومُ فِــي أَوْصَــافِهِ أمْــرَانِ
إِحْــدَاهُمَا القَيُّــومُ قَــامَ بِنَفْسِــهِ وَالْكُونُ قَامَ بِــهِ هُمَــا الأمْــرَانِ
فَالَــأوّلُ اسْــتِغْنَاؤُهُ عَــنْ غَيْــرِهِ وَالْفَقْرُ مِــنْ كُــلٍّ إليــهِ الثَــاني
وَالوْصــــفُ بِــــالقَيُّوْمِ ذُوْ شــــأنٍ كَذَا مَوْصُوْفُهُ أَيْضًــا عظــيمُ الشّــانِ

الحيُّ القيومُ

وَالحَيُّ يَتْلُــوهُ فَأوْصَــافُ الكَمَــا لِ هُمَا لأُفْــقِ سَــمَائِها قُطبــانِ
فَالحَيُّ وَالقَيُّومُ لَنْ تَتَخلّــفَ الـــ أوْصَــافُ أصَــلًا عَنــهُمَا بِبَيَــانِ

القابضُ الباسطُ الخافضُ الرافعُ

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَــافِضٌ هُــوَ رَافِــعٌ بِالعَــدْلِ وَالمِيــزَانِ

المعزُّ المذلُّ

وَهُــوَ المُعِــزُّ لِأَهْــلِ طَاعَتِــهِ وذا عِـــزٌّ حَقِيقِـــيٌّ بَلَـــا بُطْلَـــانِ
وَهُوَ المُذِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلِــةِ الــدَّا رَيْـــنِ ذِلٌّ شَـــقَا وَذِلٌّ هَـــوانِ

المعطِي المانعُ

هُوَ مَــانِعٌ مُعْــطٍ فَهَــذَا فَضْــلُهُ وَالمَنْــعُ عَــيْنُ العَــدْلِ لِلْمَنّــانِ
يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَــنْ يَشَــا ءُ بِحِكْمَــــةٍ وَاللهُ ذُو سُـــــلْطَانِ

النورُ

وَالنُّورُ مِنَ أَسْــمَائِهِ أيْضًــا وَمِــنَ أَوْصَــافِهِ سُــبْحَانَ ذِي البُرْهَــانِ

قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَــدْ حَكَــا   هُ الــدَّارِمِيُّ عَنْــهُ بِلَــا نُكْــرَانِ
مَا عِنْدَهُ لَيْــلٌ يَكُــونُ ولا نَهَــا   رٌ قُلتُ تَحتَ الفُلْكِ يُوْجَــدُ ذَانِ
نُورُ السَّمَوَاتِ العُلَى مِــنْ نُــورِهِ   والأَرْضِ كَيْفَ النَّجمُ والقَمَــرانِ
مِنْ نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَــلَّ جَلَالُــهُ   وَكَذَا حَكَاهُ الحَــافِظُ الطَّبَرَانِــي
فِيهِ اسْتَنَارَ العَرْشُ والكُرسِيُّ مَــعْ   سَبْعِ الطِبَــاقِ وسَــائِرِ الأَكْــوانِ
وكِتَابُــهُ نُــورٌ كَــذلِكَ شَــرْعُهُ   نُــورٌ كَــذا المَبعــوثُ بالفُرْقَــانِ
وَكَذلِكَ الإِيمَانُ فِي قَلْــبِ الفَتَــى   نُورٌ عَلَــى نُــورٍ مَــعَ القُــرْآنِ
وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كَشَــفَ الحِجَــا   بَ لأَحْرَقَ السُــبُحَاتُ للأَكْــوَانِ
وَإِذْا أَتَى لِلْفَصْلِ يُشْــرِقُ نُــورُهُ   فِي الأَرْضِ يَوْمَ قِيَامَــةِ الأَبْــدَانِ
وَكَذَاكَ دَارُ الرَّبِ جَنَاتُ العُلَــى   نُــورٌ تَلَألَــأُ لَــيْسَ ذَا بُطْلَــانِ
وَالنُّورُ ذُو نَوعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَصْــ   ــفٌ مَــا هُمَــا وَاللهِ مُتَّحِــدَانِ
وَكَذَلِكَ المَخْلُوقُ ذُو نَوعَينِ مَحْــ   ــسُوسٌ ومَعْقُولٌ هُمَــا شَــيئَانِ
احْذَرْ تَزِلَّ فَتَحْتَ رِجْلِــكَ هُــوَّةٌ   كَمْ قَدْ هَوَى فِيها عَلَــى الأَزْمَــانِ
مِنْ عَابِدٍ بِالجَهْــلِ زَلَّــتْ رِجْلُــهُ   فَهَوَى إِلَى قَعْرِ الحَضِيْضِ الــدَّانِي
لَاحَتْ لَــهُ أَنْــوَارُ آثَــارِ العِبَــا   دَةِ ظَنَّهَــا الأَنْــوَارَ لِلــرَّحْمَنِ
فَــأَتَى بِكُــلِّ مُصِــيبَةٍ وبَلِيَّــةٍ   مَا شِئْتَ مِنْ شَطْحٍ ومِــنْ هَــذَيانِ
وَكَذَا الحُلُولِيُّ الذِي هُــوَ خَدْنُــهُ   مِنْ هَهُنَــا حَقًّــا هُمَــا أَخَــوَانِ
وَيُقَابِلُ الرَجُلِين ذُو التَّعْطِيل والــ   ــحُجب الكَثِيفَةِ مَا هُمَــا سِــيَّانِ
ذَا فِــي كَثافَــةِ طَبْعِــهِ وظَلامِــهِ   وبِظُلْمَةِ التَّعْطِيــلِ هَــذَا الثَــانِي
والنُّورُ مَحْجُوبٌ فَلَــا هَــذَا وَلَــا   هَذَا لَــهُ مِــنْ ظُلمَــةٍ يَرَيَــانِ[١]

---

(١) من النونية الكافية الشّافية في الانتصار للفرقة النّاجية لابن القيم.

* * *

٢- يا من له وجب الكمال بذاته[1]

ابن الفرس الخزرجي

يا من له وَجَبَ الكمـــالُ بذاتِـــه ... فالكُـــلُّ غايـــةُ فـــوزِهم لُقيـــاهُ

أنت الـــذي لمـــا تَعَـــالى جَـــدُّهُ ... قصُرَتْ خُطا الألباب دونَ حِمـــاهُ

أنت الذي امتلأَ الوجـــودُ بحمـــدِهِ ... لَّمـــا غـــدا مَلْـــآنَ مـــن نُعمـــاهُ

أنت الذي خلقَ الوجـــودَ بأســـرِهِ ... مـــن بـــينِ أَعْلَـــاهُ إلى أَدْنَـــاهُ

أنت الذي خَصَّصْـتَنا بوجودِنـــا ... أنَـــتَ الـــذِي عَرَّفْتَنَـــا معنَـــاهُ

سُبْحَانَ مَن مـــلأَ الوجـــودَ أدلّـــةً ... ليلُوحَ مـــا أخفَـــى بمـــا أَبْـــدَاهُ

سُبحانَ مَنْ أحْيَا قلـــوبَ عبـــادِهِ ... بلوائحٍ من فَـــيْضِ نـــورِ هُـــداهُ

هَلْ بعـــدَ معرفـــةِ الإلَـــهِ زيـــادةٌ ... إلّا اســـتدامةُ مـــا يُـــديمُ رِضَـــاهُ

واللهِ لا آوي لغَيْـــــرِك إنَّـــــه ... حُرِمَ الُهدَى مَنْ لم تكـــنْ مـــأْوَاه

مَوْلاي أُنسُكَ لم يَدَعْ لي وَحْشَـــةً ... إلّـــا مَحَـــا ظَلْماءَهـــا بسَـــنَاهُ

مولاي جُودُك لم يَـــدَعْ لي مطلبًـــا ... إلّـــا وتَممَـــــه إلى أَقْصَـــــاهُ

لم يَنْقَطِـــعْ أحـــدٌ إليـــكَ محجَّـــةً ... إلّـــا وأصـــبحَ حامـــدًا عُقبـــاهُ

عَجَزَ الأنامُ مِن اِمتـــداحِك إنَّـــهُ ... تَتَضَـــاءلُ الأفكـــارُ دونَ مَـــدَاهُ

مَنْ كَانْ يعرِفُ أنَّك الحقُّ الـــذي ... بَهَرَ العقـــولَ فَحْســـبُهُ وكَفَـــاهُ

---

(١) تسبيح ومناجاة وثناء (ص:٩٢-٩٣).

٣- أتيتك راجيًا يا ذا الجَلالِ[1]

أبو إسحاق الألبيري

أتيتُك راجيًا يَا ذا الجلالِ ... ففرِّجْ ما تَرَى من سُوءِ حَالي
عَصَيْتُك سَيِّدِي ويْلِي بجَهْلي ... وَعَيبُ الذنبِ لم يخطُرْ ببالي
إلى من يَشْتَكِي الملوكُ إلَّا ... إلى مَوْلَاهُ يا مَولَى الَموَالي
لَعَمْرِي ليتَ أُمِّي لَم تلِدْني ... ولم أُغْضِبْك فِي ظُلَمِ اللَّيَالي
فَهَا أنا عبدُك العَاصي فقيرٌ ... إلى رُحْماكَ فاقبلْ لي سُؤَالي
فإنْ عاقَبْتَ يا ربِّي تُعَاقِبْ ... مُحقًّا بالعذابِ وبالنِّكَالِ
وإن تَعْفو فعفْوك قد أَرَاني ... لِأفعالي وأوزاري الثقالِ

* * *

(١) ديوان أبي إسحاق الألبيري (ص:١١٠).

٤- إلهي وخالقي

لكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعُــلا
تباركتَ تُعطِي مــن تَشَــاءُ وتمنــعُ

إلهي وَخلّاقي وحرزِي[١] ومــوئلي[٢]
إِليكَ لَدَى الإعْسَارِ واليُسْــرِ أفْــزَعُ

إلهي لِئِن جَلّــتْ وجَمَّــتْ خَطِيــئتي
فعفُوُك عَن ذنــبي أَجَــلُّ وأوسَــعُ

إلهي لئن أعطَيْــتَ نفســي سُــؤَالها
فهــا أنــا في أرضِ الندامــةِ أَرْتــعُ

إلهي تَرَى حــالِي وفَقْــرِي وفَــاقَتِي
وَأنــتَ مُناجَــاتِي الخفيَّــةَ تَسْــمَعُ

إلهي فَلَا تَقْطَــعْ رَجَــائي ولا تُــزِغْ
فُؤَادي فلي في سَيْبِ[٣] جودِك مَطْمَعُ

إلهــي لــئن خيَّبْتَنــي أو طَرَدْتَنــي
فَمَنْ ذا الذي أرجُو ومن لي يَشْــفَعُ

إلهي أجِــرْني مــن عَــذَابك إنّنــي
أَسيرٌ ذليلٌ خــائفٌ لــك أخضَــعُ

إلهــي فآنِسْــنِي بــتلقينِ حُجَّتِــي

---

(١) الحرز: ما يتقى به المهالك.

(٢) الموئل: الملجأ والملاذ.

(٣) سب: عطاء.

إذا كان لي في القبرِ مَثْوَىً ومَضْـجَعُ

إلهي لَئِنْ عَذَّبتَني ألفَ حِجَّةٍ

فحبلُ رَجَائِي مِنْكَ لا يتقطَّعُ

إلهي أذِقْني طَعْمَ عَفْوِك يومَ لا

بنونَ ولا مالٌ هنالِك ينفعُ

إلهي إذا لم تَرْعَني[1] كنتُ ضائعًا

وإن كنتَ ترعَاني فلستُ أُضيِّعُ

إلهي إذا لم تَعْفُ عن غيرِ محسنٍ

فمن لمُسيءٍ بالهَوَى يَتَمَتَّعُ

إلهي لَئِنْ فرَّطتُ في طلبِ التُّقَى

فها أنا إثرَ العفوِ أقفُو وأَتْبَعُ

إلهي لَئِن أخطأتُ جهلًا فَطَالما

رجوتُك حتى قِيلَ هَا هُو يجزَعُ

إلهي ذنوبي جَازَتِ الطودَ[2] واعتَلتْ

وصفحُك عن ذَنْبي أَجَلُّ وأرفعُ

إلهي يُنحِّي ذِكْرُ طَوْلِك[3] لَوْعَتي

وذكرُ الخطايا العينُ منِّي تَدْمَعُ

إلهي أنِلْني مِنْك رُوحًا ورحمةً

فلستُ سِوَى أبوابِ فَضْلِك أقْرَعُ

---

(١) ترعني: تحفظني.

(٢) الطود: الجبل.

(٣) طولك: فضلك وإحسانك.

إلهــي لَــئِنْ أقصَــيْتَني أو طَــرَدتَني
فما حِيلَتي يا ربِّ أم كيفَ أصْــنَعُ؟
إلهي حليفُ الحــبِّ بالليــلِ ســاهرٌ
يُنَــادي ويــدعُو والمغفّــلُ يهجَــعُ
وكلُّهُــم يرجُــو نوالــكَ راجيًــا
لرحمتِك العُظمَى وفي الخُلْــدِ يَطْمَــعُ
إلهــي يُمَنِّــيني رَجَــائي ســلامةً
وقــبحُ خطيئَــاتي علــيَّ يُشــيعُ
إلهي فانشُــرْني علــى ديــنِ أحمــدٍ
تقيًّا نقيًّــا قانتًــا لــك أَخْشَــعُ[1]

٥- هو الله[2]

علي بن أبي طالب t

لَكَ الحَمدُ والنَّعْمَاءُ والمُلكُ رَبَّنــا ... ولا شَيءَ أعلَا مِنكَ مَجدًا وأمجَــدُ
مَلِيكٌ على عَرشِ السَّماءِ مُهــيمِنٌ ... لِعِزَّتِهِ تَعنُــو الوُجُــوهُ وتَســجُدُ
فَسُبحانَ مَنْ لا يَقدُرُ الخَلْقُ قَــدرَهُ ... وَمَنْ هُوَ فَوقَ العَرشِ فَردٌ مُوحَّــدُ
ومَنْ لَم تُنَازِعْهُ الخَلائِــقُ مُلكَــهُ ... وَإِن لَم تُفَــرِّدهُ العِبَــادُ فَمُفــرَدُ
مَليكُ السَّمَاوَاتِ الشِّدَادِ وأرضِها ... وَلَيسَ بشَيءٍ عَــنْ قَضَــاهُ تَــأوُّدُ
هُوَ اللهُ بَاري الخلقِ، وَالخَلقُ كُلُّهُــم ... إماءٌ لهُ طَوعًــا جَمِيعًــا وأَعبُــدُ
وأنَّى يَكُونُ الخَلقُ كَالخَالِقِ الــذِي ... يُميتُ ويُحيي دَائبًا لَــيسَ يَهمَــدُ

---

(١) ديوان علي بن أبي طالب (ص:٧٨-٨٠).

(٢) رائق الزهرة: لأبي داود الأصبهاني (١٤٦/١)، والشعر منسوب لأمية بن أبي الصلت.

تُسبّحُهُ الطَّيرُ الجـوانِحُ في الخَفَـا   وَإذْ هِيَ في جَوِّ السَّـماءِ تُصَـعِّدُ
وَمِن خَوفِ رَبِّي سَبّحَ الرّعدُ فَوقَنَـا   وسَبَّحَهُ الأشجَارُ وَالـوَحشُ أبّـدُ

* * *

٦- يا من يَرَى ما في الضميرِ ويسمعُ

السهلي

يا من يرَى ما في الضميرِ ويسمعُ ... أنتَ المعَدُّ لكلِّ ما يُتوقَعُ
يا مَن يُرجَّى للشدائدِ كلِّها ... يا مَنْ إليه المُشتَكى والمَفْزَعُ
يا مَن خزائنُ مُلكِهِ في قولِ كُنْ ... أُمنُنْ فإنَّ الخيرَ عندَكَ أجمعُ
ما لي سِوَى فَقْرِي إليكَ وسيلةٌ ... فبالافتِقَارِ إليكَ فَقْرِيَ أَدْفَعُ
ما لي سِوَى قَرْعِي لبابِك حيلةٌ ... فلئِن رُددتُ فأيَّ بابٍ أقرعُ
ومن الذي أدْعو وأهتفُ باسمِهِ ... إن كانَ فضلُكَ عن فقيرٍ يُمنعُ؟!
حاشَا لجدِك أن تُقنِّط عاصيًا ... فالفَضْلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ[1]

* * *

(١) البداية والنهاية (١٢/٣٩٠).

٧- عفوك اللهم

الشافعي

حدَّثَ المزنيُّ قال: دخلتُ على الشافعيِّ في مرضِه الذي مات فيه فقلتُ: كيفَ أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا، وللإخوانِ مفارقًا، ولكأسِ المنيةِ شاربًا، وعلى اللهِ ــ جل ذكرُه ــ واردًا، ولا واللهِ ما أدري روحي تصيرُ إلى الجنةِ أم إلى النارِ؟ ثم بَكَى وأنشأَ يقولُ:

إليك إلهَ الخلــقِ أرفــعُ رَغْبَتِــي ... وإن كنتُ ياذا المنّ والجودِ مجرمًــا

ولما قَسَا قَلْبِي وضــاقتْ مــذَاهِبِي ... جَعَلْتُ الرّجا مِني لِعفُــوِكَ سُــلّمًا

تعــاظَمَني ذَنْبِــي فلمّــا قرنتُــهُ ... بعفوِكَ ربّي كَانَ عفــوُكَ أعظَمَــا

فما زلتَ ذا عفوٍ عَنِ الذنبِ لم تَزَلْ ... تجُــودُ وتعفُــو مِنّــةً وتكرُّمَــا

فلولاكَ لم يَصْمُدْ لإبلــيسَ عابــدٌ ... فكيفَ وَقْدَ أَغْوَى صَفِيّكَ آدمَــا

فيا ليت شِعْري هل أصــيرُ لجنّــةٍ ... أُهَنّــا وإمّــا للســعيرِ فأنْــدَما

فَللهِ درُّ العــارفِ النــدْبِ إنّــهُ ... تفيضُ لفرطِ الوَجْدِ أجفانُــهُ دمَــا

يُقيمُ إذا ما الليــلُ مــدّ ظلامَــهُ ... على نفسهِ من شِدّةِ الخَوْفِ مأتمَــا

فصيحًا إذا ما كان في ذِكْــرِ ربّــهِ ... وفي ما سِوَاهُ في الوَرَى كان أَعْجَمَا

ويذكُرُ أيامًا مضَتْ مــن شَــبَابهِ ... وما كان فيهــا بالجهَالــةِ أجْرَمــا

فصارَ قرينَ الهــمّ طــولَ نهــارِهِ ... أخا السُّهدِ[1] والنجوى إذا الليلُ أظلمَــا

يقولُ حبيبي أنتَ سُــؤلي وبُغْــيَتِي ... كَفَى بك للراجينَ سؤلًا ومَغْنَمــا

عَسَى من لَهُ الإحسانُ يغفرُ زلّــتِي ... ويستُرُ أَوْزَارِي ومَا قَــدْ تَقَــدَّما

---

(١) السهد: قلة النوم.

تعاظَمَني ذَنْبي فأقبلــتُ خاشِــعًا ... ولولا الرِّضَا ما كنتَ يا ربِّ مُنعما

فإن تعفُ عني تَعْفُ عــن مُتَمَــرّدٍ ... ظلُومٍ غَشُــومٍ لا يزايــلُ مأثمـا

وإن تَستقِدْ مني فلســتُ بــآيسٍ ... ولو أدخلوا نفسي بُجرمٍ جهنَّمـا

فجرُمي عظيمٌ من قديمٍ وحــادثٍ ... وعفوُك يأتي العبدَ أعْلَى وأجْسَــمَا

حَوَاليّ فضلُ اللهِ من كلِّ جانــبٍ ... ونورٌ من الرحمنِ يفتــرشُ السَّــمَا

وفي القَلْبِ إشراقُ المحبِّ بوصْــلهِ ... إذا قاربَ البُشْرى وجازَ إلى الحِمَــى

حواليّ إينــاسٌ مــن اللهِ وحــدَهُ ... يطالِعُني في ظلمــةِ القــبرِ أنجُمـا

أصونُ ودَادِي أن يُدَنّسَه الهَــوَى ... وأحفظُ عهدَ الحــبِّ أن يَتَثَلّمَـا

ففي يَقْظَتِي شوقٌ وفي غَفْوَتي مُنًــى ... تلاحِقُ خَطْــوِي نشــوةً وترنُّمـا

ومن يَعْتَصِمْ باللهِ يسْلَمْ من الــوَرَى ... ومن يرجُه هيهــاتَ أن يتنــدَّما(١)

* * *

---

(١) ديوان الشافعي (ص:١١٤-١١٥).

٨- لكَ الحمدُ

عبد الرحمن البرعي

لكَ الحمدُ حَمدًا نستلذٌّ بهِ ذكــرا
وإن كنتُ لا أُحصي ثناءً ولا شكرا
لكَ الحمدُ حَمدًا طيبًا يَمْلَأُ السَّـما
وأقطارَها والأرضَ والبَرِّ والبحــرا
لكَ الحمدُ حمدًا سـرمَديًّا مُباركًـا
يَقِلَّ مِدادُ البحْرِ عن كُنهِهِ حَصْــرا
لكَ الحمدُ تَعظيمًا لوجهــكَ قائِمًــا
بحقِّكَ في السَّرّاء مِــني وفي الضــرّا
لكَ الحمدُ مقرُونًا بشكرِكَ دائمًــا
لكَ الحمدُ في الأولى لكَ الحمدُ في الأُخرى
لكَ الحمدُ حمدًا طيبًا أنــت أهلــهُ
على كلِّ حالٍ يَشْمَلُ السرِّ والجهْرا
لكَ الحمدُ موصُــولًا بغــيرِ نِهايــةٍ
وأنت إلهي ما أحــقّ ومــا أحْــرَى
لكَ الحمدُ يا ذا الكبرياءِ ومن يكُن
بحَمدِكَ ذا شُكرٍ فقد أحْرَزَ الشُّــكْرا
لكَ الحمدُ حمــدًا لا يُعُــدُّ لحاصــرٍ
أيُحْصِي الحَصَى والنَّبتَ والرّملَ والقَطْرا
لكَ الحمدُ أضعافًا مُضــاعفةً علــى

لطائفِ ما أحلى لدَينا ومـــا أَمْـــرا

لكَ الحمدُ ما أوْلاكَ بالحمدِ والثَّنـــا

على نعَـــمٍ أتبَعتَهـــا نِعمًـــا تَتْـــرى

لكَ الحمدُ حمدًا أنتَ وفّقتَنِـــي لـــهُ

وعلّمْتَني من حَمدِكَ النَّظمَ والنَّثـــرا

لكَ الحمدُ حمـــدًا نبتَغِيـــهِ وسِـــيلَةً

إليكَ لتجدِيدِ اللَّطائفِ والبُشـــرى

لكَ الحمدُ كم قلّدتَنا مـــن صـــنيعةٍ

وأبْدَلْتَنَا بالعُسْرِ يا ســـيدي يُســـرا

لكَ الحمدُ كم من عثرةٍ قد أَقَلْـــتَني

ومن زلّـــةٍ ألبســـتَنا مَعَهـــا سِـــترا

لكَ الحمدُ كم خصَّصْـــتَني ورفعـــتَني

على نُظرائي من بَني زمَـــني قَـــدْرا

لكَ الحمدُ حمدًا فيه وردِي ومَشْـــرَعي

إذا خابتِ الآمالُ في السَّنةِ الغَبْـــرا

لكَ الحمدُ حمدًا ينسخُ الفقرَ بالغِنَى

إذا خِفتُ يا مَوْلايَ بعدَ الغِنى فَقْـــرا

إلهـــي تغَمَّـــدني برحمَتِـــكَ الـــتي

وسِعَت وأوسَعتَ البَرَايا بِهـــا بِـــرّا

وقوِّ بِرُوحٍ منك ضَـــعْفِي وهِمَّـــتي

على الحقِّ واغْفِرْ زلّتي واقبلِ العُـــذرا

فإني مـــن تَـــدْبيرِ حـــالي وحِـــيلَتي

إليك ومن حَولي ومن قـــوِّتي أَبْـــرَا

* * *

٩- مع الله

عمر بهاء الأميري

مَـعَ اللهِ في سُـبُحَاتِ الفِكَـر ... مَـعَ اللهِ في لَمَحَـاتِ البَصَـرْ
مَـعَ اللهِ في زَفَـراتِ الحَشَـا ... مَـعَ اللهِ في نَبَضـاتِ البَهَـرْ[1]
مَـعَ اللهِ في رَعَشَـاتِ الهَـوَى ... مَـعَ اللهِ في الخَلجـاتِ الأُخَـرْ
مَـعَ اللهِ في مُطْمَـئِنّ الكَـرَى[2] ... مَـعَ اللهِ عنـدَ امتـدَادِ السَّـهَر
مَـعَ اللهِ آنَ اجـتلاءِ السَّـنا[3] ... ونَيـلِ المُـنى والهَنـاءِ الأغَـرّ
مَـعَ اللهِ حـالَ اتِّقـادِ الأسَـى ... ووَقـعِ الأذَى واحتِـدَامِ الخَطَـر
مَعَ اللهِ في حَملِ عِـبءِ الضَّـنَى ... مَـعَ اللهِ بالصَّـبرِ فـيمَن صَـبَر
مَـعَ اللهِ والقَلـبُ في نَشْـوةٍ ... مَعَ اللهِ والنَّفسُ تَشـكَو الضَّـجَر
مَعَ اللهِ في كُـلِّ بُؤسَـى ونُعمَـى ... مَـعَ اللهِ في كُـلِّ خـيرٍ وشَـر
مَـعَ اللهِ فِـي أَمسِـيَ المُنْقَضِـي ... مَـعَ اللهِ فِـي غَـدِيَ المُنْتَظَـرْ
مَـعَ اللهِ فِـي عُنْفُـوَانِ الصِّـبَا ... مَعَ اللهِ فِي الضَّعْفِ عِنْـدَ الكِبَـرْ
مَـعَ اللهِ قَبْـلَ حَيَـاتِي وَفِيهَـا ... وَمَا بَعْدَهَا، عِنْدَ سُـكْنَى الحُفَـرْ
مَـعَ اللهِ في فَـيْءِ[4] فِرْدَوْسِـهِ ... مَعَ اللهِ فِـي عَوذِنَـا مِـنْ سَـقَرْ
مَعَ اللهِ فِي نَبْـذِ مَـا قَـدْ نَهَـى ... مَـعَ اللهِ بِالسَّـمْعِ فِيمَـا أَمَـرْ
مَعِ اللهِ فِـي الجِـدِّ مِـنْ أَمْرِنَـا ... مَعَ اللهِ فِـي جَلَسَـاتِ السَّـمَرْ

---

(١) البهر: ما يعتري الإنسان عند السعي الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس.
(٢) الكرى: النوم.
(٣) السنا: الضوء.
(٤)فيء: هو الظل.

مَــعَ اللهِ فِــي خَلَــوَاتِ اللّيَــالِي مَعَ اللهِ فِــي الــرَّهْطِ وَالمُــؤتَمَر
مَعَ اللهِ فِي حُــبِّ أَهْــلِ التُّقَــى مَعَ اللهِ فِي كُرْهِ مَــنْ قَــدْ فَجَــرْ
مَعَ اللهِ فِــي مُــدْلَهِمِّ[1] الــدُّجَى مَــعَ اللهِ عِنْــدَ انبلَــاجِ السَّــحَرْ
مَعَ اللــه فِــي لَــألآتِ النُّجُــومِ وَحَبْكِ[2] الغُيَومِ وَضَــوْءِ القَمَــرْ
مَعَ اللهِ وَالشَّمْسُ تَكْسُــو الــدُّنَى مَــعَ اللهِ وَالشُّــهْبِ كَــرٌّ وَفَــرْ
مَــعَ اللهِ عِنْــدَ هَــزِيمِ الرُّعُــودِ وَلَمــعِ البُــرُوقِ وَدَفْــقِ المَطَــرْ
مَعَ اللهِ فِــي الفَلَــكِ المُســتَطِيرِ وَفِي الشَّمسِ تَجرِي إِلَى مُسْــتَقَر
مَعَ اللهِ فِي الأَرْضِ فِــي سَــهْلِهَا وَأَودَائِهَــا وَالرَّوَاسِــي الكُبَــرْ
مَعَ اللهِ فِي البَحْــرِ مِلْــحٌ أُجَــاجٌ مَــعَ اللهِ فِــي سَلسَــبِيلِ النَّهَــرْ
مَعَ اللهِ فِــي تَأَمَــاتِ[3] الوُجُــودِ مَعَ اللهِ فِي كُــلِّ مَــا قَــدْ فَطَــرْ
مَــعَ اللهِ فِــي سَــكَنَاتِ الحَيَــاةِ مَعَ اللهِ فِــي حَرَكَــاتِ الحَجَــرْ
مَــعَ اللهِ فِــي نَسَــمَاتِ الرِّيَــاحِ اللّوَاقِحِ تَخطُــرُ بَــيْنَ الشَّــجَرْ
مَــعَ اللهِ فِــي نَفَحَــاتِ الشَّــذَا مَــعَ اللهِ مِــلءَ ثُغُــورِ الزَّهَــرْ
مَعَ اللهِ فِي الحَقْــلِ حُلْــوِ الجَنَــى مَعَ اللهِ فِي الرَّوضِ دَانِــي الثَّمَــرْ
مَعَ اللهِ سَــامِعِ صَــوْتِ الــدَّبِيبِ مِــنَ النَّمْــلِ أَنَــى وَأَيَّــانَ مَــرْ
مَعَ اللهِ وَالنَّحْلُ يَحسُــو الرَّحِيــقَ وَيَحمِــي جَنَــاهُ بَــوخْزِ الإِبَــرْ
مَعَ اللهِ فِــي رَفرَفَــاتِ الفَــرَاشِ تَلَامَعُ فِي الشَّمْسِ مِثــلَ الــدُّرَرْ
مَعِ اللهِ وَالطَّيْــرُ تَغْــدُو خِمَاصًــا وَتَــنْعَمُ بِــالرِّزْقِ مُنــذُ البُكَــرْ

---

(١) مدلهم: شديد الظلمة.

(٢) حبك الغيوم: طرائقها.

(٣) تأمات الوجود: أحواله الخفية.

مَعَ اللهِ فِي سَــيْرِ وَحــشِ الفَلَــاةِ ... بِهَدي الغَرائِــزِ تَقضِــي الــوَطَرْ

مَــعَ اللهِ يَــنْفُخُ مِــنْ رُوحِــهِ ... عَلَــى حَمَــأٍ فَيَكُــونُ البَشَــرْ

مَــعَ اللهِ مَــا اخْتَلجَــتْ نُطْفَــةٌ ... بِــرُوحٍ خَفِــيٍّ وَمَــا دَرَّ دَرْ

مَــعَ اللهِ فِيمَــا سَــيَذْرَأُ مِــنْ ... نُفُوسٍ و فيمــا مَضَــى وَانــدَثَرْ

مَعَ اللهِ مَا اخْتَلفَــتْ فِــي الأَنَــامِ ... طَبَــائِعُ أُنثَــاهُمُ و الــذّكَرْ

مَعَ اللهِ مَا افتَرَقَــتْ فِــي الــوَرَى ... لُغَــاهُمْ وَأَلــوَانُهُمْ وَالصُّــوَرْ

مَــعَ اللهِ نَــوَّعَ أَشــكَالَهُم ... وَخَــصَّ أنَــامِلَهُم بِــالأَثَرْ

مَــعَ اللهِ مَيَّــزَ أَذوَاقَهُــمْ ... فَكُــلٌّ لَــهُ فِــي هَــواهُ نَظَــرْ

مَعَ اللهِ فِي سَــبْرِ كُنْــهِ الوُجُــودِ ... وَرُوحِ الحَيَــاةِ وَسِــرِّ القَــدَرْ

مَــعَ اللهِ فِــي عَــالَمِ المُــدْرَكَاتِ ... وَفِي الغَيْبِ مِــنْ كَائِنَــاتٍ أُخَــرْ

مَــعَ اللهِ فِيمَــا بَــدَا وَانْتَشَــر ... مَعِ اللهِ فِيمَــا انْطَــوَى وَاسْــتَتَرْ

مَــعَ اللهِ وَفْــقَ نَوَامِيسِــهِ ... مَــعِ اللهِ رَهْــنَ القضَــا وَالقَــدَر

مَــعَ اللهِ فِــي بَعْثِــهِ المُرْسَــلِينَ ... هُــدَاةً دُعَــاةً إِلَــى مَــا أَمَــرْ

مَــعَ اللهِ فِــي وَحْــيِ قُرآنِــهِ ... مَــعَ اللهِ فِــي آيِــهِ وَالسُّــوَرْ

مَــعَ اللهِ فِــي قَصَــصِ الأَوَلِــين ... وَفِــي قَصَــص الأَوَلِــينَ العِبَــرْ

مَــعَ اللهِ طَوعًــا مَــعَ اللهِ سَــوقًا ... فَمَا مِــنْ مَلَــاذٍ وَلَــا مِــنْ وَزَرْ

مَــعَ اللهِ وَالفَــيْضُ مِــنْ قُدْسِــهِ ... يُــنِيرُ بَصِــيرَتَنَا وَالبَصَــرْ

وَيَــدفَعُ أَعْمَــاقَ إِيمَانِنَــا ... فِــرَارًا إِليــه ونعــمَ المفــرّ

* * *

١٠- لك الأمر وحدك

للشاعر محمد العلائي

لك الأمرُ لا يدري عبادُك مــا بيَــا
لك الأمرُ لا للنّاصِــحينَ ولا لِيَــا
وهذي مَعَاذِيري وتلــكَ صَــحَائفٌ
عليها خَطَاياي.. وفيهــا اعترافِيَــا
وفيها من الأمسِ الدفينِ وحاضِــري
وفيها مــن الآتي وفيهــا ابتِهَاليــا
وفيها تهاويــلٌ .. ومهجــةُ شــاعرٍ
ينامُ بهــا يأسًــا ويصْــحُو أَمَانيــا
وفيهــا أعاجيــبٌ يكفِّــرُ همّهــا
ذنوبي وإن كانتْ جِبَالًــا رواسِــيا!
ونــازعني شــوقٌ إليــك وهَــزَّني
من الغيبِ ما يهفُــو إليــه رَجَائيــا
فجئتُ من الــدنيا الأثيمــةِ هاربًــا
بصَفْويَ مــن أكْــدَارِها ونَقَائِيَــا
وناديتُ أحلَــامي إليــكَ وخَافقًــا
تهيّب أســبابَ المُنَــى والتمادِيــا!
أناديك في ضَعفٍ وأخجلُ أن تــرَى
جــراحَ أمانيــه ولــونَ دِمَائيــا
لك الأمرُ أشواقي ببابِــك والمنَــى

ولي أمـــلٌ ألّـــا يطـــولَ انتظارِيَـــا

لك الأمرُ ما لي أرتجيـــك فيَلْتَـــوِي

لساني وأمضِـــي بالتوسُّـــلِ شَـــاكِيا

ذكرتُك في نفسٍ هَـــدَاها ضـــلالُها

إليك وعافـــتْ وِحْـــدَتي وارتِيَابِيـــا

ومنِّيتُ رُوحي من سَـــنَاك بلمْحَـــةٍ

أُضَـــمِّدُ آلامـــي بهـــا وجِرَاحِيـــا

تعاليتَ لم أذكُـــرْ ســـواك بمِحْنَتِـــي

ولم أرجُ إلا مِـــنْ يـــدَيْك جَزَائِيـــا

وفوَّضتُ عن عِلْـــمٍ إليـــك إرَادتي

وَحَسْبِي مـــا أدَّى إليـــه اخْتِيَاريـــا

لك الأمرُ شَاقَتْني سمـــاؤُك وانتَهـــى

إليـــك بـــأحلامِ الضَّـــميرِ مَطَافِيـــا

وأنزلـــتُ آمـــالي وفيهـــا ملامِـــحٌ

تَردُّ أمَامي مـــا تركـــتُ وَرَائِيـــا!

يُطَـــالِعُني منـــها زمـــانٌ عرفتُـــهُ

بـــريحِ ليالِيـــه ولـــونِ سُـــهَادِيا!!

ضياؤُك أغْرَى بـــاليقينِ جَـــوَارِحي

وفَجَّرَ أَعْمَـــاقي وأفضـــى بِـــذَاتِيا

لك الأمرُ أسبابٌ ضعافٌ وخَـــاطري

ببابِك يخشَى رَجْعَتِـــي وانْحِرَافيـــا

دعوتُك مِـــلءَ الـــنفسِ ألا تـــردَّه

مغيظًـــا وألّـــا تســـتعيدَ سُـــؤَالِيا
وحاشَاك أن ترضَى مع النفسِ مـــذهَبًا
بغيرِ يقينٍ منـــك يهـــدِي شُـــعَاعِيا
لك الأمرُ هذا من يـــديك عدالـــةٌ
وهـــذا قليـــلٌ في مقـــامِ اتِّصَـــالِيا
أتيتُـــك والحـــقُّ الصـــريحُ يمُـــدُّني
إليك ولحنُ البشـــرِ مـــلءُ فؤاديـــا
وفي النفسِ فجْرٌ من يقينٍ ومَوْكِـــبٌ
من الخـــيرِ يحـــدُوهُ إليـــك وَلَائِيـــا
وفيها رجاءٌ فـــاضَ منـــك جلالُـــه
وآفـــاقُ نـــورٍ يَسْـــتَحِيها ضِـــيَائيا
وأحببتُ حـــتى أَسْـــكَرَتْني مَـــوَدَّتي
وذابَ يمـــيني رحمـــةً وشِـــمَالِيا
وهامَتْ بـــآلامِ الحيـــاةِ وسَـــائِلي
وفاضَتْ على ما ليسَ مـــني هِبَاتِيـــا
وأرسلتُ أنسَامي عـــبيرًا وبهجـــةً
لتنفحَ أشـــواكَ الـــرُّبى والأفَاعِيـــا
وآمنتُ حتى كادَ يذهبُ خَـــاطِري
وتصعَدُ أنفاسًـــا إليـــك حَيَاتِيـــا!
ولم يبقَ حـــرفٌ منـــك إلا أســـرَّهُ
ضَمِيري وأبدتْه إليـــك سَـــمَائيا!!
لك الأمرُ آفاقٌ تَرَاءَتْ لخَـــوَاطِرِي

وعاوَدَني منـــها دبيـــبُ شِـــكَاتيا!

وذكـــرني بِشْـــرُ المســـاءِ منازِلًـــا

أتيتُك منها عابسَ الوجـــهِ دامِيَـــا

أقلِّـــبُ أَوْهَـــامي يمينًـــا ويُسْـــرَةً

وأرفـــعُ آمالًـــا إليـــك رَوَانيـــا!!

ينـــازِعُني مـــاضٍ شَـــرِقْتُ بعَذْبِـــهِ

وراودتُ فيه ما أشـــابَ النَّواصِـــيَا

إذا طافَ منه حولَ نفسي طـــائفٌ

ذكرتُ زماني والســـنينَ الخَوَاليـــا

هنـــاك وفي أرضٍ عليهـــا مَلَـــاعِبي

وأطيـــافُ آبـــائي ولغـــوُ دِيارِيـــا

وفيهـــا تَعِلّـــاتي ورَاحُ مَشَـــارِبي

وزلاتُ أَهْـــوَائِي ودمـــعُ مَتَابِيـــا

وأحْلَامِي المـــوتَى وذاتُ مـــواجِعي

وأطلالُ مأْســـاتِي ورجـــعُ بَلَائِيـــا

لك الأمرُ ألهـــاني حـــديثٌ أعـــادَهُ

عليك ضَمِيري واستحَاه لِسَـــانيا!

وأسرفتُ في ذكرِ المساءِ ولم أكُـــنْ

لأُسرِفَ لولا رجفةٌ مـــن صَـــبَاحِيا

لك الأمرُ نادتْ بالرحيلِ خَـــوَاطري

وهبَّتْ على نَفْسي ريـــاحُ اغْتِرَابِيـــا

وذكّرتُهـــا أنّ الشـــعابَ جديـــدةٌ

وأن عليها مـــن سَـــنَاك هَوَادِيـــا!

وأنّ شعابَ الأمسِ واجهتُ غَيَّهـــا

على غيرِ إيمانٍ فكانـــت مَهَاوِيـــا!!

لك الأمرُ مالي في وداعِـــك باهتًـــا

ومالي أَخْطُو شاحبَ الـــنفسِ نَائِيـــا

لك الأمرُ لاحَتْ من بعيدٍ مَـــذَاهِبِي

وآذنَ حاديهـــا وآنَ ارتحَالِيـــا!!

ورَفَّتْ عليها مـــن سَـــنَاكَ مـــآثرٌ

ورَفَّتْ عليهـــا غَـــايَتِي وَصَـــلاتِيَا

تنسّمتُ أمواجَ الرحيلِ وأشـــرفَتْ

عَلـــيَّ أمانيـــه فبـــارِكْ شِـــرَاعيا[1]

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص:١٦٦-١٧١).

١١- وإياكَ لا تَجْعَلْ مع الله غَيْرَه

زيد بن عمرو بن نفيل

إِلَى اللهِ أُهْدِي مِدْحَتِي وثَنَائِيا ... وَقَولًا رَضِيًّا لَا يَنِي الَدَّهرَ بَاقِيَا

إِلَى المَلِكِ الأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ ... إِلَهٌ وَلَا رَبٌّ يَكُونُ مُدَانيَا

أَلَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّدَى ... فَإِنَّكَ لَا تُخْفِي مِنَ اللهِ خَافِيَا

وَإِيَاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ ... فَإِنَّ سَبِيلَ الرِّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا

حَنَانَيْكَ إِنَّ الجِنَّ كَانَتْ رجَاءَهُم ... وَأَنْتَ إِلَهِي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا

رَضِيْتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا فَلَنْ أُرَى ... أَدِينُ إِلَهَا غَيْرَكَ اللهُ ثَانِيَا

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحْمَةٍ ... بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا

فَقُلْتَ لَهُ اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادعُوَا ... إِلَى اللهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا

وَقُولَا لَهُ آأَنْتَ سَوِّيتَ هَذِهِ ... بِلَا وَتَدٍ حَتَى اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيَا

وَقُولَا لَهُ آأَنتَ رَفَّعْتَ هَذِهِ ... بِلَا عَمَدٍ أرفِقْ إِذًا بِكَ بَانِيَا

وَقُولَا لَهُ آأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسْطَهَا ... مُنيرًا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيلُ هَادِيَا

وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غَدْوَةً ... فَيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الأَرْضِ ضَاحِيَا

وَقُولَا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ فِي الثَّرَى ... فَيُصْبِحُ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا

وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُؤسِهِ ... وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمنْ كَانَ وَاعِيَا

وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسًا ... وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا

وَإِنِي لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا ... لَأُكْثِرُ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَائِيَا

فَرَبَّ العِبَادِ أَلقِ سَيْبًا وَرَحْمَةً ... عَلَيَّ وَبَارِك فِي بَنِيَّ وَمَالِيا(١)

(١) الروض الأنف (١/٣٨٦).

* * *

١٢- أسلمت وجهي إليك

زيد بن عمرو بن نفيل

وَأَسْلَمتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْـــلَمتْ لَهُ الأرضُ تَحْمِلُ صَخرًا ثِقــالا

دَحَاهَا فَلَمَّــا رآهــا اســتَوَتْ عَلَى المَاءِ أَرسى عليها الجِبــالا

وَأَسْلمتُ وَجهِي لِمَنْ أسـلمتْ لهُ المُزنُ تَحْمِــل عَــذْبًا زُلَالًــا

إذا هِـــي سِـــيقَتْ إلى بَلــدةٍ أطَاعَتْ فَصَبَّتْ عليها سِــجالا[1]

* * *

(١) الروض الأنف (١/٣٨٩).

١٣- قريح القلب

علي بن أبي طالب t

قريحُ القلبِ من وجَـعِ الـذنوبِ نحيلُ الجِسْـمِ يشـهَقُ بالنحيـبِ
أضـرِّ بجسـمِهِ سَـهَرُ الليـالي فصارَ الجِسْـمُ منـه كالقضـيبِ
وغيَّـرَ لونَـهُ خـوفٌ شـديدٌ لِما يلقاهُ مـن طـولِ الكُـروبِ
ينـادي بالتضـرُّعِ يـا آلهـي أقِلـني عَثْـرتي واسْـتُر عُيـوبِي
فزِعـتُ إلى الخلائِـقِ مسـتغيثًا فلم أَرَ في الخلائقِ مـن مُجيـبِ
وأنتَ تُجيبُ من يـدعُوكَ ربِّـي وتكشِفُ ضُرِّ عبدِكَ يـا حبـيبي
ودائـي بـاطنٌ ولَـديْك طِـبٌّ فمن لي مثلُ طِبِّك يـا طَبـيبي[١]

* * *

(١) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص:٤٣).

١٤- إلهي وسيدي

رضيّ الدين الغزي

إِلَهِـــي سَـــيِّدِي رَبي أَغِثنـــي … وَخُذْ بيَدِي وَمِنْ بُعدِي أَجرنـــي
إِلَهي قَـــدْ جَنَيْـــتُ وَأَيُّ عَبـــدٍ … ضَعيفِ الخَلقِ مِثلِي لَيْس يَجْنِي
إِلَهي لَـــيْسَ أَجْـــدَرُ بالخَطَايَـــا … وَبالتَّقْصِـــيرِ والزَّلَّـــاتِ مِنِّـــي
إِلَهي لَو أَتَيْـــتُ بكُـــلِّ ذَنْـــب … فَلَا أَوْلَى بَعَفْـــوٍ مِنْـــكَ عَنِّـــي
إِلَهي أَنْتَ ذُو صَـــفْحٍ جَمِيـــلٍ … وَجُودٍ وَاسِـــعٍ وعَظِـــيمِ مَـــنِّ
إِلَهي مَا عَصَيتُ بغيْـــرِ عِلْـــمٍ … وَلَا أَبَـــدًا أَطَعـــتُ بغَـــيرِ إِذْنِ
إِلَهي إنْ أَطِعْ فَبِمَحضِ فَضْـــلٍ … وَإِنْ أَعصِ فَمِنْ نَقْصٍ وَوَهـــنِ
إِلَهِـــي مَـــا لِعَبـــدٍ حُجَّـــةٌ فِي … تَحَمُّلِـــهِ الجِنَايَـــةَ والتَّجَنِّـــي
إِلَهي إنَّ حُجَّتَـــكَ الَّتِـــي قَـــدْ … عَلَا بُرهَانُهَا مِـــنْ غَيْـــرِ طَعْـــنِ
إِلَهي لَيْتَنِي لَـــوْ كُنـــتُ عَبـــدًا … بلَا خَطَإٍ وَهَلْ يُجْدِي التَّمَنِّـــي
إِلَهي لَيْتَنِي لَـــا كُنْـــتُ إِذْ لَـــمْ … أُطِعْكَ وَلَيْتَ أُمِّـــي لم تَلِـــدْنِي
إِلَهِـــي إِنَّ خَـــوفِي زَادَ لَولَـــا … رَجَائِي مُتُّ مِنْ هَـــمٍّ وَحُزْنـــي
إِلَهي مَنْ يُنَاقَشْ فِـــي حِسَـــاب … يُعَذَّبْ مِنْهُ يَـــا رَبِّـــي أَقِلنـــي
إِلَهِـــي أنـــتَ قَهَّـــارٌ حَلـــيمٌ … بحَقٍّ مِنْكَ يَا ذُخـــرِي أَعِـــذنِي
إِلَهي لَـــيْسَ إِلَّـــا أَنـــتَ رَبِّـــي … فَلَـــا أَبَـــدًا بغَـــيرِكَ تَمتَحِنّـــي
إِلَهي إِنْ أَسَـــأْتُ بغَـــير عِلْـــمٍ … فَإِنّي فِيكَ قَدْ أَحسَـــنْتُ ظَنِّـــي
إِلَهي أَنْتَ قَدْ حَقَّقْـــتَ فقْـــرِي … إِلَيْكَ وَلَيْسَ شَيءٌ عَنْكَ يُغنـــي
إِلَهي إِنَّنِـــي أَخشَـــى وَأَرجُـــو … أَمَانًا مِنْكَ فَـــامْنُنْ لِـــي بـــأَمْنِ
إِلَهي غَيرُ بَابِكَ فِـــي أُمـــورِي … إِذَا مَا ضِقْتُ ذَرعًا لم يَسَـــعنِي

إِلَهِي قَدْ رَجَعْتُ إليكَ عَمّا سواكَ فلا إلى غيرك تَكِلْني
إلهي مِثْل ما أحْسَنْتَ بدءًا ففي العُقبى بحَقِّك لا تسُؤني
إلهي من يُعينُ على وصُولي إلى مَا تَرْتَضِي إن لم تُعِنّي
إِلَهي مَنْ سِوَاكَ يُزيلُ هَمِّي وَمَنْ أدعُوهُ مُضطَرًّا يُجبني
إِلَهي لَستُ أُحصِي مَا بِهِ قَدْ مُنِحتُ مِنَ العَطَاءِ بلَا تَعَنّي(1)

* * *

١٥- أفرُّ إليك منك

أبو نواس

أيا مَنْ لَيسَ لي مِنْهُ مُجيرُ بعَفْوكَ مِنْ عَذَابكَ أَستَجيرُ
أنا العَبدُ المُقِرُّ بكُلِّ ذَنبٍ وأنتَ السَّيِّدُ المولَى الغَفُورُ
فَإِنْ عَذَّبْتَني فَبسُوءِ فِعلي وإنْ تَغْفِرْ فَأنتَ بهِ جَدِيرُ
أَفرُّ إليكَ مِنْكَ وأَيْنَ إلّا يَفرُّ إليكَ مِنْكَ المُستَجيرُ(2)

---

(١) الكواكب السائرة (١/١٥) ط. المكتبة الشاملة الإلكترونية.
(٢) ديوان أبي نواس (١/٦٨).

١٦- تبارك ذو الجلال وذو المحال

يحيى بن معاذ

تبارَكَ ذُو الجلالِ وذو المحَــالِ   عَزيزُ الشّأْنِ مَحْمُــودُ الفِعَــالِ
سُروري بالسُّــؤالِ لكــي أراهُ   فكيــف أُسَــرُّ منــه بــالنوَال
فيا ذَا العِزِّ! يا ذا الجُودِ! جُدْ لِي   وغيِّر مَا تَرَى من سُوءِ حالِي(١)

* * *

١٧- ولكنني في رحمةِ الله أطمعُ

علي بن أبي طالب t

ذُنوبيَ إنْ فَكّرتُ فيهــا كــثيرةٌ   ورحمةُ ربِّي مِنْ ذُنــوبيَ أَوْسَــعُ
فما طمَعي في صالحٍ قد عملتُــهُ   ولكنَّني في رحمةِ اللهِ أطْمَــعُ(٢)

* * *

(١) الحلية (١٠/٦٣).
(٢) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص:٧٧).

١٨- إلهي أنت للإحسان أهلٌ

إلهي أنــتَ للإحســانِ أهــلٌ ... ومنك الجودُ والفضلُ الجزيــلُ
إلهــي بــاتَ قلــبي في همــومٍ ... وحــالي لا يُسَــرُّ بــه خليــلُ
إلهي تُب وجُد وارحمْ عُبيْــدًا ... مِــنَ الأَوْزَارِ مدمعُــهُ يســيلُ
إلهي ثــوبُ جِسْــمِي دنّسَــتْهُ ... ذنــوبٌ حملُهــا أبــدًا ثقيــلُ
إلهــي جُــد بعفــوِك لي فــإني ... على الأبوابِ منكَســرٌ ذليــلُ
إلهي خانَني جَلَــدي وصَــبْري ... وجاء الشيبُ واقتربَ الرحيــلُ
إلهــي داوِني بــدواءِ عفــوٍ ... به يُشــفَى فــؤادي والغليــلُ
إلهي ذابَ قلْبــي مــن ذُنــوبي ... ومن فِعْلِ القبيحِ أنــا القتيــلُ
إلهي قلــتَ ادعُــوني أُجِــبكُمُ ... فهاك العبدُ يدعُو يــا وكيــلُ
إلهي هــذه الأوقــاتُ تمضِــي ... بأعمــارٍ لنــا وبهــا تــزولُ(١)

* * *

(١) مناجاة ختم بها الدكتور علي محمد الصلابي كتابه في السيرة النبوية (ص:٨٩٥).

١٩- عظمت صفاتك يا عظيم

الأصمعيّ

يا فَاطِرَ الخلـــقِ البَـــدِيع وكَافِلًـــا
رِزقَ الجَميع سَحَابُ جُودِكَ هَاطِـــلُ
يا مُسبِغَ البِرِّ الجَزيلِ ومُسبلَ الــــ
ـــسِّترِ الجَمِيلِ، عَمِيمُ طَولِكَ طَائِلُ
يا عَالِمَ السِّرِ الخَفِيِّ ومُنجزَ الــــ
ـــوَعْدِ الوَفِيِّ، قَضَاءُ حُكمِكَ عَادِلُ
عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَـــلَّ أَن
يُحصِي الثَّنَاءَ عَلَيكَ فِيهَـــا قَائِـــلُ
الذّنبُ أنتَ لَـــهُ بِمَنّـــكَ غَـــافِرٌ
ولِتَوبَةِ العَاصِـــي بِحِلمِـــكَ قَابِـــلُ
رَبٌّ يُرَبِّـــــي العَـــــالَمينَ بِبِـــــرِّهِ
ونَوَالُـــهُ أبَـــدًا إلِـــيهم وَاصِـــلُ
تَعصِيهِ وهوَ يسُوقُ نَحوَكَ دَائِمًـــا
مَا لا تَكُـــونُ لبَعضِـــهِ تَســـتَأهِلُ
مُتَفَضِّـــلٌ أبَـــدًا وأنـــتَ لِجُـــودِهِ
بِقَبَائِحِ العِصـــيَانِ مِنـــكَ تُقَابِـــلُ
وإذا دَجَى لَيلُ الخُطُوب وأظلَمَـــتْ
سُبلُ الخَلَاصِ وخَابَ فِيهَا الآمِـــلُ
وأيستَ من وَجْهِ النّجَاةِ فَمَا لَهَـــا

سَببٌ ولَــا يَــدنُو لَهَــا مُتَنَــاوِلُ

يَأتِيكَ مِن أَلطَافِهِ الفَــرَجُ الــذِي
لَمَ تَحتَسِبهُ وأنْــتَ عَنــهُ غَافِــلُ

يا مُوجِدَ الأشيَاءِ مَنْ ألقَــى إِلَــى
أبوَابِ غَيرِك فَهُــوَ غِــرٌّ جَاهِــلُ

ومَنِ استَرَاحَ بِغَيرِ ذِكرِكَ أو رَجَــا
أحَدًا سِوَاكَ فَــذَاكَ ظِــلٌّ زَائِــلُ

عَمَلٌ أرِيــدَ بِــه سِــوَاكَ فَإنَّــهُ
عَمَلٌ ــ وإنْ زَعَمَ الُمرَائِي ــ بَاطِلُ

وإِذَا رَضِيتَ فَكُــلُّ شَــيءٍ هَــيِّنٌ
وإذَا حَصَلتَ فَكُلُّ شَيءٍ حَاصِــلُ

قد أَثقَلَت ظَهرِي الذُنُوبُ وَسَــوَّدَت
صُحُفِي العُيُوبُ وسِترُ عَفوِكَ شَــامِلُ

هَا قَدْ أَتَيتُ وَحُسنُ ظَنِّي شَــافِعِي
وَوَسَائِلي نَــدَمٌ ودَمــعٌ سَــائِلُ[1]

فاغفِر لِعَبدِكَ مَا مَضى وَارزُقهُ تَــو
فِيقًا لِمَا تَرضَى فَفَضــلُكَ كَامِــلُ

وافعَل بِهِ مَا أنتَ أهــلُ جَمِيلِــهِ

---

(١) هذه إحدى شروط التوبة: ١- الندم. ٢- الإقلاع. ٣- العزم على عدم المعاودة.

والظّنُّ كُلَّ الظّنِّ أنّـــكَ فَاعِـــلُ[١]

* * *

(١) ذكر القصيدة الدميري في حياة الحيوان الكبرى (١٧/٢)، وقد حكاها الأصمعيُّ عن غلام.

٣٠- عرفتك يا إلهي

عبد الرحمن حبنكة

إلَهي

عَرَفْتُكَ مِنَ كُــلِّ شَــيءٍ ظَهَــرْ عَرَفْتُكَ مِمَا اَختَفَــى وَاسْــتَتَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ حَاضِرَاتِ الوُجُــودِ وَمِمَا مَضَى فِــي زَمَــانٍ غَبَــرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ لَفَحَــاتِ الرّيَــاحْ وَمِنْ نَفَحَــاتِ نَسِــيمِ السِّــحَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ وَطْــأَةِ الحَادِثَــاتِ وَمِنَ رِقَةٍ مِثْــلِ خَمْــلِ الزّهَــرْ

عَرَفْتُكَ مِــنَ حِكَــمٍ غُلِّفَــتْ بِمَظْهَــرِ خَيْــرٍ وَمَظْهَــرِ شَــرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ كُــلِّ عُمْــقٍ لَــدَيّ عَرَفْتُكَ مِنَ مَسْــمَعِي وَالبَصَــرْ

عَرَفْتُــكَ مِمَــا وَرَاءَ الشُّــعُور عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ شَــيءٍ شَــعَرْ

بِأَنّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

إلَهي

فَطَرتَ حَيَاتِي عَلَى الفَقــرِ لَــكْ وَفِكرِي وَقَلبِي علَى العِلمِ بِــكْ

وَنَفسِي عَلَى حُبِّ مَا قَدْ وَهَبَتْ ورُوحِي عَلَى الأُنْسِ فِي حَضرَتِكْ

لِــذَلِكَ يَــا رَبِّ آمَنــتُ بِــكْ خُضُوعًا وَحُبًّا وأسْــلَمْتُ لَــكْ

عَلَى رُغمِ أنفِ الجَحُودِ الكَنُــود آمنتُ بِكْ ثُــمَّ آمَنــتُ بِــكْ

رَضَيتُكَ رَبًّــا فأَذلَلــتُ قَلبًــا وَرُوحًــا ولُبًّــا إلى عِزَّتِــكْ

وَأَخضَعتُ نَفسِي وَفِكرِي وَحِسِّــي وَوَجهِي وَرَأسِــي إلى قُــدرَتِكْ

وسَلّمْتُ أمرِي بِجَهرِي وســرِّي وَخَيرِي وَشَــرِّي إلى حِكْمَتِــكْ

صَلَاتِي ونُسكِي خُشُوعِي وَحُبِّــي خُضُوعِي وَقُربِي إلى حَضــرَتِكْ

ومَحيايَ رَبِّي وغُفــرَانُ ذَنبِــي ومَــوتِي وبَعثِــي إلى رَحمَتِــكْ

إِلَهِـــي إِلَهِـــي تَبَارَكـــتَ فِـــي عُلَـــاكَ فَـــإِنِّي آمنـــتُ بِـــكْ
إِلَهِـــي إِلَهِـــي تَعَالَيـــتَ فِـــي سَـــنَاكَ فـــإِنِّي أسـلَمتُ لَـــكْ

إِلهِي

عَرَفْتُكَ مِـــنْ لَامِعَـــاتِ الأُفُـــقْ عَرَفْتُكَ مِنَ مُوحِشَاتِ الغَسَـــقْ
عَرَفْتُكَ مِـــنْ نَفَحَـــاتِ الفَلَـــقْ عَرَفْتُكَ مِـــنَ خَلقِـــكَ المُتَّسِـــقْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ بَهْجَةٍ فِـــي القَمَـــرْ عَرَفْتُكَ مِنَ نَسْمَةٍ فِي السَّـــحَرْ
عَرَفْتُكَ مِنَ بَسْمَةٍ فِـــي الزَّهَـــرْ عَرَفْتُكَ مِنَ نَامِيـــاتِ الشَّـــجَرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مَـــا لَـــاحَ نُـــورٌ وَنَـــارْ وَمَهْمَا يَدُرْ كَوكَبٌ فِـــي مَـــدَارْ
عَرَفْتُكَ مَهْمَا الزَّمَـــانُ اسْـــتَدَارْ وَمَهْمَا أَتَى اللَّيْلُ بَعْـــدَ النَّهَـــارْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظِيْمُ الصَّمَدْ

عَرَفْتُكَ بِالسُّـــحُبِ الهَاطِلَـــاتْ لِتُحِيـــيَ كُـــلَّ بِـــلادٍ مَـــوَاتْ
بِكُلِّ نَبَـــاتٍ عَجِيـــبِ النَّبَـــاتْ بِمُخْتَلِفَـــــاتٍ وَمُشْـــــتَبِهَاتْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ حِينَ سَـــلَكْتُ القِفَـــارْ وَسَارَ بِنَا فِي السُّـــهُولِ القِطَـــارْ
عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْـــتُ البِحَـــارْ وَحِينَ جَرَتْ بِي جَـــوارٍ كِبَـــارْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ حِـــينَ رَكِبْـــتُ الهَـــوَاءْ وَطَوَّفْتُ فِي جَنَبَـــاتِ الفَضَـــاءْ
وَحِينَ تَأَمَّلْـــتُ هَـــذِي السَّـــماءْ وَكُلَّ عَظِـــيمٍ بِهَـــا ذِي بَهَـــاءْ

بِأَنّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصّمَدْ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ ذِي جَنَــاحٍ يَطِــيرْ عَرَفْتُكَ مِــنْ ذِي قَــوَامٍ يَسِــيرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ سَابحٍ فِــي الغَــدِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ زَاحِفٍ فِي الهَجِــيرْ

بِأَنّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ لَمّــا نَظَــرْتُ الجِبَــالْ عَرَفْتُكَ مِنْ رَائِعَــاتِ الجَمَــالْ

عَرَفْتُكَ حِينَ شَــرِبْتُ الزُّلَــالْ عَرَفْتُــكَ إِذْ ظَلّلَتْنِــي الظِلَــالْ

بِأَنّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ لَمسِ لِــينِ الحَرِيــرْ وَمِنْ لَمسِ ذِي قَسْوَةٍ فِي الصّــخُورْ

عَرَفْتُكَ مِــنْ نَفَثَــاتِ السّــعِيرْ وَمِــنَ بَــارِدٍ قَاتِــلٍ زَمْهَرِيــرْ

بِأَنّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصّمَدْ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِــنَ نَبَضَــاتِ الجَنَــانْ وَمِنْ مَنْطِقٍ عَجَبٍ فِي اللّسَــانْ

عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَــاتِ البَنَــانْ وَأَرْشَــدَنِي لِعُلَــاكَ اليَــدَانْ

بِأَنّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِــنَ أَكْبُــدٍ ظَامِئَــاتْ عَرَفْتُكَ مِــنْ مِعَــدٍ جَائِعَــاتْ

عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَــاتِ الحَيَــاةْ عَرَفْتُكَ مِنْ سَــكَنَاتِ المَمَــاتْ

بِأَنّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ مُعجِــزَاتِ السّــوَرْ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ جَلِيــلِ العِبَــرْ

وَعَرَّفَنِي بِـــكَ طـــهَ[1] الأغَـــرْ رَسُولُكَ أحْمَـــدُ خَيْـــرُ البَشَـــرْ

بأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصَّمَدْ[2]

* * *

(١) طه: ليس من أسماء النبي، ولكنه ورد في القرآن كبقية الأحرف المقطعة في أوائل السور على سبيل الإعجاز.

(٢) ديوان: آمنت بالله (ص:٩-١٢).

٢١- أشكو إليك ذنوبًا

يحيى بن معاذ

أشكُو إليك ذنوبًا لستُ أنكِرُهـــا وقد رجوتُك يا ذا المـــنِّ تَغْفرُهـــا
من قبلِ سُؤلك لي في الحشرِ يا أمَلي يومَ الجزاءِ على الأهوالِ تـــذكرُها
أرجُوك تغفِرُها في الحشرِ يا أمَلــي إذْ كنتَ سؤْلي كما في الأرضِ تســتُرها

* * *

٢٢- مسلم يخاطب الكونَ

شعر عائض القرني

قف في الحياةِ تَرَى الجمالَ تَبَسُّـــما والطلُّ من ثغرِ الخمائلِ قد هَمَـــى
وشَدَتْ مطوّقةُ العروسِ ورجّعَـــتْ وترعْرَعَ الفَنَنُ الجميلُ وقـــد نمـــا
وسرى النسيمُ يهزُّ عطْفَ عـــبيره والماءُ في عطْفِ الجَـــدَاول تَمْتَمَـــا
وتفتّحَ الأزهارُ واعتنَـــقَ النَّـــدَى هدرَ الغديرُ وكـــان قبـــلُ ملثَمـــا
والنبتُ قد شقَّ الثّـــرى فعيونُـــه تاقَتْ إلى ضوءِ تـــألّقَ في السَّـــمَا
والشمسُ أرَسَلتِ الأشعَّةَ في الفَضَـــا بَدَدًا وَقَبّلَـــتِ الجليـــدَ فَهَمْهَمَـــا
وَسَرتْ طيورُ القاعِ تنشُدُ في الرُّبا بيتَ القَصـــيدِ ســـعادةً وترنُّمـــا
والنحلُ قد تَـــرَك الخليـــةَ مولعًـــا برحيقِ زهرٍ ظلّ يسكُبُ في اللّمَّـــا
وفراشَةُ البستانِ ألقـــتْ نفسَـــها في سندسٍ فوقَ البطـــائِحِ وسّـــما
وبكى الغمامُ من الفراقِ مشـــامتٌ في الأرضِ يضحَكُ ترحةً وتلوّمـــا
وتطاولَتْ شمُ الجبـــالِ ونـــافرتْ قِمَم التلالِ فلم تُكُنْ أبـــدًا كمـــا
والمؤمنُ اطلعَ الوجـــودَ مســـلّمًا أهلًا بمن حـــازَ الجمـــالَ مســـلّما
فجثَتْ لطلعَتِه الجبـــالُ وأذعنـــتْ إذ كان منها في الحقيقـــةِ أعظَمـــا

وقد اشْــرَأَبتْ كــلُّ كائنــةٍ لــه ... فكأنــه مَلِــكٌ يســيرُ مُعَلِّمــا
ورأى الحيــاةَ بنظــرةٍ قدســيةٍ ... وبها إلى عــزّ المهــيمنِ قــد سمَــا
كشفَ الحجابَ عن الغيوبِ فأَشْــرَقَتْ ... ســبلُ الهدايــةِ قبلَــه فتقــدَّما
عرفَ الحقيقةَ فاسْــتَنَار بنورِهــا ... وتراهُ في عُمْــقِ التفكّــرِ مُلهمًــا
في كــلّ ماثلــةٍ تمــرُّ بعينِــه ... عِبَــرٌ تُعرِّفــه الإلــهَ الأعْظَمــا
حَبْلُ الرجاءِ غــدا بــه متمسّــكًا ... أنعِمْ بحَبْــلٍ قــطَّ لــن يَتَصَــرَّما
أَتَرَى الجمالَ بغيرِ منظــارِ التُّقــى ... حسنًا ولو مَلَكَتْ يــداك الأنجُمــا
أتظنُّ أن الأُنــسَ يَسْــكُنُ بُرهــةً ... قلبًا ولم يكُ في الحقيقةِ مُسْــلِما؟!
لا والذي جمعَ الخلائــقَ في مِنًــى ... وبدا فأعطَى من أحَــلّ وأحْرَمــا
ما في ربوعِ الكونِ أجمــلُ منظــرٍ ... من مؤمنٍ للسْــعِد جــدَّ ويمَّمَــا
إن متَّ يا جَــامِي الحيــاةِ فإنَّمــا ... هي نقلةٌ تلقَــى حيــاةً أوسَــما
في ظلِّ ربٍّ كنــتَ قــد وحّدتَــه ... تلقاه في الأخْــرَى أبــرَّ وأكرَمــا
بل كيفَ ترحَلُ والحيــاةُ تقــدما ... ما للعوالمِ حَــوْلَ قــبرِك جُثّمــا
فاسَعْد فقد ظَفَرَتْ يداك بصَــفْقةٍ ... واهنأْ فإنك بعــدُ لــن تَتَنَــدَّما[1]

٢٣- الجحود

خير الدين وانلي

يَغذوكَ لكن أنتَ تشــكرُ غــيرَهُ ... ويذودُ عنك فتمْــدَحُ الأوثانــا؟!
أَوَ هَكَــذا ردُّ الجميــلِ لأهْلــهِ ... أَوَ هكذا تَسْــتَقْبِلُ الإحْسَــانا؟!
يا من جحدتَ لذي الصَّنيعِ صــنيعَهُ ... أَوَ مَا تهابُ السُّــخْطَ والنيرانــا؟!
أتخاصــمُ الجبَّــارَ في عَلْيَائِــه؟! ... يا من بَراكَ مــن الثــرى إنســانا

(١) عائض القرني، والإسلاماه (ص:١٨-٢١).

من نُطفــةٍ ســوّاك ربي مبصــرًا تتبـــيَّنُ الأشـــكالَ والأَلْوَانـــا
بل سخّر السَّبعَ الطبــاقَ لخدمــةٍ والأرضَ والأنهـــارَ والخلْجَانـــا
والفُلكَ تجري والريــاحَ لواقحًــا والماءَ يُحيِـــي الــزرعَ والأَفْنانــا
والرعدُ في كبدِ السَّــماءِ مُسَــبِّحًا والثلجَ يهطِــلُ يرفِــدُ الغُــدْرَانا
والطيرُ يبسُطُ جنحَــه كســفينةٍ فوقَ الريــاحِ يســبِّحُ الرحْمَانــا
في كــلِّ شــيءٍ للمُهــيمنِ آيــةٌ تــدعُ الجَحُــودَ بــأمرِه حَيْرَانــا
يا من جَحَدْتَ ألم تفكِّــرْ لحظــةً في ذا الوجودِ وتنظــرِ الأكوانــا
في قلبِــكَ الخفّــاقِ أكــبرُ آيــةٍ إن لم تجدْ مِــنْ حَوْلِــك البُرهانــا
السمعُ والأبصارُ خلــقٌ مُعْجِــزٌ يتحـــديانِ الجَحْـــدَ والنُّكْرَانـــا
والسيرُ منتصــبًا دليــلٌ واضــحٌ أن المســـيِّرَ ميَّـــز الإِنْســـانا
والنطــقُ آيــةُ قــدرةٍ جبــارةٍ والمخُّ يحفظُ كلَّ مــا قــد كانــا
واللمسُ للأشياءِ والشــمُّ الــذي لا يُخطــيءِ الأريــاحَ والرَّيحانــا
والشَّعرُ يكسُو الجلدَ ثوبًا ناعِمًــا متموِّجًـــا متجـــدِّدًا أَلْوَانـــا
كالجلدِ للحِرْبــاءِ يشــبهُ لونُــه مـــا حولَـــه فتظنُّـــه أغصَـــانا
والرأسُ يحْمِي المــخَّ في تَجويفِــه والصدرُ يَحْمِي القلبَ والشَّــريانا
فلِمَ الجُحُودُ وفَضْلُ ربِّــك ســابقٌ من قبلِ أن تَسْتَرضِعَ الأَلْبانــا؟![1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٢٣).

٢٤- يا منزل الآيات والفرقان

أبو محمد الأندلسي القحطاني

يَـــا مُنْـــزِلَ الآيَـــاتِ وَالفُرْقَـــانِ ... بَينِـــي وَبَيْنَـــكَ حرْمَـــةُ القُـــرْآنِ

اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لمعرِفَـــةِ الهُـــدَى ... وَاعْصِمْ بِهِ قَلبِي مِـــنَ الشَّـــيطَانِ

واحطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِـــي ... وَاشدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَصْـــلِحْ شَـــانِي

واكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وحقِّقْ تَـــوبَتِي ... أرْبِحْ بِـــهِ بَيْعِـــي بلَـــا خُسْـــرَانِ

طهِّر بِهِ قَلْبِي وصَـــفِّ سَـــرِيرَتِي ... أجمِلْ بِهِ ذِكْـــرِي وَأَعْـــلِ مكَـــانِي

وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَـــرِّفْ هِمَّتِـــي ... كَثِّرْ بِهِ وَرَعِـــي وَأحِـــي جنَـــانِي

أسهِرْ بِهِ لَيْلِي وأظْـــمِ جَـــوَارِحِي ... أسبِلْ بفَـــيْضِ دُمُوعِهَـــا أجفَـــانِي

وَأمزِجْهُ يَا رَبِّي بلحْمِي مَعْ دَمِـــي ... وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِـــنَ الأَضْـــغَانِ

أَنْتَ الَّذِي صَـــوَّرْتَنِي وَخَلقتَنِـــي ... وَهَـــدَيْتني لِشَـــرَائِعِ الإِيمَـــانِ

أَنْتَ الّذِي عَلَّمْتَنِـــي ورَحِمْتَنِـــي ... وَجعلتَ صَدْرِيَ واعِـــيَ القُـــرْآنِ

أَنْتَ الّذِي أَطْعَمْتَنِـــي وَسَـــقَيْتَنِي ... مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَـــدٍ وَلَـــا دُكَّـــانِ

وجَبَرْتَنِـــي وَسَـــتَرْتَنِي وَنَصَـــرْتَنِي ... وَغَمَرْتَنِي بِالفَضْـــلِ والإِحْسَـــانِ

أَنْتَ الَّـــذِي آوَيْتَنِـــي وَحَبَـــوْتَنِي ... وَهَدَيْتَنِي مِـــنَ حِـــيرَةِ الخُـــذْلَانِ

وَزَرَعتَ لِي بَيْنَ القُلُـــوبِ مَـــوَدَّةً ... وَالعَطْفَ مِنْكَ بِرَحْمَـــةٍ وَحَنَـــانِ

وَنَشرتَ لِي فِي العَالِمِينَ مَحَاسِـــنًا ... وَسَتَرْتَ عَنْ أبصَـــارِهِمْ عِصْـــيَانِي

وجعلتَ ذِكْرِيَ فِي البَرِيَّةِ شَـــائِعًا ... حَتَّى جَعَلْتَ جَمِـــيعَهُم إِخْـــوَانِي

وَاللهِ لَو عَلِمُـــوا قَبِـــيحَ سَـــرِيرَتِي ... لَأَبَى السَّلَامَ علـــيَّ مَـــنْ يَلْقَـــانِي

ولَأَعْرَضُوا عَنِّي ومَلُّـــوا صُـــحْبَتِي ... وَلَبُـــؤْتُ بَعْـــدَ كرامـــةٍ بِهَـــوانِ

لَكنْ سَـــترتَ مَعَــايِبِي ومثَــالِبِي وحَلُمْتَ عَنْ سَقَطِي وعَنْ طُغيَــانِي

فَلَــكَ المَحَامِــدُ والمــدَائِحُ كُلُّهَــا بَخوَاطِرِي وَجَــوَارِحِي وَلِسَــانِي

وَلقَدْ مَنَنْــتَ عَلَــيَّ رَبِّ بــأَنْعُمٍ مَا لِــي بشُــكْرِ أقلّهــنّ يَــدَانِ

فَوَحَقِّ حِكْمَتِــكَ التِــي آتَيْتَنِــي حَتَّى شَــددتَ بنُورِهَــا بُرْهَــانِي

لئنِ اجتَبَتْني مِنَ رِضَــاكَ مَعُونَــةٌ حــتى تُقَــوِّيَ أيــدُهَا إيمَــانِي

لأُسَـــبِّحَنَّكَ بُكْـــرةً وَعَشِـــيَّةً ولتخدمنَّكَ في الــدُّجَى أَركَــانِي

ولأَذْكُرَنَّــكَ قَائِمًــا أَو قَاعِــدًا ولَأشْــكُرَنَّكَ ســائِرَ الأَحيَــانِ

ولأكــتُمَنَّ عَــنْ البَرِيَّــةِ خِلَّتِــيَّ ولاشْكُوَنَّ إليــك جَهْــدَ زمَــانِي

ولأَقْصِدنَّكَ في جَمِيــعِ حَــوَائِجي مِنْ دُونِ قصــدِ فُلانــةِ وفُــلانِ

ولأحسمَنَّ عَنْ الأنَــامِ مَطَــامِعِي بحُسَــامِ يَــأسٍ لم تَشُـــبْهُ بَنَــانِي

ولأجعلَنَّ رِضَــاك أكــبرَ همَّــتي ولاضربَنَّ مِــن الهَــوَى شَــيْطَانِي

ولأكسُوَنَّ عُيوبَ نَفسِي بــالتُّقَى ولأقبِضَنَّ عَــنِ الفُجُــورِ عِنَــانِي

ولأمنَعَنَّ الــنَّفْسَ عَــنْ شَــهَوَاتِهَا ولأجعَلَنَّ الزُّهْــدَ مِــنْ أعْــوَانِي

ولأَتْلُوَنّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الــدُّجَى ولأحْــــرِقَنَّ بنُــــورِهِ شَــــيْطَانِي

أنت الذي يا ربّ قلــتَ حروفَــه ووصـــفته بـــالوعْظِ والتبيـــانِ

ونَظَمْتَــــه ببلاغــــةٍ أزليــــةٍ تكييفُها يخفَــى علــى الأذْهــانِ

وهو المحيطُ بكــلِّ شــيءٍ عِلْمُــه مــن غــير إغفــالٍ ولا نسْــيانِ

من ذا يكيِّــفُ ذاتَــه وصــفاتِه وهو القــديمُ مكــوِّنُ الأكــوانِ

سبحانَه ملِكًا على العرشِ استوى وَحَوَى جميعَ الملــكِ والســطانِ[1]

---

(١) مختارات من نوية القحطاني، ط. مكتبة السوادي - جدة.

* * *

٣٥- سبحانك اللهم

مصطفى عكرمة

يا رَبِّ قَدْ أَبدَعتَ مِنْ عَـــدَمٍ جَميــعَ الكائنَـــاتِ
وَجَعَلْــتَ لِلإِنســـانِ آيـــاتِ الرَّشـــادِ البيِّنَـــاتِ
وأَمَرتَهُ أَلَّـــا يَحيـــدَ الـــدَّهرَ عَـــنْ دَربِ الهُـــداةِ
مَنَّيْتَـــهُ... وأَعَنْتَـــهُ... لِنَـــوالِ كُـــلِّ الأُمنيَـــاتِ
الأَرضُ كَمْ قد أَعطَتِ الإنسانَ شَتَّى الأُعطِيـــاتِ!
أنتَ الَّذِي أودَعْتَ فيهـــا كُـــلَّ ألـــوانِ الهِبـــاتِ
أَنبَتِّنـــا مِنْهـــا.. كمـــا أَنبَـــتَّ أَزواجَ النَّبـــاتِ
شتَّى نَرَى أَلوانَـــهُ رَغـــمَ التَّشـــابُهِ في الصِّـــفاتِ
وتَسُحُّ أبـــوابُ السَّـــمَواتِ العُلـــى بالنُّعمَيـــاتِ
قَدَّرتَ رَبِّي الخَلقَ تَقـــديرًا بِـــهِ كُـــلُّ العِظَـــاتِ
وَوَهَبتَ يا رَبَّاهُ كُـــلَّ الخَلـــقِ أَســـبابَ الحَيـــاةِ
هذي السَّماءُ بِلا دَعـــائمَ حَيَّـــرت كُـــلَّ البُنـــاةِ
أَمسكتَها... فإذا بِها مَثَلُ الثَّباتِ علَـــى الثَّبـــاتِ
وَزَرَعتَ في الأَجـــواءِ آلافَ النُّجـــومِ النَّيِّـــراتِ
تَهدي بِها في الدَّهرِ أصحابَ العُقولِ الراجحـــاتِ
وَبَسطتَ فَوقَ الماءِ أرضًا لم تَـــزَل في الـــدّائِراتِ
الكُلُّ في فَلَكٍ يدورُ كمـــا أَرَدتَ بِـــلا انفِـــلاتِ
لا الماءُ يَطغى، لا، ولا يُخْشَـــى عَلَيهـــا مِـــن أَذاةِ

سُبحَانَكَ اللّهُمَ تُخرِجُ كُلَّ حَـــيٍّ مـــن مَمَـــاتِ
يا مَنْ إذا قَدْ قُلتَ: كُنْ... كانتْ جَميعُ المُعجزاتِ
أدعُوكَ فامنَحْ أُمَّـــتي سُـــبُل الهِدايـــةِ والنَّجـــاةِ[١]

* * *

(١) ديوان حتى ترضى (ص:٤٩-٥٠).

٢٦- سبحان من يعطي المنى

سُبْحَانَ من يُعْطِي الْمُنىَ بخــواطرٍ ... في النّفس لم ينطِقْ بهـــنّ لِسَــانُ
سُبْحَانَ من لاشيءَ يحجُب علمَـــه ... فالســـرُّ أجمـــعُ عنـــدَه إعـــلانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لا يزالُ مُســـبّحًا ... أبدًا ولـــيس لغـــيرِهِ السُّـــبحانُ
سُبْحَانَ مَنْ تجْري قَضَاياه علـــى ... ما شاءَ منـــها غائـــبٌ وعيـــانُ
سُبْحَانَ مَنْ هُو لا يزالُ ورزقُــهُ ... للعـــالمينَ بـــه عليـــه ضَـــمَانُ
سُبْحَانَ من في ذكرِه طرقُ الرّضَى ... منه وفيـــه الـــرَّوحُ والريحـــانُ
ملكٌ عزيـــزٌ لا يقـــارَنُ عِـــزُّه ... يُعصَى ويُرجَى عنـــده الغفـــرانُ
ملكٌ له ظهرُ القضـــاءِ وبطنُـــه ... لم تُبل جـــدَّة ملكِـــه الأزمـــانُ
ملكٌ هو الملكُ الذي من حِلْمِـــه ... يُعصَى بحســـنِ بلائِـــهِ ويُخـــانُ
يَبْلَى لكـــلِّ مســـلّطٍ ســـلطانُه ... واللهُ لا يَبْلَـــى لـــه سُـــلطانُ[1]

* * *

---

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص: ١١٠).

٢٧- إخلاصُ العبودية

خير الدين وائلي

عَلَى المَولى تَوَكّلْنَا وسبَّحْنا اسمَهُ الأعلَى

وحَسبُ المُسلِمِ المُؤمِنْ بنصرِ اللهِ أن يُوقِنْ

فإنّ العونَ والنصْرا لمَنْ يَدعوه مُضطّرا

ومن يسأَلْ سوى الربِّ يُدنِّس طاهرَ القَلبِ

ومِنْ يُشرِكْ بمولاهُ يكنْ في النارِ مَثواهُ

وكلَّ الذنبِ قد يُغفرْ سُوَى الإشراكِ بالأكْبَرْ

ومن يطلبْ من القبرِ ينلْ ما نالَ ذو الكفرِ

فأخْلِصْ يا أخي النيَّةْ وأنواعَ العبوديَّةْ

لربٍّ قادرٍ قاهرْ حكيمٍ عالمٍ غافِرْ

ففي الإخلاصِ للمولَى بلوغُ المِرفَقِ الأعلى

لدَى الرحمنِ في الجنَّةْ ولُقيا الفضلِ والمنَّةْ

فعندَ اللهِ للعابِدْ نعيمٌ وافرٌ خالِدْ

فياذا الفضلِ والجودِ وباري كلِّ موجودِ

أَنِلْنِي راحةَ البالِ معَ المختارِ والآلِ[1]

---

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٢٧).

٢٨- إلهي أقلني عثرتي

عَسى من خَفِيِّ اللطفِ سُبحانَهُ لُطْــفٌ
بعَطْفَــةِ بــرٍّ فــالكَرِيمُ لَــهُ عَطــفُ
عَسى مِن لَطِيفِ الصُّنعِ نَظــرَةُ رَحمَــةٍ
إلى مَنْ جفَاهُ الأهلُ والصَّحبُ والإِلْــفُ
عَسى فَــرَجٌ يــأتِي بــهِ اللهُ عاجلًــا
يُسَرُّ بهِ المَلْهُــوفُ إن غَمَّــهُ اللَّهــفُ
عَسى لِغَريــبِ الــدَّارِ تَــدبيرُ رَأفَــةٍ
وبرٌّ مِنَ الباري إذا العَيشُ لَمْ يَصــفُ
عَســـى نَفحَـــةٌ فَردِيَّـــةٌ صَـــمَدِيَّةٌ
بها تنقَضِي الحاجاتُ والشَّمْلُ يُلتــفُّ
فــإنِّيَ والشَّــكوى إلى اللهِ كالَّــذِي
رَمى نَفسَهُ في لُجَّــةٍ مَوجُهــا يَطفُــو
فَمِنْ مِحَــنِ الأَيَّــامِ قَلبِــي مُعَــذَّبٌ
أَلَمَّ بِرَوحِي قَبلَ حَتفِ الفَنــا حَتــفُ
ومِنْ فُرقَةِ الأحبــابِ قَلبِــي مُقسَّــمٌ
ثلاثٌ وأربــاعٌ ونِصــفٌ ولا نَصــفُ
وإني لأرضَى مــا قَضَــى اللهُ لي ولــو
عَبَدْتُ على حَرْفٍ لأَزْرَى بِيَ الحــرفُ
ولم أَبنِ حُسنَ الظَّنِّ في ســيِّدي عَلــى

شفا جُرُفٍ هــارٍ فَينـــهارُ بي الجَــرفُ

ولكِنْ دَعَوتُ اللهَ يَكشِــفُ كُربَتِــي

فَما كُربَةٌ إلّــا ومِنــهُ لَهــا كَشــفُ

فكَمْ بُسِطت كَــفٌّ بســوءٍ تُريــدُني

فَقالَ لَها الكــافِي ألا غُلَّــتِ الكَــفُّ

وَكَمْ هَمِّ صَرفُ الدّهْرِ يَصــرِفُ نابَــهُ

عَلَيَّ فَجاءَ الموتُ وانصَرَفَ الصَّــرفُ

ولَمْ أَعتَصِــمْ بــاللهِ إلّــا وَمَــدَّ لِــي

مَنَ البِرِّ ظِلًّا في رضاءٍ لَــهُ وَكْــفُ(١)

وإني لُمســــتغَنٍ بِفَقــــرِي وفــــاقَتِي

إليهِ ومُستقْوٍ وَإنْ كــانَ بِــي ضَــعفُ

وفي الغَيبِ لِلعَبدِ الضَّــعيفِ لَطــائفٌ

بها جَفَّتِ الأقلامُ وانطَوَتِ الصُّــحفُ

بِقُدرَةِ مَنْ شَدَّ الهــوا وبَــنى السَّــما

طَرائِقَ فَوقَ الأرضِ فَهْي لَهــا سَــقفُ

ومَنْ نَصَبَ الكُرسيَّ والعَرشَ واســتَوى

على العَرشِ، والأملاكُ مِن حَولِهِ حَفُّــوا

ومَنْ بَسَطَ الأرضِــينَ فَهِــيَ بِلُطفِــهِ

لِحَيِّ بَنِــي الــدُّنيا ومَيِّــتِهِمْ ظَــرفُ

وألقى الجِبالَ الشُّــمَّ فِيهــا رَواسِــيًا

(١) وكْف: الوكف الجريان والتتابع.

فَلَيسَ لها مِنْ قَبــلِ مَوعِــدِها نَســفُ
وأَلْبَسَها من سُــندُسِ النَّبــتِ بَهجَــةً
مِنَ النورِ ما صِــنْفٌ يُشــابِهُهُ صِــنفُ
وسَخَّرَ من نَشْرِ السَّــحابِ لواقِحًــا
إذا انتشَرَت دَرَّت سَحائِبُها الوَطــفُ[1]
وأَنشَــأ مــن أَلفافِهــا كُــلَّ حَبَّــةٍ
به الأبُّ والريحانُ والحَــبُّ والعَصْــفُ
ويعلمُ مَسْعَى كــلِّ ســارٍ وســاربٍ
وما أعلنوه من خِطابٍ ومــا أخْفُــوا
ويَدرِي دَبِيبَ النَّملِ في اللَّيلِ إن سَــعَت
وإن وَقَفَتْ ما أمكَنَ السَّعيُ والوقــفُ
ووزنُ جِبــالٍ كَــمْ مَثاقِيــلَ ذَرَّةٍ
وكَيْــلُ بِحــارٍ لا يُغَيِّضُــها نَــزفُ
وكَمْ في غَرِيبِ المُلكِ والمَلَكُوتِ مِــنْ
عَجائِبَ لا يُحصِي لأيسَــرِها وصــفُ
فَسُبحانَ مَنْ إن هَــمَّ وَهْــمٌ يَقِيسُــهُ
بكُــفءٍ وتكييــفٍ يُلَجِّمُــهُ الكَــفُّ
إِلَهِــي أقِلنِــي عَثرَتِــي وتَــوَلَّني
بعفــوٍ فــإنّ النائِبــاتِ لهــا عُنــفُ
خَلَعتُ عِذَارِي ثُــمَّ جِئتُــكَ عائِــذًا

(١) الوطف: الماء المنهمر.

بِعُذرِي فإن لم تَعفُ عَنِي فَمَـــنْ يَعفُـــو

* * *

٢٩- رحمتك اللهم

الإمام الشافعي

قَلبِي برَحمتِكَ اللّهُمَّ ذُو أنُسِ … في السِّرِّ والجَهرِ والإصبَاحِ والغَلَسِ

ومَا تَقلّبتُ مِنْ نَومِي وَفي سِنَتِي … إلّا وذكرُكَ بين النَّفْسِ والنَّفَسِ

لقَدْ مَننتَ علَى قَلبِي بمعرفَةٍ … بأنّكَ اللهُ ذُو الآلاءِ والقُدسِ

وقَد أتَيتُ ذُنُوبًا أنتَ تَعلمُهَا … ولم تَكُنْ فاضحِي فِيهَا بِفعلِ مُسِي

فَامنُنْ عَلَيَّ بِذكرِ الصَّالحِينَ ولا … تجعَل عَلَيَّ إذًا في الدِّينِ من لَبَسِ

وكُنْ مَعِي طُولَ دُنياي وآخِرتِي … ويَومَ حَشرِي بِما أنزَلت في عَبَس[١]

* * *

(١) ديوان الشافعي (ص:٨٥).

٣٠- إلهنا ما أعدلك

أبو نواس

إلهنـــا مـــا أعـــدَلكْ   مَلِيكَ كلِّ مـــن مَلَـــكْ
لبيك قــد لبيــتُ لــكْ   لبيكَ إنّ الحمــدَ لــكْ
والملكُ لا شــريكَ لــكْ   والليــلُ لّمــا أن حَلَــكْ
والسَّابِحَاتُ في الفَلــكْ   علــى مجــارِ المنسَــلِكْ
ما خاب عبــدٌ أمّلَــكْ   أنت له حيــثُ سَــلَكْ
لولاك يــا ربّ هَلَــكْ   كــلٌّ نــبيٍّ ومَلَــكْ
يا مخطئًــا مــا أغْفَلَــكْ   عجّــل وبــادِرْ أجَلَــكْ
واختــِمْ بخــيرٍ عَمَلَــكْ   لبيــك إن الملــكَ لــكْ
والحمدُ والنِّعمــةُ لــكْ   والعزُّ لا شريكَ لــك[١]

* * *

(١) أناشيد فتية الحق (ص:٤٦).

٣١- لك المجدُ في كل الوجودِ

عبد الرحمن حبنكة

لكَ المجدُ في كلِّ الوجودِ لك الحمـــدُ ... إلهي. فأنتَ الخالقُ الصَّمَدُ الفـــردُ

إلهي وأنت الربُّ تخلُقَ مَـــا تشَـــا ... وأنتَ مُعينُ العبدِ ما التجأَ العبـــدُ

لــــديكَ إلهـــي رزقُنَـــا وحياتُنـــا ... ومنكَ إلهي السعدُ ما أقبلَ السِّـــعدُ

وكلُّ تصاريفِ الوجودِ قضـــاؤُها ... لديكَ ومَا تقضِيهِ حقَّ لهُ الحمـــدُ

ولا خـــير إلا في يـــديكَ قضـــاؤُهُ ... وكم ساءنَا خيرٌ إذا ألِـــمَ الجِلْـــدُ

وكم مؤلمٍ للـــنّفسِ نَكْـــرهُ مسِّـــهُ ... وفيهِ لنا خـــيرٌ وفيـــهِ لنـــا مجـــدُ

فأنتَ حَكـــيمٌ والحكِـــيمُ بفعْلـــهِ ... حميدٌ وعلمُ الناسِ صـــغَّرهُ الحَـــدُّ

* * *

٣٢- تسبيحات[1]

حازم القَرْطَاجَنِّي

سُبحانَ من سَــبَّحَتْهُ أَلْسُــنُ الأمــمِ
تَسْبيحَ حَمْدٍ بِمَا أَوْلَى مِــنَ الــنِّعَمِ
سُبحانَ مَن سبَّحَتْهُ أَلْسُــنٌ عَرفَــتْ
بأَنَّ تسبيحَهُ مِــنَ أَفْضَــلِ العِصَــمِ
سُبحانَ مَنْ سبَّحتْهُ ألســنٌ نطقَــتْ
من عالَمٍ في حِجَابِ الغيبِ مُكْتَــتَمِ
سُبحانَ من سبَّحَت حمــدًا ملائِكَــةٌ
لهُ بلَــا فتــرةٍ تَعْــرو وَلَــا سَــأَمِ
سُبحانَ مَن سَبَّحَتْ سَبعٌ له سَــبَحَتْ
مِنَ السمواتِ ذاتِ الأنجُــمِ العُــتُمِ
سُبحانَ مَن سبَّحَتْ شمسُ النهارِ لــهُ
والبدرُ بدرُ الدُّجَى والشُّهْبُ في الظُّلــمِ
سُبحانَ من سبَّحَ الليلُ البــهيمُ لــه
وسبَّحَ الصُّبحُ يُبدي ثَغْــرَ مُبْتَسَــمِ
سُبحَانَ من سبَّح الجِسْمُ الجمــادُ لــه
بمنطقٍ مــن لســانِ الحــالِ مُــنفهِمِ
سُبحَانَ مَن سبَّح الحيُّ الفَصِــيحُ لــهُ

---

(١) تسبيح ومناجاة وثناء (ص:٩٩-١٠١).

بمنطقٍ مِنْ صَـــريحِ اللّفـــظِ مُلْتَـــئِمِ

سُبحانَ مَنْ فجّـــر الأنهـــارَ أســـفَلَها

وَأَنْشأَ السُّحْبَ منها في ذُرَى القِمَـــمِ

سُبحَانَ عـــالِمِ مـــا في العـــالمينَ معًـــا

من كلِّ ما دَقَّ أو ظَـــلَّ ذا ضِـــخَمِ

سُبحَانَ مَنْ كُلُّ حينٍ في الوجودِ لـــهُ

إعدامُ موجـــودٍ أو إيجـــادُ منعَـــدَمِ

سُبحَانَ مَن خَلَقَ الإنسانَ من عَلَـــقٍ

وردَّه بعـــــدَ أمشـــــاجٍ إلى رِمَـــــمِ

سُبحَانَ من شاءَ سُكنى الروحِ في جســـدٍ

بـــاقٍ إلى أمـــدٍ لا بـــدَّ مُختَـــرمِ

سبحانَ مَنْ كُلُّ شيءٍ عنـــدَهُ لِمَـــدًى

مثلُ الشبابِ الذي يُفْضِي إلى الهـــرَمِ

سُبحانَ من جعلَ الـــدنيا وصـــورَتَها

مثلَ الخيالِ سَرَى والعيشَ كـــالحُلُمِ

سُبحَانَ من جَعَـــل الـــدنيا مُحببـــةً

ملتّذةً معَ مـــا فيهـــا مِـــنَ الأَلَـــمِ

سُبحَانَ من حَبّبَ الأخـــرى لطائفـــةٍ

سَمَتْ إلى أشرفِ الـــدّارينِ بـــالهِمَمِ

سُبحَانَ من ينشُرُ المـــوتَى ويبعَـــثُهم

للفصْلِ مـــا بـــين ظَلّـــام ومُظّلـــمِ

سُبحَانَ مَنْ بينَهم بالعـــدلِ يحكُـــم في

يومٍ به ليسَ غـــيرُ اللهِ مـــن حَكَـــمِ

سُبحَانَ من جلّ في ســـلطانه وعـــلا

عن أنَ يُرى معـــه حُكْـــمٌ لمحْـــتَكِمِ

سُبحَانَ من شاء تدبيرَ الأمـــورِ علـــى

ما خطَّ تقريـــرُه في اللـــوحِ بـــالقلَمِ

سُبحَان من ألهَمَ العبْدَ الســـعيدَ لمـــا

أضحَى الشّقِيُّ إليـــه غـــيرَ مُلْـــتَهَمِ

سُبحَانَ من ضَلّل الأشـــقَى بمَعْصِـــيةٍ

فضَلَّ عن طرُقِ التوفيقِ وهْـــو عَـــمِ

سُبحَانَ من إن يشأْ يجْزِ المســـيءَ وإن

يَشَأْ عفا عـــن كـــبيرِ الإثمِ واللَّمـــمِ

سُبحَانَ من منه نرجُو عَفْـــوَ مقْتـــدِرٍ

ونستعيذُ بـــه مـــن بطْـــشِ مُنْـــتَقِمِ

سُبحَانَ من يُعدِمُ الموجودَ حين يَشَـــا

سبحان من أوجَدَ الأشياءَ من عَـــدَمِ

سُبحَانَ من لم يُحطْ خلـــقٌ بـــه ولـــه

إحاطـــةٌ بجميـــعِ الخلْـــقِ كلِّهِـــمِ

سُبحَانَ من بدليلِ الوحْي زادَ هُـــدًى

من اهتدَى بـــدليلِ العقـــلِ والفِهَـــمِ

سُبحَانَ من شاء إمدادَ العقـــولِ بمـــا

أوحَى إلى رُسْلِه في الأعصُـــرِ القِـــدَمِ

سُبحَانَ من تَـــمَّم الحســـنَ بخـــاتَمِهم

محمـــدٍ خـــيرِ مبعـــوثٍ ومختَـــتَمِ

* * *

٣٣- بكلِّ الشوق

محمد التهامي

بكُلِّ الشّــوقِ في قَلْــبي طرقتُ البابَ يــا رَبِّــي
وفي شَــفَتي ضَــرَاعاتٌ لقلــبٍ ذابَ في جَنْبِــي
دُعَـــــاءٌ في تألُّقِــــهِ ضِيَاءٌ غَــيرُ ذي لَهَــبِ
يَسيلُ الطُّهرُ في دمعــي ليغسِــلَ صِــدقُهُ ذَنــبي
وحَسْبِي أنّــك الرّحمـــ ــنُ في رضوانِهِ حســبي
تُجيب ضــراعةَ المُحتــا جِ عِندَ الموقفِ الصَّــعْبِ
وتَهْدِي خُطْــوَةَ الحَــيرا نِ إن ضَلَّتْ على الدَّربِ
طلبتُ رضاكَ يــا رحمــا نُ واسترحَمْتُ في طَلَــبي
قصدتُكَ يا حِمَى رُوحي ويا غَوثِي مــن الكُــرَبِ
ويا حِصْنِي مِــنَ الأيّــا مِ والأيّــامُ تَعْصِــفُ بي
ويا عَوني عَلَــى الإنســا نِ والإنســانُ يغْــدِرُ بي
ويَلْبَسُ ثــوبَ إنســانٍ ليُخْفِيَ صــورةَ الــذِّئبِ
ســـألتُ اللهَ أن ترتـــا حَ دُنيانا مِــنَ اللَّهَــبِ
وأن يرتاحَ صِــدقُ النّــا سِ مِنْ دوَّامةِ الكَــذِبِ
وأن يخلُــو رحــابُ الأرْ ضِ من حَمَّالةِ الحَطــبِ
وأن يرضَى رضاءً يُنــــ ــقِذُ الدُّنيا من الغضَــبِ
ســـألتُ اللهَ أن يَهْـــدِي إلينـــا نعمَـــةَ الحُـــبِّ
وأن يَسقي ظِمَاءَ الــرُّو حِ من تيّــارِهِ العَــذْبِ

وأن يسري رحيقُ الحُـــــ ـــبِ من قلب إلى قلـــبِ
فَنَسْعَدُ كُلما ضــمّت خُطانــا لمســةُ القُــربِ
ســألتُ اللهَ والمســئُو لُ فوقَ الشّكِّ والرِّيَــبِ
هو المُعطــي بــلا مــنٍّ عطــاءً غــيرَ مُقتَضَــبِ
دعوتُ وحُلمــيَ المــأمُو لُ يبدو اليومَ عن كَثَــبِ
تعـــالى اللهُ مـــن دانٍ إلى الدّاعي ومُقتــربِ[1]

* * *

(١) من ديوان يا إلهي، لمحمد التهامي (ص:٧-٨)، وانظر: رائق الشهد (ص:٤٥١-٤٥٢).

٣٤- ربٌّ لا يقهر

خير الدين وانلي

آمنـــتُ بـــربٍّ لا يُقهَـــرْ سُـــبوحٍ قُـــدوسٍ أكـــبرْ
بالجبـــتِ كفـــرتُ وبالطـــاغو تِ فدعْوَى الشّركِ هـــي المنكـــرْ
لا ربَّ لهذا الكونِ سوى الـــ ـــخلّاقِ القيّـــومِ الأقْـــدَرْ
الخلـــقُ جميعًـــا قبَضـــتُهُ في الحشرِ ويا هـــولَ المحْشَـــرْ
أبـــوابُ الخُلـــدِ مفتّحـــةٌ والنـــارُ بمـــن يَهْـــوِي تُسـعَرْ
وملائكةُ النيرانِ علـــى الـــ أبـــوابِ تنفِّـــذُ مـــا تُـــؤمَرْ
وأمـــامَ الجنَّـــةِ ترحيـــبٌ من رضوانَ الملَـــكِ الأشْـــهَرْ
والرسْـــلُ بفـــردوسٍ أَعْلَـــى والصِّـــدّيقونَ ومـــن شَـــمَّرْ
الخلـــدُ طريـــقٌ مفـــروشٌ بالشـــوكِ طويـــلٌ مسْـــتَوْعَر
والنـــارُ بلـــذّاتٍ حُفّـــتْ وبِمَكْـــروهٍ حُـــفّ الكَـــوْثَر
لا يغفـــرُ ربّـــي إشـــراكًا والأدنَـــى مـــن ذَنْـــبٍ يُغْفَـــرْ
وشـــفاعةُ أحمـــدَ للعاصـــي مـــن أهـــلِ الملَّـــةِ لا تُنكَـــرْ
وكـــذاكَ شـــفاعةُ قـــرآنٍ وشـــفاعةُ طِفـــلٍ مُستَصْـــغَرْ
للهِ سَـــجَدْتُ ولم أســـجُدْ يومًـــا للطـــاغوتِ الأكفَـــرْ
للهِ نَـــذَرْتُ ولم أنـــذُر للقـــبرِ ومـــن فيـــهِ يُقـــبرْ
بـــاللهِ حَلَفْـــتُ ولم أحْلِـــفْ بســـواهُ فـــاللهُ الأكـــبرْ
للهِ عَمِلـــتُ ومـــا راءيـــتُ فذاكَ هـــو الشـــركُ الأصْـــغَرْ
في اللهِ أُجاهِـــدُ لا أبغِـــي أجـــرًا أو أبغِـــيَ أن أُذكَـــرْ

والعــونَ مــن المــولى أرجُــو نعـــمَ المرجُـــوُّ المستنصَــــرْ
أدعُـــو الـــرحمنَ ولا أدعُـــو ميتًـــــا أو جنِّيًّـــــا أحمَـــــرْ
وأخــــافُ الجبّـــارَ الأعلـــى لا أخشَــــى جبـــارًا أصــــغَرْ
وأُحـــــبُّ حبيبًـــــا لا يفْنَـــــى لا ينســـى الحِـــبَّ ولا يَبْهَـــرْ
للهِ ذبحـــــــتُ ولم أذبَـــــــحْ لســـــواهُ الهَـــــدْيَ ولم أَنحَـــــرْ
وعلـــى القيّــــومِ توكلــــتُ عَلّـــامِ الغيـــبِ ومـــا يَظهَـــرْ
ربّـــي الـــرزاقُ هـــو المعبـــودُ هو المقصــودُ هـــو الأظهَـــرْ
الكـــــونُ جميعًـــــا قبضَـــــتُه جـــلَّ الفعّـــالُ المُســـتقدَرْ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٢٩-١٣٠).

٣٥- لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ[1]

إلى اللهِ كلُّ الأمرِ في الخلــقِ كلّــه

وليس إلى المخلوقِ شــيءٌ مــن الأمــرِ

إذا أنا لم أقبَلْ من الدَّهرِ كــلّ مــا

تكَرهْتُ منه طالَ عتبي علــى الــدهْرِ

تَعَوَّدتُ مسَّ الضُّــرّ حــتى أَلِفْتُــهُ

وأحْوجَني طــولُ العــزاءِ إلى الصَّــبْرِ

وصيَّرني يأسي من النــاسِ راجيًــا

لِسُرْعةِ لُطــفِ اللهِ مــن حيــثُ لا أدْرِي

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص: ٦٧٠).

٣٦- إلهي وجاهي

لك الحمدُ طوعًا... لك الحمـدُ فرضًـا
وثيقًـا عميقًـا... سمـاءً وأرضًـا
لك الحمدُ صَمْتًا... لك الحمـدُ ذِكْـرًا
لك الحمـدُ خَفْقًـا حثيثًـا... ونبضًـا
لـك الحمـدُ مـلءَ خلايـا جَنَـاني
وكـلّ كِيـاني... رُنـوًّا وغَمْضًـا
إلهـي وجـاهي إليـك اتّجَـاهي
وطيـدًا مديـدًا... لترضَـى فأرضَـى
فأنـتَ قِـوَامي... وأنـت انسِـجَامي
مع الكونِ والأمـرُ لـولاكَ فوضـى[1]

* * *

(١) من ديوان قلب ورب لعمر بهاء الدين الأميري (ص:١٩٧-١٩٨).

٣٧- سبحانك يا الله

لكَ الحمدُ يا مُستوجِبَ الحمدِ دائمًا
على كلِّ حالٍ حمــدَ فــانٍ لــدائمِ
وسبحانكَ اللــهُمَّ تســبيحَ شــاكرٍ
لمعروفِكَ المعــروفِ يــا ذا المــراحِمِ
فكم لكَ من سترٍ على كُلِّ خَــاطِئٍ
وكم لكَ من برٍّ علــى كــلِّ ظــالِمِ
وجُودُكَ موجودٌ وفضــلُكَ فــائضٌ
وأنتَ الذي تُرجَى لكشــفِ المظــالِمِ
وبابُــكَ مفتــوحٌ لكُــلِّ مُؤمِّــل
وبــرُّك ممنــوحٌ لكــلِّ مُصَــارِمِ
فيا فالِقَ الإصباحِ والحَــبِّ والنَّــوى
ويا قاســمَ الأرزاقِ بــين العــوالِمِ
ويا كافلَ الحيتــانِ في لُــجِّ بحْرِهــا
ويا مُؤنسًا في الأفقِ وحشَ البــهائِمِ
ويا مُحصي الأوراقِ والنبتِ والحصَى
ورملِ الفَلا عَــدًّا وقطــرِ الغَمَــائمِ
إليكَ توسَّــلنا بــكَ اغْفِــر ذُنُوبَنــا
وخفِّفْ عَنِ العَاصــينَ ثِقْــلَ المظَــالِمِ
وحبِّبْ إلينا الحقَّ واعِصْــم قُلُوبَنَــا

من الزِّيغِ والأهواءِ يا خـــيرَ عاصـــمِ

ودمِّر أعادِينـــا بسُـــلطانكَ الـــذي

أذلَّ وأفنَـــى كُـــلَّ عـــاتٍ وغاشـــمِ

ومُنَّ علينا يـــومَ ينكَشِـــفُ الغطـــا

بســـترِ خَطَايَانـــا ومَحْـــوِ الجَـــرَائمِ

وصلِّ علـــى خـــيرِ البرايـــا نبيِّنـــا

مُحمَّـــــدٍ المبعُـــوثِ صـــــفوةِ آدمِ

* * *

٣٨- ربِّ رحماك!

لـــكَ محيـــايَ خالصًـــا.. ومـمـــاتي ... يا إلهي.. ويـــا عظـــيمَ الصِّـــفاتِ

لكَ سَعْيي.. وفيكَ غايـــةُ حُبِّـــي ... ونجَـــاوَى ضـــرَاعتي.. وصـــلاتِي

وسُجُودي.. معرَاجُ رُوحـــي وعَقلـــي ... وانعِتـــاقي.. ولـــذَّتي.. وحَيـــاتِي

وكـــأنِّي في بحـــرِ نـــورِكَ طيـــفٌ ... هائمُ الشَّوقِ.. واكِـــفُ[1] العبَـــراتِ

وأرى الكـــونَ.. الفضـــاءَ.. كِتَابًـــا ... سُـــطِّرَتْ فيـــه أروعُ الآيـــاتِ

كلُّ شيءٍ مرآتُـــهُ عنـــكَ تحْكِـــي ... وتُرينـــا الإبـــداعَ.. والمعجـــزَاتِ

ولسانُ الوجودِ يلهَجُ بالحمـــدِ اعــــ ... ـــترافًا مِنـــهُ بفـــيضِ الهِبـــاتِ

ربِّ رُحماكَ!.. كلُّ نبضَـــةِ عِـــرقٍ ... من فُـــؤادي تجـــيشُ بالـــدَّعواتِ

قصُرَتْ هِمَّتي.. وهِـــيضَ جَنـــاحِي ... أينَ مِنّـــي النُّهـــوضُ بالواجبـــاتِ

أين بذلي من أجلِكَ الـــنَّفسَ وَالمَـــا ... لَ.. ومَعنَى تَجَـــرُّدي.. وثَبَـــاتِي

طَالَمَا قد ظلَمتُ نَفْســـي.. فعَفـــوًا ... وأعِنِّـــي ربِّـــي علَـــى الطّاعـــاتِ

ورجَائي.. وحُسنُ ظَنِّـــي.. وصِـــدْقي ... هُو يومَ الحسَـــابِ حبـــلُ نجَـــاتي[2]

* * *

(١) واكف: منهمر.

(٢) ديوان (جراح وكلمات)، انظر: رائق الشهد (ص: ٧٠-٧١).

٣٩- أطيار

مصطفى عكرمة

هُنـــا في الـــرَّوضِ أطيـــارٌ بحَمْـــدِكَ ســـبَّحت رَبِّـــي
أَرىَ أَشْـــكَالَها اختَلَفـــتْ ولكـــن كُلُّهـــا تَصْـــبِي
تناغَمَ صـــوتُها.. وحَكَـــى لنـــا في رِقّـــةِ الصَّـــبِّ
بألحـــــانٍ تبايُنُهـــــا بأفصَـــحِ مَنطـــقٍ يُنْبِـــي
بأنَـــكَ أنـــتَ مُبـــدِعُها ومُبـــدعُ لحْنِهـــا العَـــذبِ
وأنـــتَ هـــديتَها طَبعًـــا يُحَيِّـــرُ كُـــلّ ذي لُـــبِّ
وأنـــتَ منحتَهـــا عَزمًـــا على التَّحليـــقِ يـــا رَبِّـــي
تَسَـــاوَى عِنـــدَ أصـــغَرِها قَصِـــيُّ البُعـــدِ بـــالقُربِ
أقامَت في الـــذُّرَى وكـــرًا لتَـــأمنَ كُـــلَّ ذي رُعْـــبِ
تطـــيرُ لَـــهُ علـــى أمـــنٍ وتَهْدِي البِشْـــرَ للزّغْـــبِ[1]
وتُخـــرجُ مـــن حَوَاصِـــلِها وتُطعِمُهـــا مـــن الحَـــبِّ
وترعاهـــا لِكـــي تَقْـــوَى وتمرَحَ في المَـــدَى الرَّحْـــبِ
وتهتِـــفُ باسمِـــكَ الأعلَـــى مُســـبِّحةً أيـــا رَبِّـــي
فكـــم مـــن آيـــةٍ فيهـــا غَفَا عن وَعْيِهـــا صَـــحْبِي!
وإدراكُ الـــذِي تُـــوحِي هِ كـــانَ.. ولم يَـــزَلْ دَأبِي
فمَـــنْ إلّـــاكَ أرشَـــدَها لتَحيـــا العُمـــرَ في حُـــبِّ!
ومـــن إلّـــاكَ سَـــوّاها تُحيِّـــرُ كـــلَّ ذِي لُـــبِّ!

---

(١) الزغب: صغار الطير التي لا ريش لها.

إلهــي إنّ بعــضَ الطّيْــــــرِ في تســبيحِها.. قَلــبي
وحَسْــبي اليَــومَ إيمــانِي بقُدرةِ خــالِقي حَسْــبي[١]

* * *

(١) حتى ترضى (ص:٤٢-٤٤).

٤٠- يكفيك ربٌّ لم تَزَل في حفظِه

ابن قيم الجوزية

يكفيكَ من وَسِع الخلائِــقَ رَحمــةً ... وكفايَةً ذُو الفضــلِ والإحســانِ
يكفيكَ من لم تَخْلُ مــن إحســانهِ ... في طَرْفَــةٍ كتقلُّــبِ الأجفــانِ
يكفيــكَ ربٌّ لم تَــزلْ ألطَافُــهُ ... تَــأتِي إليــكَ برحمَــةٍ وحَنــانِ
يكفيــكَ رَبٌّ لم تَــزلْ في سِــترهِ ... ويَراكَ حــينَ تَجِــيءُ بالعَصــيانِ
يكفيكَ ربٌّ لم تَــزلْ في حِفظِــهِ ... وَوقَايــةٍ منــهُ مَــدَى الأزمَــانِ
يكفيــكَ ربٌّ لم تَــزلْ في فَضــلِهِ ... مُتقَلِّبًــا في السِّــرِ والإعْــلانِ
يدعُوهُ أهلُ الأرضِ مَعْ أهلِ السَّــما ... ءِ فكــلٌّ يــومٍ ربُّنــا في شَــانِ
وهُو الكفيلُ بكُــلِّ مــا يَدعُونَــهُ ... لا يَعتَري جدوَاهُ مــن نُقصــانِ[١]

* * *

(١) الكافية الشافية

٤١- تسبحُ كلُّ الكائناتِ بحمدهِ

تَباركَ مَنْ شُكْرُ الــوَرَى عنــهُ يقصُــرُ
لكونِ أيادي جُودِهِ لــيسَ تُحْصَــرُ

وشَــاكرُها يحتــاجُ شُــكرًا لشُــكرِهَا
كذلكَ شُكرُ الشُّكرِ يحتاجُ يُشــكرُ

ففي كلِّ شُــكرٍ نعمَــةٌ بعــدَ نعمــةٍ
بغيرِ تنــاءٍ دُونَهَــا الشُّــكرُ يصْــغُرُ

فمن رَامَ يقضِي حقَّ واجــبِ شُــكرِهَا
تحَمَّلَ ضمنَ الشُّكرِ مــا هُــو أكــبرُ

تُسبِّحُهُ الحيتــانُ في المــاءِ وفي الفَلَــا
وحُوشٌ وطَــيرٌ في الهَــوَاءِ مُســخَّرُ

وفي الفُلكِ والأمــلاكِ كُــلٌّ مُســبِّحٌ
نَهَــارًا وليلًــا دائمًــا لــيسَ يفتُــرُ

تُســــبِّحُ كــــلُّ الكائِنــــاتِ بحَمــــدِهِ
سَــــمَاءٌ وأرضٌ والجبَــــالُ وأبحُــــرُ

جميعًا ومــن فِــيهنَّ والكُــلُّ خاشِــعٌ
لهيبَتِــــهِ العُظمَــــى وَلَــــا يتكَبَّــــرُ

لــهُ كُــلَّ ذرَّاتِ الوجُــودِ شَــواهدٌ
على أنــهُ البَــاري الإلَــهُ المُصــوِّرُ

دَحَا الأرضَ والسَّبعَ السَّماواتِ شَادَهَا
وأتقنَهَــــا للعــــالمينَ ليَنظُــــرُوا

وأبدَعَ حُســـنَ الصُّـــنعِ فِي ملكُوتِهَـــا
وفِي مَلَكوتِ الأرضِ كي يَتَفكّـــرُوا
وأوتَـــدَهَا بالرَّاسِـــيَاتِ فلَـــم تَمِـــدْ
وشَـــقَّقَ أنهَـــارًا بِهَـــا تتفَجَّـــرُ
وأخـــرجَ مرعَاهـــا وبـــثَّ دوابَّهَـــا
وللكُـــلِّ يـــأتِي منـــهُ رِزقٌ مُقـــدَّرُ
من الحَبِّ ثمّ الأبِّ والقضْـــبِ والكَلَـــا
ونخْـــلٍ وأعْنَـــابٍ فَواكِـــهُ تُثمِـــرُ
فأضحَت بِحُسنِ الزَّهرِ تَزْهُو ريَاضُـــها
وفِي حُلَـــلٍ نســـجُ الرَّبيـــعِ تَبَختَـــرُ
وزَانَ سَـــمَاءً بالمصَـــابيحِ أصـــبحَتْ
وأمستْ تُبَاهِي الحُسْنَ تزهُو وتَزهَـــرُ
ترَاهَا إذا جَنَّ الـــدُّجَى قـــد تقلَّـــدَت
قلائِـــدَ دُرِّيٍّ لِـــدُرٍّ تُحَقِّـــرُ
فيَـــا نَـــاظِرًا زهـــرَ البَسَـــاتِين دُونَهَـــا
أظُنُّكَ أعمَى ليسَ للحُسنِ تُبصِـــرُ(١)

* * *

٤٢- الله سندنا

خير الدين وانلي

مـــا غـــيرُ اللهِ لنـــا سَـــندُ   فعليـــهِ دومًـــا نعتَمِـــدُ

(١) رائق الشهد (ص:٨٥-٨٦).

لم نشـــركْ يومًــا بالبـــاري ... فهو الأحدُ الفــردُ الصَّـــمدُ

مـــن للمضْـــطرِّ إذا نَـــادَى ... كي يكْشِفَ عنهُ مـــا يجِـــدُ؟

مـــن للمحْـــزونِ وللمكـــرو ... بِ وللمَلْهـــوفِ المعتَمَـــدُ؟

مــــن غـــيرُ اللهِ يُؤيِّـــدُنا ... بالنصرِ ومن منـــهُ المـــدَدُ؟

فعلــــى الـــرحمنِ توكلّنـــا ... وإليـــهِ نَجِـــدُّ ونجتَهِـــدُ

وله أســـلَمْنا عــن طـــوعٍ ... وبـــهِ نعتـــزُّ ونعتَضِـــدُ

وإليـــــهِ أنبْنـــــا في ذلٍّ ... من هَـــوْلِ جهـــنمَ نرتَعِـــدُ

نــــدعُوه نرجُـــو جنّتَـــهُ ... فالخلـــدُ منـــالٌ مبتَعَـــدُ

لكـــنَّ الرحمـــةَ واســـعةٌ ... يُؤتَاهـــا العبـــدُ المجتَهِـــدُ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٣١).

٤٣- أمّن ينجيكم في ظلمات البر والبحر

عبد الرحمن حبنكة

رَكِبتُ البحارَ وأهوالَهَا ... وحَمّلتُ في الفُلْكِ أحمَالهَا

وخُضْتُ العُبابَ وأمواجَهُ ... وقد زُلزِلَتْ فيهِ زلزالَهَا

وهاجَتْ عواصِفُهُ في الضّبا ... بِ وجرّتْ ليالِيهِ أذيالهَا

وخفَّت علَى موجِهِ الجَاريا ... تُ وقطّعتِ النَّفسُ آمالَهَا

ولم يبقَ من سَبَبٍ يُرتَجَى ... وأوقَفَتِ النّاسُ أعمَالَهَا

ونادَى الُمنادِي: إلهِي أغِثْ ... فإنَّكَ وحدَكَ تُرجَى لهَا

فأرخَى الُمهيمِنُ حَبْلَ النّجَا ... ةِ ونَالَ السَّلامَةَ من نَالَهَا

وأرْسَتْ علَى الشَّاطيءِ الُمرتَجَى ... وألقَتْ علَى البَرِّ أثقَالَهَا

وأثنت علَى اللهِ نَفسُ الشَّكُورِ ... ولم يُنسِها الأمنُ أحوَالَهَا

وكم أنفُسٍ جَحَدت رَبَّهَا ... ومرَّتْ تُجَرِّرُ أذيَالَهَا

وساوِسُ شيطَانهَا استحْوَذَتْ ... علَيهَا من الوَهمِ فاجتالَها

فيَا ويلَهَا أنفُسًا بالجُحُو ... دِ تُقَابِلُ أنعُمَ من عَالَها

وتتبَعُ أوهَامَهَا البَاطِلا ... تِ وتَعبُدُ بالذُّلِّ مُغتالَهَا

***

٤٤- زهرةُ الروض أجيبي

شَدَّني الحُســـنُ وأغـــرَى إذ رَأت عينَـــايَ زهـــرَه
تنشُرُ العِطـــرَ وتُضـــفِي من شَذَا العِطرِ المسَـــرَّه
بهجَـــةُ العـــينِ ولُطفًـــا رَفَّ إحساسًـــا وفِكـــرَه
يأسِـــرُ الـــرَّائينَ طَوْعًـــا ينفُحُ الأرجَـــاءَ سِـــحرَه
زهرَةَ الـــرَّوضِ أجيبِـــي من تُرَى أهدَاكِ نَضْـــرَه
من تُرَى أنشـــاكِ أُنسًـــا لُمحِـــبٍّ زَادَ صَـــبْرَه
من تُرَى أهـــدَاكِ ألـــوَا نًا لَهَا في السِّحرِ قُـــدرَه
تَجْـــذِبُ الـــرَّائين طُـــرًّا تَفْـــتِنُ الألبَـــابَ بُكـــرَه
مـــن أُنـــاسٍ وطُيُـــورٍ رَاقَهَا الحُســـنُ بزَهْـــرَه
أو هَوَامٍ تنقُـــلُ الطَّلْـــعَ فتَزهُـــــو مِنـــــهُ ذُرَّه
من تُرَى أهدَاكِ عِطـــرًا تنشُدُ الأحيَـــاءُ سِـــحرَه
من تُرَى سَـــوَّاكِ شـــكلًا يُرهِفُ الحِـــسَّ بنَظـــرَه
من تُرَى أجـــرَى حيـــاةً فيكِ إذ ما كُنتِ بِـــذْرَه
من تُرَى أنبَتَ من مَـــيْ تٍ حيـــــاةً ومَسَـــــرَّه
من تُرَى أسرَى بكِ المَـــا ءَ فكَانت مِنـــهُ خُضـــرَه
زهرَةَ الرَّوضِ تُرَى مـــن فيكِ قـــد أودَعَ خَـــيرَه
من تُرَى أهدَاكِ سِـــحْرًا زاهيًـــا يُحسِـــنُ أســـرَه
فأَمَالـــــت زهـــــرَتي رَأ سًا وأَومَـــت لي بنَظـــرَه
خـــــالِقي اللهُ تعَـــــالى فِـــيِّ قـــد أودَعَ سِـــرَّه

خـــــالِقي اللهُ تجلَّـــــى مُبـــــدعًا في كُـــلِّ ذَرَّه[1]

* * *

(١) رائق الشهد (ص:٣٣٤-٣٣٥).

٤٥- توبة وإقبال

ربّ قد أقبلــتُ في ظــلِّ رحابِــكْ
خاشعَ الطرفِ لدى نــورِ شِــهَابكْ
خاضــعَ الــنفْس ذليلًــا صــاغرًا
وفــؤادي ســاجدٌ يَجْثُــو ببابِــكْ
كــم بكــى يــا ربّ في سَــجْدَتِه
إذ يهابُ الهــولَ في يــومِ حِسَــابكْ
يرقُــبُ الغفــرانَ في يــومِ الظّمَــا
وهو يرجُو الوردَ من فَيْضِ شَــرَابكْ
كلمــا وَسْــوَسَ شــيطانُ الهَــوَى
قلتُ يا شــيطانُ سُــحْقًا لِسَــرَابكْ
أو دَعَــــاني خــــاطرٌ يعْصِــــفُ بي
قلتُ يــا شــاعِرُ رفْقًــا بِشَــبابكْ
كيف تَشْــرِي ضَــلّةً بعــدُ هــدًى
وتُمَنّــي الــنفسَ ظلمًــا بِخَرَابِــكْ
أنت مــا زلــتَ فَتًــى لا تَرْعَــوِي
ضَلّتِ الحكمــةُ في غَــضِّ إهَابِــكْ
عُــــدْ إلى اللهِ وَرَتِّــــلْ آيَــــهُ
فلعــــلّ الله يرضَــــى بمَتَابِــــكْ
ربِّ لــــن يَهْــــدِيَني في حَيْرَتِــــي

غيرُ نـــورٍ وَســـنَاءٍ مـــن كتابِـــكْ[١]

* * *

٤٦- رحماك يا ربَّ العبادِ

رحْمَاك يــا ربِّ العبـــادِ رجَــائي ... ورِضَاك قَصْدِي فاستجِبْ لِـــدُعَائي

وحَمِاك أَبْغِي يـــا إلهـــي راجيًـــا ... منـــك الرِّضـــا فَجُـــدْ بـــوَلائي

ناديتُ باسْمِك يا إلهـــي ضـــارِعًا ... إن لم تُجِبْني فمن يُجيـــبُ بُكـــائي

أنتَ الكريمُ فـــلا تَـــدَعْني تائِهًـــا ... فلقَدْ عَيِيتُ مـــن البِعَـــادِ النّـــائي

ما لي سِوَى أعتابِ جُودِكَ مَوْئِـــلٌ ... فلئِن رُدِدتُ فمن سِوَاكَ رَجَـــائِي

ولقد رجوتُك يـــا إلهـــي ضَـــارِعًا ... متـــذللًا فـــلا تَـــرُدَّ رجَـــائِي[٢]

* * *

(١) يوسف العظم (السلام الهزيل) (ص:١٤-١٦).

(٢) أناشيد فتية الحق (ص:٣٧).

٤٧- توكلت على الله

توكلتُ في رِزقِــي علَــى اللهِ خــالقِي
وأيقنــــتُ أن اللهَ لا شَـــكَّ رازِقــــي
وما يَكُ مــن رزقِــي فلــيسَ يفــوتُني
ولو كــانَ في قَــاعِ البِحــارِ الغوامِــقِ
ســـيأتي بـــهِ اللهُ العظـــيمُ بِفَضْـــلِهِ
ولــو لم يكــنْ مِــني اللســانُ بنَــاطِقِ
ففي أيِّ شيءٍ تــذهَبُ الــنفسُ حســرَةً
وقد قسَّــمَ الــرَّحمنُ رِزقَ الخلائِــقِ[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي (ص:٩٩).

٤٨- حبيبُ القلوبِ

هبِ الرسلُ لم تأتِ من عنـدِه ... ولا أخبرتْ عن جمالِ الحبيـبِ
أليس من الواجـب المسْـتَحَقِّ ... محبتُـه في اللِّقَـا والمغيـبِ؟
فمـن لم يكـنْ عقلُـه آمـرًا ... بذا ما له في الحِجَى من نَصِـيبِ
وإن العقـولَ لتـدعُو إلى ... محَبـةِ فاطرِهـا مـن قريـبِ
أليسـتْ علـى ذاك مجبولـةً ... ومفطورةً لا بكسْبٍ غريـبِ؟
أليس الجمالُ حبيبَ القلـوبِ ... لذاتِ الجمالِ، وذاتِ القلـوبِ؟
أليس جميلًـا يحـبُّ الجمـالَ؟ ... تعالى إلهُ الورَى عـن نَسـيبِ
أمـا بعـدَ ذلـك إحْسَـانُه ... بداعٍ إليـه الفُـؤاد المنيـبِ؟
فمـن ذا يُشَـابهُ أوصَـافَه؟ ... تعالى إلهُ الورَى عن ضَـريبِ[1]
ومـن ذا يكـافئُ إحسـانَه ... فيألَهُه قلـبُ عبـدٍ منيـبِ؟
وهـذا دليـلٌ علـى أنّـه ... إلى كلِّ ذي الخَلْقِ أولى حبيـبِ
فيـا منكـرًا ذاك واللهِ أنـت ... عينُ الخصيمِ وعينُ الحريـبِ[2]
ويا من يُحِبُّ سـواه كمثـ ... ـلِ محبتِه أنت عبدُ الصّـلِيبِ
ويـا مـن يوحِّـدُ محبوبَـه ... ويُرضيه في مَشْهدٍ، أو مغيـبِ
حَظَيْتَ وخَابوا فـلا تَبْتـئسْ ... بكيدِ العدوِّ وهجرِ القريـبِ[3]

٤٩- آياتٌ من الدُّررِ

محمد عبد الله القولي

تبـاركَ اللهُ زانَ الأرضَ بالـدُّررِ ... واستنطَقَ الحُسنَ في زَهرٍ وفي شَـجَرِ

---

(١) ضريب: يقال: فلانٌ ضريب فلان: إذا كان شبيهًا له.

(٢) الحريب: المحارب والمسلوب.

(٣) الله أهل الثناء والمجد (ص:٣٦٣-٣٦٤).

وهَزْهَزَ الأرضَ من نومٍ ليُوقِظَهَـــا ... ورشَّ في وجهِهَا الوسنَانِ بـــالمطَرِ
وأرسلَ الشَّمسَ تُذكيهَا بقُبلتِهَـــا ... فاستعذَبَتْ دفئَهَا المخفـــوفَ بالخَـــدَرِ
وحرَّكَ الرِّيحَ مسَّت شَعْرَهَا بيـــدٍ ... كأنَّهَا الطَّيفُ يغشَاهَا بـــلا كَـــدَرِ
وأرسلَ النَّهرَ تُطفِي فيـــهِ حُرقَتَهـــا ... وتستَقي رَغَـــدًا ينسَـــابُ بـــالنَّهرِ
وأبهجَ الطَّيرَ فـــاهتزَّت مَعَازفُهَـــا ... تُدغدِغُ السَّمعَ في لحنٍ بـــلا وتَـــرِ
وغرَّد البُلبُلُ الصَّـــدَّاحُ يُطربُهَـــا ... فينتشِي الحسُّ ما في الكأسِ من سكَرِ
ففتَّحَتْ عينَهَـــا والنَّـــومُ يجـــذِبُهَا ... ومسَّحَتْ ذَيلَ طيفٍ عَادَ للسَّـــفرِ
وسبَّحتْ ربَّهَا الوهَّابَ واتَّكـــأتْ ... وأعتدَتْ مجْلِسًا كم طَابَ للبَشـــرِ
وفكَّرتْ أيَّ ثوبٍ تنتَقِـــي لَهُمُـــو ... تحيَّر القلبُ مـــن أثوابهَـــا الكُثُـــرِ
تنهَّدَتْ نشَرَتْ أزهَـــى ملابِسَـــهَا ... وقلَّبت تَصْطَفِي الفتَّـــانَ للنَّظـــرِ
وسارَعتْ لِحِلَاهـــا تنتَقِـــي قمَـــرَا ... عِقْدًا تـــألَّقَ في نَجْماتِـــهِ الزُهُـــرِ
تقلدَّتـــــهُ وفي حبَّاتِـــــهِ بَهَـــــرٌ ... قد هيَّجَ اللؤلؤَ الوضَّـــاءَ كـــالقمَرِ
تبسَّمتْ وارتـــدَتْ ثوبًـــا يُزيِّنُهـــا ... وصفَّقَتْ للجَواري إقتفِي أثَـــرِي
تباركَ اللهُ أعطَى الحُســـنَ مُقتَـــدِرًا ... فاختَالتِ الأرضُ في وَشيٍ من الزَّهَـــرِ
وجَرجَرتْ ثوبَهَا المعطُورَ مَنْسَـــجُهُ ... وأفرَدَت ذَيلَهُ المرشُوشَ بالصُّـــورِ
وأشـــرقَتْ بعَطـــاءِ الله تلبَسُـــهُ ... وتزدَهِي بجمَالٍ ســـارَ في زُمَـــرِ[1]
ترنو إلى المَاءِ تلقَى فيـــهِ صُـــورتَهَا ... وتَنْتَشِي فرَحًا مـــن آيهَـــا الغُـــرَرِ
شتَّى من النَّبتِ هذِي الأرضُ قد وَلَـــدَتْ ... وأودَعَتها الدُّنا للعـــيشِ والنَّظـــرِ
ففي الرُّبا شَجَرٌ أفنانُهُ ضَـــحِكَتْ ... ويبسُمُ الزَّهرُ مَطْوِيًّا علـــى ثَمَـــرِ
وفي البحارِ نبـــاتٌ راقَ سَـــاكنَهَا ... تحيَا عليهِ ويحمِيهـــا مـــن الخطَـــرِ

---

(١) زمر: جماعات.

والنّهرُ قِيعَانُهُ بالنّبتِ قد فُرِشَــتْ ... تباركَ اللهُ بــثَّ الخَــيرَ في النّهَــرِ
والماءُ مُدْهِشَةٌ في الأرضِ صــنعَتُهُ ... والنّبتُ مُختَلِفٌ في الذَّوْقِ والصُّورِ
تباركَ اللهُ أَعطَــى الأرضَ فتنَتَهــا ... واستنطقَ الشّعرَ آياتٍ من الــدُّرَرِ(١)

* * *

(١) رائق الشهد (ص:٣٣٢-٣٣٤).

٥٠- الإبداعُ

خير الدين وانلي

تفـــوحُ روائـــحُ الرَّيحـــانِ لا أزْكَـــى ولا أطْيَـــبْ
ويشْدُو الطيرُ في البســتانِ لا أنْــــدَى ولا أطْــــرَبْ
ويزهو الزهــرُ في الرّمــانِ لا أبْهَــــى ولا أعْجَــــبْ
فَجَلَّـــتْ قُـــدرةُ الـــرحمنِ لا أَقْـــوَى ولا أغْـــرَبْ
يُنـــادي البلبـــلُ الشّـــادي رفيقتَـــــه ويُغرِيهـــــا
وتثغو[1] الشاةُ في الـــوَادِي فـــلا تُنسَـــى بوادِيهـــا
ومـــاءُ البركـــةِ الهـــادي يعـــانِقُ رمْـــلَ شَـــاطِيها
وألحـــانٌ مـــن الحَـــادِي إلى الغَيْمـــاتِ يُهـــديها
يـــدُ الإبـــداعِ في الكـــونِ بكـــلِّ خليقـــةٍ تظهَـــرْ
مـــن الأصـــواتِ واللـــونِ إلى الأعـــراضِ فـــالجْوهَرْ
فَســـرْ في الأرضِ في هَـــوْنِ ولا تَسْـــتَعْلِ أو تفخَـــرْ
فأنـــتَ أحـــقُّ بـــالعَوْنِ وأنت الأضْـعَفُ الأصْـغَرْ
كتـــابُ اللهِ مَفْتـــوحٌ لمـــن يَسْتَوْضِـــحُ السِّـــرَّا
ونصـــرُ اللهِ ممنـــوحٌ لـــراجٍ عنـــدْ النَّصْـــرَا
ورزقُ اللهِ مَطْـــروحٌ لمـــن قـــد قـــدَّمَ الشُّـــكْرَا
وفعـــلُ الخـــيرِ مَسْـــموحٌ بـــهِ فاســـتكثرِ الأجْـــرَ
عـــن الأرواحِ لا تَسْـــألْ فســـرُّ الـــروحِ مجهـــولُ

(١) تثغو: تصيح.

ولا تُهْمِـــلْ ولا تَكْسَـــلْ
فراعي الضـأنِ مَسْـؤولُ

وسلْ عن كلِّ ما تجهَـلْ
فهــذا العِلــمُ مبــذولُ

ويَلْقَى المـرءُ مـا يَعْمَـلْ
وفَضْــلُ اللهِ مــأمولُ

تأَمّــلْ صَنْعَةَ الخـالِقْ
وكـــلُّ الخلــقِ آيــاتُ

فهــذا كَوْكَــبٌ سـامِقْ
وهــذي الأرضُ ذرَّاتُ

وهــذا شـامخٌ شـاهِقْ
وذاكَ الســهلُ جَنَّـاتُ

ومــوجٌ زاخــرٌ دافِــقْ
وأحيــاءٌ وأمــواتُ

وكـلُّ الكـونِ إحْكَـامٌ
مِنَ الأسْـمَى إلى الأصـغَرْ

وديــنُ اللهِ إســلامٌ
علــى أدْيــانِهم يظهَــرْ

وشــرعُ اللهِ أحكــامٌ
جَلِيّــاتٌ لمــن أبصَــرْ

ووحــيُ اللهِ إلهــامٌ
فجــلَّ الخـالِق الأكْبَـرْ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٤٠-١٤١).

٥١- عجائب أصناف النبات

عبد الرحمن حبنَّكة

عجائبُ لا تنتَهِـــي في النّبـــاتْ تدلُّ علـــى الخـــالقِ المقتـــدِرْ
عجائـــبُ في أصـــلِ تكوينـــهِ عجائبُ في نَجْمِـــهِ والشّـَــجَرْ
عجائبُ لا تنقَضِي في الجُـــذُورْ وفي السُّوقِ ثمَّ بفَـــيْضِ الثَّمـــرْ
عجائـــبُ تبـــدُو بأوراقِـــهِ وما جَمَعَتْ من ثُغـــورٍ كُثُـــرُ
نسيجٌ بـــهِ يُـــدْهِشُ النّـــاظرينْ وتحتارُ فيمَـــا حَـــوَاهُ الفِكَـــرْ
ومختَلِفَـــاتٌ بـــهِ لا تُعـــدُّ فتحلُو صُنُوفٌ وأُخـــرى تَمُـــرّ
وكـــلٌّ لـــهُ مَيْـــزةٌ في الحَيـــا ةِ يعرِفُ قيمتَهَـــا مـــن خَبَـــر

***

٥٢- سبحانك ربي

أُسَـــبِّحُ ربي مثــــلَ الطيـــور   وأهتـــفُ باســـمِ إلهـــي كـــبيرْ
أرى كبريـــاءً بلـــونِ السَّـــماءْ   ووَمْضِ النجـومِ وبُعـدِ المسـيرْ
وفي شَـــفَقٍ مُشْـــفِقٍ كـــالجراحْ   يُـــذَكِّرُ مـــن أبصَـــروا بالسَّـــعير
وحين يساقُ السَّـحَابُ الجـوادْ   ليُحْيِيَ في الأرضِ مَـوْتَى القبـورْ
وفي الشمْسِ لُفَّتْ بخِـدْرِ الحيـاءْ   تُنـادِي الأحبَّـةَ عنـد البُكُـورْ
وفي النخـــلِ دانٍ بِقنوانِـــهِ   وفي النَّحْلِ يجمَـعُ حُلْـوَ العـبيرْ
بصـوتٍ تَرَقْـرَقَ بـين الحَصَـا   بكَفِّ الحبيـبِ البشـيرِ النَّـذِير
بغِبْطَـةِ بشـرٍ بليـلٍ حَـزِين   بَبَسْـمةِ طفـلٍ حبيـبٍ صَـغير
أبيـعُ وربِّـي مـني اشْـتَرَى   أبيـع الحيـاةَ ولا أستَشِـير
وأُشـهِدُ خَلْقَـكَ أَنِّـي عبـدٌ   أَحَبَّ المليـكَ العزيـزَ الغفـور
وأُسـلِمَ عنـد لِقَـاك الرَّحَـا   لَ وأُلْقِي لديْك عَنَـاءَ المسـير(١)

* * *

(١) أناشيد دعوة الحق (ص:١٣٦).

٥٣- قف بالخضوع

البرعي

قــف بالخضُــوعِ ونــادِ يــا اللهُ إنّ الكريمَ يُجيــبُ مــن نــاداهُ
واطلُب بطاعَتِهِ رِضاهُ فلــم يــزَلْ بالجودِ يُرضِــي طــالبينَ رِضَــاهُ
واســأَلْهُ مغفــرةً وفضْــلًا إنّــهُ مبســـوطَتَانِ لسَـــائليهِ يـــداهُ
واقصِدْهُ منقطِعًا إليه فكــلٌّ مــن يرجُــوهُ مُنقطِعًــا إليــه كفــاهُ
شَمِلَتْ لطائِفُــهُ الخلائِــقَ كلّهَــا مــا للخَلَــائقِ كافــلٌ إلّــا هُــو
فعزيزُهــا وذليلُهــا وغنيُّهــا وفقيرُهــا لا يرتَجُــون سِــوَاهُ
مَلِكٌ تدينُ لهُ المُلــوكُ ويَلْتَجِــي يــومَ القيامــةِ فقــرُهُم بغِنــاهُ
هو أوّلٌ هو آخــرٌ هــو ظــاهرٌ هو بــاطنٌ لــيسَ العيُــونُ تــراهُ
حجَبَتْهُ أســرارُ الجَــلالِ فدونَــهُ تَقِفُ الظُّنونُ وتَخْــرُسُ الأفْــواهُ
صَمَدٌ بــلا كــفْءٍ ولا كيفيَّــةٍ أبدًا فمــا النُّظَــراءُ والأشْــبَاهُ؟!
شَهِدَتْ غرائبُ صُــنعِهِ بوجُــودِهِ لولاهُ مــا شَــهِدَت بــهِ لــولاهُ
وإليهِ أذعَنَــتِ العُقــولُ فآمنَــتْ بالغيــبِ تــؤثِرُ حُبَّهــا إيّــاهُ
سُبحانَ من عَنَتِ الوُجُوهُ لوجْهِــهِ ولــهُ سُــجُودُ أوجــهٌ وجبــاهُ
طوعًا وكرهًــا خاضِــعينَ لعِــزِّهِ ولهُ عليهــا الطّــوْعُ والإكْــرَاهُ
سَلْ عنــهُ ذرّاتِ الوجُــودِ فإنهــا تــدعُوهُ معبُــودًا لهــا ربّــاهُ
أبدي بمُحْكَمِ صَنيعِهِ مــن نُطفــةٍ بَشَرًا ســويًّا جــلَّ مَــنْ سَــوَّاهُ
وبنى السّمواتِ العُلا والعَــرشَ وال كُرســيَّ ثمّ عــلا عليــه عُــلاهُ
ودَحا بساطَ الأرضِ فرشًا مُثبتًــا بالرَّاسِــيَاتِ وبالنَّبــاتِ حَــلاهُ

تجرِي الرِّياحُ على اختلافِ هبُوبِها عـــن إذنـــهِ والفُلـــكُ والأمـــواهُ

ربٌّ رحـــيمٌ مُشْـــفِقٌ متعطِّـــفٌ لا ينتَهِي بالَحصْـــرِ مـــا أعطـــاهُ

كم نعمةٍ أولى وكم مـــن كُربَـــةٍ أجلَى وكم من مُبتلًـــى عافـــاهُ؟!

وإذا بُليـــتَ بغُربـــةٍ أو كُربـــةٍ فـــادعُ الإلـــهَ ونـــادِ يـــا اللهُ

لا مُحسنُ الظنِّ الجميلِ بهِ يَـــرى سُوءًا ولا راجِيـــهِ خـــابَ رجـــاهُ

ولِحِلْمِهِ سُـــبحانهُ يُعصَـــى فلـــم يَعْجَلْ على عبدٍ عَصَـــى مـــولاهُ

يأتيـــهِ مُعتَـــذِرًا فيقبـــلُ عُـــذْرَهُ كرمًـــا ويغفـــرُ عمـــدَهُ وخَطَـــاهُ

يا ذا الجلالِ وذا الجمالِ وذا البَقَا يـــا مُنعِمًـــا عـــمَّ الأنـــامَ نَـــدَاهُ

* * *

٥٤- روعة الخلق

خير الدين وانلي

بديعٌ كلُّ مــا في الكَــوْ ... نِ خلقُ المبْــدعِ القــادرْ
جميلٌ كلُّ مــا في الكــوْ ... نِ للمُسْــتَمْتِعِ الشّــاعِرْ
تأَمّلْ هــل تَــرَى عيبًــا ... بصُــنعِ المــتقِنِ الفــاطِرْ
تعــالى اللهُ ربُّ العَــرْشِ ... جــلّ البــاطنُ الظّــاهِرْ
تأَمّــلْ زَهْــرةَ التفّــاحِ ... ذاتَ السِّــحْرِ والعِطْــرِ
وتابِعْ شَــدْوَ شَــحْرورٍ ... يُناجي بَسْــمَةَ الفجــرِ
وراقِــبْ نَمْلَــةً تســعَى ... ونَحْلًا غاصَ في الزهْــرِ
ونهــرًا فِضّــةً يجــرِي ... على حَصْــباءَ كالــدُّرِّ
تأمّــل طــائرًا يَسْــعَى ... على أفراخِــهِ الزُّغــبِ
وبطًّــا سَــابحًا يَجْــرِي ... مــع التيــارِ في حَــرْبِ
وشــاةً طِفْلَهــا تَــدْعُو ... ثُغَــاءً مفــرحَ القَلْــبِ
ومُهْــرًا قــافزًا يَلــهُو ... على بُسُطٍ من العُشْبِ[1]

* * *

---

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٤٢).

٥٥- سبحان الله

يوسف العظم

لا تمتَــــرُوا في ذاتِـــــهِ ... فـــالكَونُ مــــن آياتِـــهِ
إن ضـــجَّ في حَركاتِـــهِ ... أو نــــامَ في ســــكَناتَهِ
والصُّـــبحُ في إشــــراقِهِ ... واللَّيـــــلُ في ظُلُماتِـــــهِ
والشَّمسُ في كبدِ السَّما ... والــــنَّجمُ في رَعَشَـــاتِهِ
والجـــوُّ في إعصــــارِهِ ... إن هَـــبَّ أو نَسَــماتِهِ
والرَّعـــدُ دوَّى قاصِـــفًا ... والــــبرقُ في ومَضَـــاتِهِ
واللَّيـــثُ في فَلَواتِـــــهِ ... يختَــــالُ في خُطُواتِـــــهِ
والطَّيرُ حلَّقَ في الفضَـــا ... أو نــــامَ في وَكَناتِـــــهِ
والوردُ والعِطرُ الشَّـذِيُّ ... يفُـــوحُ مـــن روضَـــاتِهِ
دَانت لهُ الأزهارُ والـــــ ... أشوَاكُ بعــضُ حُماتِـــهِ
لا تَمتَـــروا في ذاتِـــــهِ ... أو تهــــزَءُوا بدُعاتِـــــهِ
سُبحانهُ قد حقَّـــقَ الــــ ... إعجَـــازَ في كَلِماتِـــــهِ
لا تمتـــرُوا في ذَاتِـــــهِ ... فـــالرِّزقُ مـــن آياتِـــهِ
سُـــبحانهُ مـــن خـــالقٍ ... بــــــرٍّ بمخْلُوقَاتِـــــــهِ
غَمَرَ الوجُـــودَ بفضـــلِهِ ... وأفـــاضَ مـــن خَيْراتِـــهِ
من نَبعِـــهِ الثَّـــرِّ الغَزيـــرِ ... يجُـــودُ مـــن بَركاتِـــهِ
ناءَت بهِ السُّحُبُ الثِّقـــا ... لُ فسَـــالَ في رَبواتِـــهِ
والحقْلُ حـــانَ حصـــادُهُ ... نَقْتَـــاتُ مـــن غَلَّاتِـــهِ

والنّهرُ في السّهل الفَسيـــ ـــحِ يَرقُّ عذبُ فُراتِـــهِ
والغَـــابُ ظـــلٌّ وارفٌ والـــرَّوضُ في ثَمَراتِـــهِ
والماءُ صافٍ في الغَديــــ ـــرِ يشِـــفُّ في مِرَآتِـــهِ
لا تقنطُوا من رحمَةِ الـــ ـــرّحمنِ أو مَرضَـــاتِهِ
فالحِلمُ والغُفرانُ والــ ـــرضوانُ بعضُ صِـــفاتِهِ
لا تمتَـــرُوا في ذاتِـــهِ فـــالرُّوحُ مـــن آياتِـــهِ
والصَّـــدرُ في أنفاسِـــهِ والقلـــبُ في خَفَقاتِـــهِ
والثَّغـــرُ في تســـبيحِهِ والثَّغـــرُ في بسَـــماتِهِ
والصَّـــومُ في رمَضَـــانِهِ والحـــجُّ في ميقَاتِـــهِ
والمُؤمنُ البَــرُّ الكَريـــ ـــمُ مُصـــدِّقًا بزَكاتِـــهِ
والصَّالحُ العَــفُّ التّقــيُّ يهـــيمُ في صَـــلواتِهِ
يرجُو الرِّضى مـــن ربِّـــهِ ليُقـــيمَ في جَنَّاتِـــهِ
والفاجرُ الغِـــرُّ الجهُـــو لُ يَتِيـــهُ في نزَوَاتِـــهِ
لا يَسْـــتَقِيمُ ولا يسيـــ ـــرُ على طَريقِ هُداتِـــهِ
والمـــرءُ في أفراحِـــهِ والمـــرءُ في مأسَـــاتِهِ
يمضِي علَى دَرْبِ الحيَـــا ةِ وينتَهِـــي بمَمَاتِـــهِ
لا تَمتَـــروا في ذَاتِـــهِ فالموتُ بعـــضُ عظَاتِـــهِ
لا تَمتَـــروا في ذاتِـــهِ فـــالوَحْيُ مـــن آياتِـــهِ
والحـــقُّ مـــن إلهَامِـــهِ والنُّـــورُ مـــن مِشْـــكاتِهِ
والعَقـــلُ في إبداعِـــهِ والفِكـــرُ في سَـــبَحاتِهِ

والعلمُ في العَصرِ الحديـــــ	ـــثِ يضِـــجُّ في آلاتِـــهِ
يرتَـــادُ آفـــاقَ الفضَـــا	ءِ ويمتطِـــــي طيَّاتِـــــهِ
والبَحْرُ يهـــدِرُ صـــاخبًا	والفُلــــكُ في جنبَاتِـــــهِ
والذَّرَّةُ الصُّغْرى مَصِيــــ	ـــرُ الكـــونِ في ذَرَّاتِـــهِ
فخرَابُــــــهُ ودَمَــــارُهُ	إن سادَ حِقْــدُ طُغاتِـــهِ
وعَمَــــارُهُ وَصَــــلَاحُهُ	إن ســـادَ عقـــلُ تُقاتِـــهِ
كم مِجْهَرٍ قَرُبت لنـــا ال	أبعــــادُ في عَدَســــاتِهِ
أو هاتِفٍ حَمَل الحديـــــ	ـــثَ مُـــردِّدًا همســـاتِهِ
لا تمتَــــروا في ذَاتِــــهِ	فالكُـــلُّ مـــن آياتِـــهِ[1]

* * *

(١) قصيدة سبحان الله من ديوان في رحاب الأقصى ليوسف العظم، (٥٣١. ٢٤١)، المكتب الإسلامي. وانظر: رائق الشهد (ص:٣٢٥-٣٢٧).

٥٦- إلا ببابِكَ

مصطفى عكرمة

إلّا ببابِك ما أطلتُ وقوفي ... يا من تُلبّي حاجَة الملهوفِ
ذلُّ الوُقوفِ ببابِ عِزّكَ عِزَّةٌ ... يا ربِّ فاقْبَل ذِلّتي ووقُوفي
عمَّرتُ بالأحْلامِ قَلْبي.. يا لَهُ ... من خَافقٍ بِضَلالِهِ مشغوفِ!
صرفَتْهُ أهواءُ الحياةِ عن الهُدَى ... ولكم لها في النّاسِ من تَصْريفِ!
هي عونُ إبليسٍ وعدَّةُ جُندِهِ ... ولكم يُساقُ المرءُ بالتّسويفِ!
غالتْ وأغْرَى وصفُها فاسْتَرْسَلَتْ ... والوصفُ كم يُغريكَ بالموصوفِ!
كم ذا وقفتُ ولم أنلْ من وعْدِها ... إلَّا بريقَ الوعدِ والتّرجيفِ
ومضيتُ لا العِبَرُ الكبارُ تهُزُّني ... يومًا.. وإن بلَغَتْ أُلوفَ أُلوفِ
والصَّحْبُ قد عكَفوا على لذّاتِهم ... ولكم على اللذاتِ طالَ عُكوفي!
أَلِفوا الحياةَ كما اشتهَت أهواؤهُم ... بئسَت حياةُ اللّهْوِ من مألوفِ
رباهُ إنّي ما ارتَضَيْتُ سبيلَهُم ... ولكم عزفتُ وطالَ عنهُ عُزوفي!
لكنّها الأهواءُ والهفي لما ... عانيتُ في الأهواءِ من تَلْهيفِ
رباهُ إن قَطَفوا لَذَائِذَهُم هُنا ... رباهُ فاجْعَل في الجِنانِ قُطُوفي
هي حقبةٌ عاشَ الفؤادُ بها الأسَى ... ما بينَ حَالَيْ خائفٍ ومُخيفِ
واليومَ تابَ وجاءَ تحدُوهُ المُنى ... من غيرِ إبطاءٍ ولا تزييفِ
غُفرانَكَ اللهُم إنّي تائبٌ ... يدعُو بقلْبٍ خاشعٍ وضعيفِ
يا ربِّ رُدَّ المُسلمينَ وردَّهُ ... للدِّينِ يا من أنتَ خيرُ لطيفِ

وانصُر بحقِّكَ أُمَّتي والطُــف بهــا   يا من تُلبّي حاجَــةَ المَلــهوفِ[١]

* * *

(١) حتى ترضى (ص:٣٢-٣٤).

٥٧- بك أستجير

إبراهيم بديوي

بك أستجيرُ فمن يجـــيرُ سِـــوَاكا ... فأجرْ ضـــعيفًا يَحْتَمِـــي بِحَمَاكـــا

إنِّي ضعيفٌ أستعينُ علـــى قِـــوى ... ذَنْبِي ومَعْصِـــيَتِي بفـــيضِ قِوَاكـــا

أذنبتُ يـــا ربي وآذتْـــنِي ذنـــوبٌ ... مَا لَهـــا مـــن غـــافرٍ إلّـــا كَـــا

دنْيَايَ غَـــرَّتني وعفـــوُك غَـــرَّني ... وا حَيْـــرَتِي في هـــذه أو ذاكَـــا

يا مدرِكَ الأبصـــارِ والأبصـــارُ لا ... تَـــدْري لـــه ولكُنهِـــهِ إدرَاكـــا

إن لم تكنْ عَيْنِـــي تَـــرَاك فـــإنني ... في كلِّ شـــيءٍ أســـتبينُ عُلاكـــا

يا منبتَ الأزهارِ عـــاطرةَ الشّـــذَا ... هذا الشّذَا الفوَّاحُ نفـــحُ شَـــذَاكا

ربَّاهُ ها أنا ذا خَلُصْتُ من الهَـــوى ... واستقبلَ القلبُ الخلـــيُّ هَوَاكـــا

وتركْتُ أُنْســـي بالحيـــاةِ ولهوِهـــا ... ولقيتُ كلَّ الأنـــسِ في نَجْواكـــا

ونسيتُ حُبِّي واعتزلـــتُ أحِـــبَّتِي ... ونسيتُ نَفْسي خوفَ أن أنسَـــاكا

أنا كنتُ يـــا ربي أســـيرَ غِشـــاوةٍ ... رانَتْ على قَلْبِي فَضَـــلَّ سَـــنَاكا

واليومَ يا ربِّي مَسَحْتُ غِشَـــاوتي ... وبدأتُ بالقلْـــبِ البصـــيرِ أَرَاكـــا

يا غَافِرَ الـــذنبِ العظـــيمِ وقابلًـــا ... للتّـــوبِ قلـــبٌ تائـــبٌ ناجَاكـــا

يا ربِّ جئتُك ثاويًا أبْكِـــي علـــى ... مـــا قَدَّمَتْـــه يَـــدَايَ لا أَتَبـــاكى

أخشَى من العَرْضِ الرهيبِ عليـــك يـــا ... ربي وأخْشَـــى منـــك إذ ألقَاكـــا

يا ربّ عدتُ إلى رِحَابِـــك تائبًـــا ... مُسْتَسْـــلمًا مسْتَمْســـكًا بعُراكـــا

ما لي وما للأغنيـــاءِ وأنـــت يـــا ... رَبِّـــي الغـــنيُّ ولا يُحَـــدُّ غِنَاكـــا

ما لي وما للأقويـــاءِ وأنـــت يـــا ... ربي عظيمُ الشّـــأنِ مـــا أقْوَاكـــا

إني أويْتُ لكل مــأوًى في الحيــاةِ فما رأيــتُ أعــزَّ مِــنْ مَأْواكــا
وتلمسَتْ نفسي السبيلَ إلى النَّجَاةِ فلم تجدْ منجًى سِــوَ ى مَنْجَاكــا
وبحثتُ عن سِرِّ السعادةِ جاهــدًا فوجدتُ هذا الســرَّ في تَقْوَاكــا
فليرضَ عنِّي الناسُ أو فليسْــخَطوا أنا لم أعُدْ أسْــعَى لغــيرِ رِضَــاكا
أدعوك يــا ربي لتغْفِــرَ حَــوْبَتي وتُعَيــــنَني وتمــــدَّني بهُــــدَاكا
فاقْبَلْ دعائي واسْتَجِبْ لرجَــاوَتي ما خابَ يومًا من دَعَــا ورجَاكــا
يا ربّ هذا العصرُ ألحــدَ عنــدما سخَّرتَ يــا ربِّــي لــه دُنياكــا
ما كاد يُطْلِــقُ للعُــلا صــاروخَه حــتى أشــاحَ بوجهِــه وقَلَاكــا
أَوَ مَا دَرَى الإنسانُ أن جميعَ مــا وصَلَتْ إليه يَــدَاه مــن نُعْمَاكــا
يا أيُّهــا الإنســانُ مهلًــا واتَّئِــدْ واشكُر لربِّك فضلَ مــا أوْلَاكــا
أفــإنْ هَــدَاك بعِلْمِــه لعَجيبــةٍ تَــزْوَرُّ عنــه ويَنْثَنِــي عِطْفَاكــا
قلْ للطبيبِ تخطَّفَتْه يــدُ الــرَّدَى يا شَافِيَ الأمْراضِ مــن أردَاكــا؟
قلْ للمريضِ نَجَا وعُــوفي بعــدَما عَجَزَتْ فنونُ الطِبِّ، من عَافَاكــا؟
قل للصحيحِ يموتُ لا مــن علــةٍ من بالمنايا يــا صــحيحُ دَهَاكــا؟
قلْ للجنينِ يعــيشُ معزولًــا بــلا راعٍ ومرعًى ما الــذي يَرْعَاكــا؟
قل للوليدِ بكَى وأجهَــشَ بالبُكَــا عند الولادةِ ما الــذي أبكَاكــا؟
وإذا تَرَى الثُّعبــانَ ينفُــثُ سُــمَّهُ فاسألْه مَن ذا بالسُّمومِ حَشَــاكا؟
واسألْه كيف تعيشُ يــا ثعبــانُ أو تَحْيَا وهذا السُّــمُّ يمــلأُ فَاكــا؟
واسأل بطونَ النحلِ كيفَ تَقَــاطَرَتْ شَهْدًا وقل للشَّهْدِ مــن حَلَّاكــا؟
بل سَائِلْ اللبنَ المصَفَّى كان بيــــ ــــن دمٍ وفَرْثٍ ما الذي صَــفَّاكا؟

وإذا رأيـــتَ الحـــيَّ يخـــرجُ مِـــن ثَنَايا مَيِّتٍ فاسْأَلْه مـــن أحْيَاكـــا؟

قلْ للهَوَاءِ تحسُّه الأيـــدي ويخــــفى عن عيونِ الناسِ من أخْفَاكا؟

وإذا رأيتَ البدَر يَسْـــري ناشــرًا أنـــوارَه فاســـأَلْه مـــن أسْـــرَاكا؟

وإذا رأيتَ النخْلَ مشقوقَ النَّـــوَى فَاسْأَلْه مَن يا نخلُ شـــقَّ نَوَاكـــا؟

وإذا رأيتَ النـــارَ شـــبَّ لهيبُهـــا فَاسْأَل لهيبَ النارِ مـــن أورَاكـــا؟

وإذا ترى الجبلَ الأشَـــمَّ مَناطِحًـــا قِمَمَ السَّحَاب فَسَلْه من أرسَـــاكا؟

وإذا تَرى صَخْرًا تفجَّر بالمياهِ فَسَـــلْه مِـــن بالمـــاءِ شَـــقَّ صَـــفَاكا؟

وإذا رأيتَ النهرَ بالعذبِ الزُّلالِ جَـــرَى فسَـــلْه مَـــن الـــذي أجْرَاكـــا؟

وإذا رأيتَ البحرَ بالملحِ الأُجَاجِ طَغَـــى فسَـــلْه مـــن الـــذي أطْغَاكـــا؟

وإذا رأيتَ الليلَ يغْشَـــى داجيًـــا فاسْأَلْه مَن يا ليلُ حَـــاكَ دُجَاكـــا؟

وإذا رأيت الصُّبْحَ يُسْفِرُ ضَـــاحِيًا فاسأله مَن يا صبحُ صاغَ ضُـــحَاكا؟

هذي العجائِبُ طالما أَخَـــذَتْ بهـــا عيناكَ وانفَتَحَـــتْ بهـــا أُذنَاكـــا

واللهُ في كـــلِّ العَجَائِـــبِ مبـــدعٌ إن لم تكُـــنْ لِتـــراهُ فهـــو يَرَاكـــا

يا أيُّها الإنســـانُ مهلًـــا مالـــذي بـــالله جَـــلَّ جَلَالُـــه أغْرَاكـــا

فاسجُدْ لمـــوْلاك القـــديرِ فإنَّمـــا لا بـــدَّ يومًـــا تَنْتَهـــي دنياكـــا

وتكونُ في يـــومِ القيامـــةِ ماثلًـــا تُجْزَى بما قَـــدْ قدَّمَتْـــه يَـــدَاكا(١)

* * *

(١) الله أهل الثناء والمجد (ص:٥٤٥-٥٥٠).

٥٨- يسبحُك الخلقُ في كلِّ آن

الدكتورة عاتكة الخزرجية[١]

يسبحُك الخلقُ في كلِّ آنِ ... ويَعْنو لهيبَتِك القَانِتون

ويَسْأَلُك الرحمَةَ الأتقِيَا ... ء ويأوي إلى ظِلِّك المذنبون

وتُحنى الجباهُ لعزِّ الإلهِ ... ويخضَعُ للأكبرِ الكابرون!

تباركتَ سُبِّحْتَ يا ذا الجلا ... لِ ويا من إليه غدًا يَنْسِلُون

ويا مجريَ الفُلْكَ فوقَ البحا ... رِ ومن باطنِ الصَّخْر ثجَّ العُيُون

ويا مُجري الشمسَ في أُفْقِها ... وكلٌّ على فَلَكٍ يَسْبَحُون

تباركتَ كيف سَلَخْتَ النها ... رَ من الليل كيف مَسَخْتَ القُرون؟

وكيف بَرَيْتَهُمُ من رُغَا ... م وكلٌّ إلى أجلٍ سائرون؟

وَسَرَّيْتَ بينهُمُ بالحِما ... مِ ورَوَّضْتَ فيهم جماحَ الحَرون[٢]

تباركت كيف قَسَمْتَ الجُدو[٣] ... د وكيف يُقال بها العَاثرون

وسعتَ بحِلْمِك طيشَ الجَهُو ... ل وغيِّ الكفورِ ولُؤْمَ الخؤُون

ولم توصِدِ البابَ دونَ الجَمُو ... دِ ولا دونَ ما أمَّل التَّائبون

حكمتَ فأقسطْتَ في العالمين ... وبالعَدْلِ فليحْكُم الحَاكِمون

فنارُك يَصْلَى بها الكافرون ... وجناتُ عَدْنٍ بها المؤمنون

تباركتَ يا ربِّ هذا الوُجُود ... ومن باسمِه سبَّح العَالمون

---

(١) تسبيح ومناجاة وثناء - حسن موسى الشريف (ص:١٣٢-١٣٤).

(٢) الحرون: المكابر والمعاند.

(٣) الجدود: الحظوظ.

ويا موقِــدَ النــارِ مــن أخضــرٍ ومُعْطي مِنَ الأرضِ مــا يشْــتَهون
ويا مخــرجَ الحــيِّ مــن ميــتٍ ومن قال للشيءِ كنْ كيْ يكُــون
تباركْــتَ يــا فــاطرَ الكائنــاتِ ومن هُــمْ إليــه غــدًا يَنْســلون
فزعــتُ لبابِــك أرجــو حِمــىً لضَعْفي فأنــتَ حِمــايَ المصُــون
عبادُك يــا ربِّ ضَــلّوا الســبيلَ وحَــارَ الــدليلُ فمــا يهتَــدون
تَشَــامَخَ في أرضِــك الأدنيــاءُ فأيــانَ عــن غَــيِّهم ينتــهُون
وجَــارتْ بأحكامِهــا الأقويــاءُ فَسِيمَ الضــعيفُ عــذابًا وهُــون
ولم يُعطِ مــن مالِــكَ الأغنيــاءُ وراحوا على شُــحِّهم يَحْرِصُــون
ولم يبقَ في النــاسِ معنَــى الحيــاءِ فأمسُــوا بآثــامِهم يفخَــرون
وضــجَّتْ مــواخِيرُهم بالحيــاةِ وباتَــتْ محــاريبُهم في سُــكون!
عِبَادُك يــا ربّ ضَــلّوا الســبيلَ فأين الــدليلُ؟ عَسَــى يهتــدون
أخــافُ علــيهم وأرجُــو لهــم فغفــرًا لهــم إنهــم لا يعُــون!
وأنت اللطيفُ الرؤوفُ الــرحيمُ وأنت الرفيــقُ الشــفيقُ الحنــون

* * *

٥٩- يا مجيب السائلين

عبد الرحمن حبنكة

ربّ إني قدْ ســـألتُك يا مُجيبَ السَّـــائلينْ
لم يَخِب دَاعِكَ ربِّـــي وهو يـــدعُو بـــيقِينْ
إنّني أدْعُـــوكَ يـــا اللهُ مَعْ إخـــلاصِ دِيـــنْ

* * *

ربِّ إني قـــد ســـألتُكْ إذ تُحِـــبُّ السِّـــائلينْ
بدُعائي قـــد عبَـــدتُكْ إذ تُحِـــبُّ العابِـــدينْ
أنتَ أولَـــى بِـــيَ مِنِّـــي فـــأعِنّي يـــا مُعـــينْ
أنـــتَ بي أعلَـــمُ مِنِّـــي أنتَ خـــيرُ الأكـــرمينْ
فاصْـــطَنعْني لـــكَ يـــا ربِّـــي اصـــطِنَاعَ الأقـــربينْ
واتّخِـــذْني لـــكَ ضـــمنَ الصّـــالحِين الطـــاهِرينْ
وبفضـــلٍ منـــكَ فـــارفَعْني لأوجِ المُحســـنينْ
أنت رَبِّي في تصَـــاريفِكَ خَـــيرُ الأحْكَمِـــينْ
ورجَـــائي باســـتجَابَاتِكَ لي حـــقُّ الـــيقينْ
لستُ أخشى ردَّ سُـــؤلي ولـــكَ الوَعـــدُ المتـــينْ
أنـــا يـــا ربِّـــي بألطافِـــكَ في حِصْـــنٍ حَصِـــينْ
فـــاقضِ لي الخـــيرَ وأكـــرِمنِي بسُـــلطانٍ مكـــينْ
تنصُـــرُ الحـــقَّ بـــهِ والخيرَ بـــينَ العـــالَمينْ
وبـــهِ تنصُـــرُ قُـــرآنَـــكَ ذا النُّـــورِ المُـــبينْ

تنصرُ الدِّينَ الذي جَـا ءَ بِهِ الـدّاعي الأمِـينْ
أحمـدُ المُختـارُ خـيرُ الخلـقِ خـيرُ المُرسَـلينْ
وبـهِ تنصُـرُ في الـدُّ نيـا جُمُـوعَ المـؤمنينْ
وبِـهِ تهـزِمُ يـا ربِّـي حُشُـودَ الكَـافِرينْ
ربِّ واجعلنِـي إمامًـا للهُـداةِ المـتَّقينْ

* * *

ربِّي إنِّي قد سـألتُكَ يا مُجِيبَ السَّـائلينْ
بدُعائي قد عبَـدتُكْ إذ تُحِبُّ العابِـدينْ[1]

* * *

(١) ديوان ترنيمات إسلامية (ص:٥٨-٥٩).

٦٠- كتاب الكون

خير الدين وانلي

كم في كتابِ الكونِ مـــن عِـــبرٍ لأولي النُّهـــى والبحْـــثِ والنَّظَـــرِ

في الأرضِ في الآفـــاقِ قاطبـــةً في النفسِ في الأصواتِ في الصُّـــورِ

في ذرةٍ عَمْيـــــاءَ هائجـــــةٍ في الشمسِ ذاتِ الوهْجِ والشَّـــررِ

في الـــنَّجْمِ في الأفـــلاكِ ســـابحةً في الشُّهْبِ ذاتِ الخَطْفِ للبصَـــرِ

في الزهـــرةِ الأخـــاذِ رونقُهـــا في الطيرِ صدّاحًا علـــى الشَّـــجَرِ

في البحـــرِ والأمـــواجُ صـــاخبةٌ تعلـــو تَـــرومُ تَنَـــاولَ القمَـــرِ

في الراسِـــياتِ الشـــمِّ عمَّمَهـــا ثلـــجُ الشـــتاءَ يســـيلُ في النَّهـــرِ

في السَّفْحِ والأعشابُ مائســـةٌ[1] ترنـــو إلى الوديـــانِ في خَفَـــرِ

* * *

مـــــاذا أقـــــولُ لغافـــــلٍ لاهٍ عن كلِّ ما في الكونِ مـــن عِبَـــرِ

أيظنُّ خلقَ الكـــونِ عـــن عَبَـــثٍ كلّا فخلقُ الكـــونِ عـــن قَـــدَرِ

ما فيـــهِ مـــن وَهَـــنٍ ولا خَلَـــلٍ مـــا فيـــه مـــن واهٍ ومُنفطِـــرِ

الشـــمسُ في الأفـــلاكِ جاريـــةٌ كـــالأرضِ ذات المـــاءِ والمَـــدَرِ[2]

لا الليـــلُ يســـبقُ لا النـــهارُ ولا تُفـــني البحـــارُ رواسِـــيَ الجُـــزُرِ

النبتَـــةُ الخَضْـــراءُ ضـــاربةٌ أطْنَابَهـــا في الصَّـــخْرِ والحَجَـــرِ

والزهـــرةُ البيضـــاءُ فائحـــةٌ والجـــذْرُ بـــين الطـــينِ والكَـــدَرِ

---

(١) مائسة: مائلة متبخترة.

(٢) المَدَر: الطين.

والغيمـــــةُ الســـــوداءُ مُثْقَلَـــــةٌ تجْـــرِي بأطنـــابٍ مـــن المطـــرِ
والهـــــرةُ السِّـــــمراءُ حانيـــــةٌ فوق الصِّغارِ العُمْيِ عـــن خَطَـــرِ
الكـــــونُ متِّسِـــــقٌ ومنـــــتظِمٌ كم فيـــهِ مـــن ذِكْـــرَى لُمعتَـــبرِ
ســـبحانَ مـــن بـــاللُّطْفِ قـــدَّرَهُ أعظِـــــمْ بقيـــومٍ ومُقتَـــــدِرِ[1]

* * *

(١) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٣٤).

٦١- إلهي أنت تعلم كيف حالي

أغيبُ وذُو اللَّطـائفِ لا يغيـبُ ... وأرجُـوهُ رجَـاءً لا يخيـبُ
وأسـألهُ السَّـلامةَ مـن زمـانٍ ... بُليـتُ بـهِ نوائبُـه تُشـيبُ
وأُنزلُ حَـاجتي في كـلِّ حـالٍ ... إلى مـن تَطمـئِنُّ بـهِ القلُـوبُ
ولا أرجُـو سـواهُ إذا دَهَـاني ... زمـانُ الجَـوْرِ والجـارُ المُريـبُ
فكـم للهِ مـن تـدبيرِ أمـرٍ ... طوتهُ عـن المُشـاهدَةِ الغيُـوبُ
وكم في الغيبِ من تيسـيرِ عُسـرٍ ... ومـن تفـريجِ نائبـةٍ تنُـوبُ
ومن كرمٍ ومـن لطـفٍ خفـيٍّ ... ومن فرجٍ تـزُولُ بـهِ الكُـروبُ
ومـا لي غـيرُ بـابِ اللهِ بـابٌ ... ولا مـولى سـواهُ ولا حبيـبُ
كـريمٌ مُـنعمٌ بـرٌّ لطيـفٌ ... جميلُ السّـترِ للـدَّاعي مُجيـبُ
حلـيمٌ لا يُعاجِـلُ بالخَطَايـا ... رحـيمٌ غيـثُ رحمتِـهِ يَصُـوبُ
فيا ملكَ المُلـوكِ أقِـلْ عِثَـاري ... فـإني عنـكَ أَنْـأَتْني الـذُنوبُ
وأمرضَنِي الهَـوى لهـوانِ حظِّـي ... ولكن لـيسَ غـيرَكَ لي طبيـبُ
وعَانَدَني الزمانُ وعِيلَ صَـبري[1] ... وضاقَ بعبـدِكَ البلـدُ الرّحيـبُ
فآمن رَوْعَتي واكْبِـتْ حسُـودًا ... يُعاملُني الصَّـدَاقة وهـو ذيـبُ
وآنِسْـني بـأولادِي وأهْلـي ... فقد يَسْتَوْحِشُ الرجـلُ الغريـبُ
ولي شَـجَنٌ بأطفـالٍ صِـغَارٍ ... أكـادُ إذا ذكـرتُهُم أذوبُ
ولكـني نَبَـذْتُ زِمَـامَ أمْـرِي ... لمـن تـدبيرُهُ فينـا عَجيـبُ

---

(١) عيل صبري: غُلِب.

هو الـــرحمنُ حَـــوْلي واعْتِصَـــامي بـــهِ وإليـــهِ مُبتَهِلًـــا أُنيـــبُ

إلهي أنـــتَ تعلـــمُ كيـــفَ حـــالي فهل يـــا ســـيِّدي فـــرجٌ قـــريُ

* * *

٦٢- حبيبي أنت رحمن

يحيى بن معاذ

أنــــا إن تُبـــتُ منّـــاني وإن أذنبـــتُ رجَّـــاني
وإن أدبَـــرْتُ نـــادَاني وإن أقبلْـــتُ أدنَـــاني
وإن أحْبَبْـــــتُ والاني وإن أخْلَصْـــتُ نَاجَـــاني
وإنْ قَصَّـــرتُ عافَـــاني وإن أَحْسَـــنْتُ جـــازَاني
حبيبي أنـــتَ رَحْمَـــاني أَلَا اصرِفْ عني أحْـــزَاني
إليك الشّوقُ من قَلْـــبي عَلَـــى ســـرِّي وإعْلَـــاني
فيا أكـــرَمَ مـــن يُرجَـــى وأنـــتَ قـــديمُ إحســـانِ
وما كُنتَ علـــى هـــذا - إلهَ النّاسِ - تنسَـــاني
لَدَى الدُّنيا وفي العُقبَـــى على ما كانَ من شَاني[1]

* * *

(١) الحلية، (١٠/٦٢).

٦٣- ربِّ سبحانك

محمود حسن إسماعيل

ربِّ سُـــبحانكَ في أعلَـــى عُـــلاك
كلّمـــا نـــدعوكَ.. تُعطينـــا يـــدَاك
خَـــيَّمَ اللّيـــلُ، فنادَيـــتُ.. إلَهـــي
فـــــإذَا الكــــــونُ ضـــــياءْ
وجـــرَى الـــدمعُ فناديـــتُ.. إلهـــي
فـــــإذا الـــــدُّنيا صَـــــفاءْ
والرِّضـــا يغمُـــرُ قَلْـــبي وشِـــفَاهي
وتُنـــــــاجيني السَّـــــــماءْ
ربِّ ســـبحانكَ في أعلـــى عُـــلاك
كلَّمَـــا نـــدعُوكَ تُعطينـــا يـــدَاك
كلّمَـــا تُشـــرِقُ شمـــسٌ أو تغيـــبْ
يمـــــلأُ القلـــــبَ ضِـــــيَاك
وإذا ضَاقَتْ مـــن اليـــأسِ القُلُـــوب
يغمُـــــــرُ الـــــــرُّوحَ هُـــــــدَاك
وإذا ملَّـــتْ مـــن العَفـــوِ الـــذُّنوب
صَـــــافَحَ الـــــنَّفسَ رِضَـــــاك
ربِّ سُـــبحانكَ في أعْلَـــى عُـــلاك

كُلّما نــدعُوك.. تعُطينـــا يـــدَاك[١]

* * *

٦٤- يا أرحم الرحماء

محمد الحامد

يا أرحم الرُّحمــاءِ مــا لي حيلــةٌ ... إلا الرُّجـــوعُ إليـــكَ يـــا ربَّـــاهُ

أنا قد أسأتُ، وأنـــتَ ربٌّ غـــافرٌ ... غوثَـــاهُ مِّـــا قـــد عَـــرَا غَوْثَـــاهُ

يا سيِّدي يا مـــن إليـــهِ شِـــكَايتِي ... أوّاهُ مِّـــــــا نـــــــابني أوّاهُ

أدرِكْ بلُطْفِك نادمًـــا ذا حســـرةٍ ... مُسْـــتَغْفرًا مِمـــا جَنَتْـــهُ يَـــدَاهُ

ما للضِّـــعيفِ إذا ألّمـــت كُربـــةٌ ... إلا الـــــــدُّعاء: اللهُ يـــــــاللهُ

يا ربِّ نفِّس عن عُبيـــدِكَ كُربـــةً ... وأرِحْهُ مما قـــد عنَـــا ودَهَـــاهُ[٢]

* * *

٦٥- تأملات إيمانية

عبد الرحمن حبنكة

لستُ أدْري ما حَيَـــاتِي ... لا. ولا مـــا هُـــو آتِ

أنا مـــن أيـــنَ؟ ومِمَّـــن ... قبستْ نفسِي صِـــفَاتِي؟

أنـــا لا أملـــكُ نفسِـــي ... في انتقـــالٍ أو ثَبَـــاتِ

إن ربِّـــا هـــــو أعطَــــاني وجُــــودي وحَيَـــاتِي

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل (١٧٨٣/٤-١٧٨٤).

(٢) مجلة حضارة الإسلام، العدد ٣، (ص:٨٣)، من السنة العاشرة، من جمادي الأولى سنة ١٣٨٩هـ، وانظر: رائق الشهد (ص:٢٢٢-٢٢٣).

مثلمـــا أعطَـــى جميـــعَ الكائنـــاتِ الحادِثَـــاتِ
وهَـــداني أن أرَى زَادِي لمـــا بعـــدَ الممـــاتِ
خـــيرُ زادٍ لي تَقْـــوَاي وفِعْـــلُ الصّـــالحاتِ
واعْتِـــرَافي بالـــذي أبـــدَعَني في الكائنـــاتِ

قَـــد عَرَفْـــتُ اللهَ ربي حينمـــا أدركْـــتُ ذاتي
أفَلَـــا أمـــلأُ فِكْـــرِي وفَمِـــي بالصّـــلواتِ
ووجُـــودي وصِـــفَاتِي منهُ بعـضُ النّفحـاتِ
إن شُـكري يـا إلهـي لـك يُعلـي دَرَجَـاتي
فلكَ الشُّكرُ علـى مـا جُدتَ لي من أُعْطِياتِ[١]

* * *

(١) ديوان ترنيمات إسلامية (ص:١٢٩).

٦٦- تبارك الله

خير الدين وانلي

تباركَ اللهُ كم في الكونِ من عَجَــبٍ؟!

في البرِّ والبحرِ والأفــلاكِ والشـــهُبِ

طيرٌ يُهاجرُ من أقصى الشـــمالِ إلى

أقصى الجنوبِ ولا يهتمُّ بالسِّــغَبِ[1]

ويقطعُ السِّـــمكُ الشِّــلالَ مُتجهًــا

إلى المنابعِ كي يفنَـــى مـــن التعَـــبِ

وينشرُ النملُ حبًّــا كـــي يُجفِّفَـــه

ويصنعُ النحلُ شكلًا مُنتهى العجَـــبِ

ويحمِـــلُ(الكنغرُ) الأبنـــاءَ يحفظُهـــا

في جيبهِ سائرًا وَثْبًــا علـــى الـــذّنَبِ

ويرفَعُ القـــردُ أولادًا علـــى كَتِـــفٍ

ويزقمُ[2] الطيرُ أفراخًا ذَوي زَغَـــبِ[3]

ويَجْأرُ الحوتُ في الأعماق مبتـــهجًا

ويُنْقِذُ الصوتُ خَفّاشًا مـــن العَطَـــبِ

ويَسْبَحُ الـــبطُّ في أعقـــابِ مَوْلـــدِهِ

بلا مرانٍ ومـــاءُ النـــهرِ في صَـــخَبِ

وَيْلقَمُ الشـــديَ والعينـــانِ مُغْمَضَـــةٌ

(١) السغب: الجوع.

(٢) يزقم: يلقم.

(٣) الزغب: الريش الصغير.

هِرٌّ وليدٌ وما في الثّدي مــن حَلَــبِ
ويقفزُ المهــرُ خلــفَ الأمّ مرتَجفًــا
ولم يزلْ عَظْمُه أوهَى مــن القَصَــبِ
ويتبعُ الكلبُ ريحًا غــابَ صــاحبُها
ويسمعُ الهرُّ همسَ الفــأرِ في الخِــرَبِ
ويُبصرُ الصّقرُ مــن عَلْيائِــهِ جُــرُذًا
ويُمْسكُ القنفذُ الأفْعَى مــن الــذّنَبِ
وينقرُ الطيرُ دودًا غــابَ في غَصْــنٍ
تحتَ اللّحَاءِ وما في الغُصْنِ من ثُقَــبِ
ويُمسِكُ البجَــعُ الأسمــاكَ ســابحةً
ويُرسِلُ الأخطبوطُ الرجْلَ عن جُنْــبِ
وينفخُ الثعلــبُ الأحشــاءَ مرتميًــا
حتى تُهاجِمَهُ الغِربــانُ عــن كَثَــبِ
ويلْسَعُ العَنْكبوتُ الجُعــلَ في عُنــقٍ
حــتى يخــدِّرَه تخــديرَ مُرتَقِــبِ
ويُمسِكُ الضَّبُّ غُصْنًا حين تدركَــهُ
أفعَى ليمنَعَ بلــعَ الــرأسِ كالــذّنَبِ
تبــارك اللهُ لا تُحصَــى خلائِقُــه
وكلُّ آلائِــهِ تــدعو إلى العَجَــبِ[1]

---

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٣٦).

* * *

٦٧- ما شئت كان

الشافعي

ما شئتَ كـــانَ، وإن لم أَشَـــأْ وما شِئْتُ إن لم تشـــأَ لم يكُـــنْ

خلقتَ العبادَ لما قـــد عَلِمـــتَ ففي العلمِ يجري الفَتَى والمُسِـــنْ

فمنهُم شقيٌّ، ومنـــهم ســـعيدٌ ومنهُم قبيحٌ، ومنـــهم حَسَـــنْ

على ذا مننتَ، وهذا خـــذلتَ، وذاكَ أعنـــتَ، وذا لم تُعـــنْ[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي (ص:١١٨).

٦٨- يا كافل الرزق

مصطفى عكرمة

قدَّرتَ أرزاقَ كــلِّ الخلــقِ مــن عَــدمِ
وزدتَ في الرِّزق يا ذا الجــودِ والكــرمِ
أبــوابُ جــودِكَ مــا تنفــكُّ مشــرَعَةً
حتى طَفَوْنــا علــى بَحْــرٍ مــن الــنِّعمِ
هذي الملايينُ ممــا قــد خَلَقْــتَ تَــرى
من حَوْلها الــرِّزقَ موفُــورًا علــى أَمَــمِ
فالنَّملُ، والطّيْــرُ.. والأسمــاكُ أجمعُهــا
من عاش في النُّورِ، أو من عاشَ في الظُّلَــمِ
والآدميــونَ نــالوا فــوقَ مــا ســألوا
عَبرَ الزَّمَــانِ.. كــأنّ الكُــلّ في حُلُــمِ
وكـــلُّ ذي مُهجـــةٍ في الأرضِ زاحفـــةٍ
أو غــيرِ زاحفــةٍ تَسْــعَى علــى قَــدَمِ
تَسْــعَى.. وللسَــعي أوقــاتٌ محــدَّدةٌ
ورزقُهـــا غـــيرُ محـــدودٍ ومُنقَســـمِ
لم ينفَــدِ الــرِّزقُ يومًــا رَغْــمَ كَثرَتِهــا
وربَّما قد قَضَــتْ يومًــا مــن الــتُّخَمِ
آلافُ آلافِ أعـــوامٍ ومـــا بَرِحَـــت
كــلّ الخلائِــقِ تَلْقَــى غايــةَ الكــرمِ
لا عقلُهـــا كافِـــلٌ أرزاقَهـــا أبـــدًا
ولا قُواهـــا تُنجّيهـــا مـــن الألَمِ

يا ربِّ أنــتَ الــذِي أعطيتَهــا كَرمًــا
وأنتَ مــن قــدَّر الأرزاقَ مــن قِــدَمِ
وأنــت يــا ربِّ هاديهــا.. وكافِلُهــا
وأنت كافِــلُ رزقِ الكُــلِّ مــن عَــدَمِ
وأنتَ تعلمُ عنــها فــوقَ مــا عَلِمَــتْ
عن نَفْسِها.. وهي كالذّراتِ في الــرَّحِمِ
وأنتَ وحدَكَ من يُرجَــى.. ومــن يــدُهُ
تُعطي.. فتُغنــي وتكفِــي ســائِرَ الأُمَّــمِ
فــامنُن علــيَّ بــرزقٍ وافــرٍ أبــدًا
واجعَلْــهُ ربِّــي حَلالًــا ســائغًا بِفَمِــي
ورُدَّ يــا ربِّ للإســلام عزَّتــهُ..
وابعث بنا مــن يُصــحِّينا مــن الــرِّمَمِ
حــتى تعــودَ إلى مــا كــان أُمَّتُنــا
بنَهْجِكَ الحــقِّ تَهْــدِي أقــوَمَ القِــيَمِ[1]

(١) حتى ترضى (ص:٦٢-٦٤).

٦٩- إليك جميع الأمر

ابن الوزير الصنعاني[١]

إليكَ جميعُ الأمــرِ يُرْجَــعُ كلُّــهُ ومنكَ الأمَاني تُرتَجَــى والبشــائرُ
وبعضُ أياديكَ العــوالُم والــذِي هُا والبحــارُ والثقــالُ المــوَاطِرُ
ومنكَ العطَا والمنعُ والأمــرُ كلُّــهُ إليكَ ومَا في الكونِ غــيرُكَ قــادرُ
فمنْ شاءَ فليمنعْ سواكَ فــلا أذًى إذَا يَبِسَ الضَّحْضَاحُ فالبحرُ زاخــرُ
وعفْوُكَ يا ربَّ الخلائــقِ واســعٌ تضيعُ الخطَايــا عنــدهُ والكبــائرُ
فلو يعلمُ الخلقُ الذي أنتَ أهلُــهُ من العفوِ لم يقنُطْ منَ العفوِ فــاجرُ
ورحمتُكَ العظمَى كتبتَ بسَــبقِهَا كتابًا كريمًا فهوَ عنــدَكَ حاضــرُ
وأنت تحبُّ الحمدَ والمدْحَ والثَّنــا ووصفُ محبِّ الحمدِ والمدحِ ظــاهِرُ
فوعدُكَ أولَى من وعيدِكَ بالوَفــا لذاكَ وحظُّ الفضْلِ للعدلِ قــاهرُ
وقد جاءتِ البُّشرى وصَحَّتْ بأننَــا لَنَا ظنُّنــا فــالظنُّ أنَّــك غــافرُ
ولِي حينَ يشتدُّ الوعِيــدُ ذخــيرَةٌ سريرةُ حبٍّ يومَ تُبلَــى السَّــرائرُ
تجَلى هُمومي في فُــؤادِي قرَارَهــا وأرجُو بقاهَا يومَ تَفْنَــى الــذَّخائرُ
وديعــتُكم أن تحفظُوهَــا فإنهَــا صَنيعتُكُم والجودُ بــالحفظِ آمِــرُ

* * *

(١) رائق الشهد (ص:١٦٢-١٦٤).

٧٠- الكون البديع

خير الدين وانلي

اقــرأْ ســطورًا مــن كتــا ... بِ الكونِ منْ دنيا الجمــالْ
فالحســـنُ فيـــهِ كــامنٌ ... والحســـنُ مـــرآةُ الخيــالْ
في الزهرةِ الخالصةِ الطُّهـــ ... ـــرِ وفي المـــاءِ الـــزلالْ
في الغُصـــنِ يرنُـــو للمـــرو ... جِ نديـــةً مثـــلَ الـــلآلْ
في السَّلْسَلِ العذبِ النميـــ ... ـــرِ تحفُّـــه خُضْـــرُ الـــتلالْ
في الموجِ يغشى الأفقَ تعـــ ... ـــلوه نُسَـــيْماتُ الشَّـــمالْ
عرِّجْ علـــى النبـــعِ الوقـــو ... رِ وسلهُ يُنبئْـــكَ العُجـــابْ
واســـألْ زُرافـــاتِ الطيـــو ... رِ عن الفضَاءِ عنِ السَّحابْ
واستَلْهِمِ الـــنجمَ النشيـــ ... ـــدَ الشَّـــجيَّاتِ العِـــذابْ
كمْ مـــنَ جمـــالٍ في رحـــا ... بِ الكونِ والكونُ كتـــابْ
ســـبحانكَ اللـــهمَّ يـــا ... ربَّ المحاســـنِ والجَمـــالْ
أنت الجميلُ خَلَقْـــتَ هــــ ... ـــذا الكونَ في أبهَى مِثَـــال
لا يستطيعُ العقـــلُ إحصـــا ... ءَ المحامِـــدِ والكمـــالْ
لا تُـــدْركُ الأفهـــامُ ســـرَّ ... الخلقِ أو كُنْـــهَ الـــزَّوال[1]

---

(١) ديوان النصر للإسلام (ص:١٣٧).

٧١- يا ربنا لك الصلاة

محمود حسن إسماعيل

يا ربَّنـــا لـــكَ الصَّـــلاهْ

والحمدُ من كلِّ الحيَـــاهْ

من زهرةٍ على الغصُـــونْ لَهفَانـــــةٍ إلى نـــــدَاكْ

منْ دَمْعَةٍ علَى الجفُـــونْ ظمآنـــــةٍ إلى رضَـــــاكْ

مـــنْ تائـــبٍ إلى حِمـــا كَ هلّلـــــتْ خُطَـــــاهْ

يا ربَّنـــا لـــكَ الصَّـــلاهْ

والحمدُ من كلِّ الحيَـــاهْ

يـــا راحمًـــا للتَّـــائبينْ للعَفْوِ لا نرجُـــو سِـــوَاكْ

يـــا مَوئلًـــا للحَـــائرينْ طُوبى لَمن يلقَـــى هُـــدَاكْ

يا غوثَ كـــلِّ العـــالمين حمدًا لما تُعطِـــي يـــداكْ

بكُلِّ ما تحيَـــا الحيـــاةُ نعبُـــدُك

وكلّ ما فوقَ الثَّرَى يُوحِّـــدُك

وكلّنـــا نـــدعُوكَ يـــا ربَّـــاهْ

يـــا ربَّنـــا لـــكَ الصَّـــلاةْ

والحمدُ مـــنْ كُـــلِّ الحيـــاةْ![١]

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج(٤/١٧٧٩-١٧٨١)، انظر: رائق الشهد (ص: ٢١٣-٢١٤).

٧٢- يا ربِّ إني مذنبٌ أواهُ

عبد الرحمن حبنكة

ناديــــتُ يـــا مـــولايَ يـــا اللهُ يــــا ربِّ إنِّــــي مُــــذنبٌ أواهُ

أرجُو عطايــاكَ الحســانَ وإنّ لي قلبًــا دعــاكَ فــلا تَــرُدَّ نــدَاهُ

ما في العوالمِ مــن يلــبي داعيًــا إلاكَ يــــا مــــولايَ يــــا اللهُ

داءُ الفـــؤادِ غـــرورُهُ بلـــذاذةٍ من عاجــلِ الــدنيَا وأنــتَ دوَاهُ

فامسحْ برحمتكَ الــتي تجلُــو بهَــا قلبي فيُشرِقُ في السُّــلُوكِ سَــنَاهُ

فأكونُ عبدكَ مثلمَا ترضَــى لنَــا وأجدُّ في إحســانِ مــا تَرْضَــاهُ

وأكونُ بالتوفيقِ منــكَ مُحصَّــنًا وينالُ قلبي مــن رِضــاكَ مُنــاهُ

وأعيشُ في سَعْدِ الحيــاةِ وطيبِهــا وأصيرُ حيثُ يصيرُ مــن ترعــاهُ

ويضُــمُّني الفــردوسُ في أكنافــهِ مع من وهبتَ من الخِيَــارِ عُــلاهُ

مولاي أنتَ، ولا يهــونُ بــدهرِهِ من كنتَ يا ربَّ الورَى مــولاهُ[1]

* * *

(١) ترنيمات إسلامية (ص:١٤٦).

٧٣- يا سروري

رابعة العدوية

يـــا سُـــروري ومُنْيَتِـــي وعِمـــادي
وأَنيســـــي وعُـــــدَّتي ومُـــــرَادي
أنـــتَ روحُ الفُـــؤادِ أنـــتَ رجـــائي
أنـــتَ لي مُؤنســـي وشـــوقُكَ زادي
كم بـــدَتْ منَّـــةٌ وكـــمْ لـــكَ عنـــدِي
مـــن عَطَـــاءٍ ونعْمـــةٍ وأيَـــادِي
حُبُّـــكَ الآنَ بُغـــيتي ونَعيمـــي
وجَلَـــاءٌ لعـــينْ قلـــبي الصَّـــادي
لـــيسَ لي عنـــكَ مـــا حييـــتُ بـــراحٌ
أنـــتَ منِّـــي مُمكَّـــنٌ في الفـــؤادِ
إن تكـــن راضـــيًا علـــيَّ فـــإني
يا مُـــنى القلـــبِ قـــد بـــدا إسْـــعَادي

* * *

٧٤- سبحان الله

أبو العتاهية

سبحانَ من يُعطي المُنَى بخواطرٍ ... في النفسِ لَمْ ينطقْ بِهِنَّ لسانُ
سبحانَ من لا شيءَ يحجُبُ علمَهُ ... فالسرُّ أجمعُ عندهُ إعلانُ
سبحانَ من هوَ لا يزالُ مسبَّحًا ... أبدًا وليسَ لغيرِهِ السُّبحانُ
سبحانَ من تجرِي قضاياهُ علَى ... ما شاءَ منهَا غائبٌ وعيَانُ
سبحانَ من هو لا يزالُ ورزقُهُ ... للعالمينَ بهِ عليهِ ضَمانُ
سبحان من في ذِكرِهِ طُرُقُ الرضَى ... منهُ وفيهِ الرَّوحُ والرِّيحانُ
ملكٌ عزيزٌ لا يُفارِقُ عزَّهُ ... يُعصَى ويُرجَى عندهُ الغفرانُ
ملكٌ لهُ ظهرُ القضاءِ وبطنُهُ ... لم تُبلِ جِدَّةَ مُلكِهِ الأزمَانُ
مَلِكٌ هو الملكُ الذي من حِلْمِهِ ... يُعصَى بحُسنِ بلائِهِ ويخَانُ
يَبْلَي لكُلِّ مسلَّطٍ سُلطانُهُ ... واللهُ لا يبلَى لهُ سُلطانُ
كم يَسْتَصِمُّ الغافلونَ وقد دُعُوا ... وغدَا وراحَ عليهِمِ الحدِثانُ[1]

* * *

(١) رائق الشهد (ص:٨٧).

٧٥- أنا الفقير

ابن الوزير الصنعاني

إليكَ وجَّهتُ يــا مــولاي آمــالِي
فاسْمَعْ دُعائي وارحَمْ ضَــعْفَ أحــوالي
أرجُوك مولاي لا نفسي ولا وَلَــدي
ولا صَــديقي ولا أهْلــي ولا مَــالِي
لَمــا عرفتُــكَ لم أنظُــرْ إلى أحــدٍ
فلا الرعيــةَ أرجُوهــا ولا والــوالي
فلا تَكِلْني إلى مــن لــيس يكْلَــؤُني
وكن كَفيلي فأنت الكافلُ الكــالي(١)
ولتَسْقِني كأسَ حُبٍّ من وِدَادِكَ يــا
مولايَ فهو شرابٌ سَلْسَــلٌ حــالي
فلا وحقِّكَ ما للقلبِ مــن شَــغَفٍ
إلا بحبِّــكَ فاشْــرَحْ لي بــه بَــالي
أنــا الفقــيرُ إلى مــولايَ يَــرْحمُني
إذا تقضَّى بهــولِ المــوتِ إمهــالِي
أنــا الفقــيرُ إلى مــولايَ يَــرْحمُني
في بطنِ لحدٍ وَحِيشٍ مُظلــمٍ خــالِي
هُناكَ لحمِي لِــدُودِ القــبرِ فاكِهــةٌ

(١) الكالي: الحافظ.

والعظمُ منِّي رمِيمٌ في الثّـرى بـالي

أنـا الفقـيرُ إلى مـولايَ يـرْحَمُني

يومَ القيامـةِ مـن عُنـفٍ وأهـوالِ

وأن أكـونَ بعيـدًا مـن تعطُّفِـهِ

مقطِّعًـا عنـهُ في الآبـادِ آمـالِي

أنـا الفقـيرُ إلى مـولايَ يحشُـرني

في زُمـرةِ المصـطفىَ المختـارِ والآلِ

صلَّى الإلهُ علـى أرواحهِـم أبـدًا

ضَعْفًا على قـدرِ زخّـارٍ وهطّـالِ

* * *

٧٦- دليل الحائرين[1]

يا مـــنْ إليـــهِ جميـــعُ الخلـــقِ يبتـــهلُوا
وكــــلُّ حــــيٍّ علــــى رُحمــــاهُ يتَّكِــــلُ
يا من نأَى فــرأَى مــا في القلُــوبِ ومَــا
تحتَ الثَّــرى وحجــابُ الليــلِ مُنْسَــدِلُ
يا من دنا فنأى عن أن يُحــيطَ بــهِ ال
أفكـــارُ طُـــرًّا أو الأوهـــامُ والعلَـــلُ
أنـــتَ المنـــادَى بـــهِ في كـــلِّ حادثـــةٍ
وأنتَ ملْجَأُ من ضــاقتْ بــهِ السُّــبُلُ
أنتَ الغيــاثُ لمــنْ سُــدَّت مَذَاهبُــهُ
أنتَ الدليلُ لمــنْ ضــاقتْ بــه الحيــلُ
إنَّـــا قَصَـــدْناكَ والآمـــالُ واقعَـــةٌ
عليـــكَ والكـــلُّ ملـــهُوفٌ ومبتَهِـــلُ
فإن غفرتَ فعــنْ طَــوْلٍ وعــن كَــرمٍ
وإنْ سَطَوْتَ فأنــتَ الحــاكِمُ العَــدِلُ

* * *

(١) بستان الواعظين (ص:١٥٣-١٥٤).

٧٧- نحن العبيد وأنت الملك[1]

يا منْ يُغيثُ الورَى من بعدِ ما قَنَطوا ... ارحَمْ عبادًا أكُفَّ الفقرِ قد بَسَطُوا

عودتَهُم بسطَ أرزاقٍ بلا سَبَبٍ ... سوى جميلِ رجاءٍ نَحْوَهُ انبسَطوا

وعُدْتَ بالفضلِ في وردٍ وفي صَدْرٍ ... بالجودِ إن أقسَطوا والحلمِ إن قَسَطُوا

عوارفُ ارتبطَتْ شُمُّ الأنوافِ بها ... وكلُّ صعبٍ بقيدِ الجودِ يرتبطُ

يا من تعرَّفَ بالمعروفِ فاعترفَتْ ... بجَمِّ إنعامِهِ الأطرافُ والوسَطُ

وعالمًا بخفيَّاتِ الأُمورِ فلا ... وهمٌ يجوزُ عليه لا ولا غَلَطُ

عبدٌ فقيرٌ ببابِ الجودِ مُنكَسِرٌ ... من شأنهِ أن يوافي حينَ ينضَغِطُ

مهمَا أتَى ليمدَّ الكفَّ أخجَلَهُ ... قبائحٌ وخطايَا أمرُها فَرَطُ

يا واسعًا ضاقَ خطوُ الخلقِ عن نِعَمٍ ... منهُ إذا خَطَبُوا في شُكرِها خبطُوا

وناشرًا بيدِ الإجْمالِ رحمَتَهُ ... فليسَ يلحَقُ منهُ مسرفًا قَنَطُ

ارحمْ عبادًا بضنكِ العيشِ ما لهمُوا ... غيرُ الدُجنَّةِ لُحفٌ والثَّرى بُسُطُ

لكنَّهم من ذُرَى علياكَ في نَمَطٍ ... سامٍ رفيعِ الذُرَى ما فوقَه نَمَطُ

ومن يكنْ بالذي يهواهُ مجتمعًا ... فما يُبالي أقامَ الحيُّ أم شَحَطُوا

نحنُ العبيدُ وأنتَ الملكُ ليسَ سوَى ... وكلُّ شيءٍ يُرَجَّى بعدَ ذا شَطَطُ

* * *

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان (٤٨/١).

٧٨- صرفت إلى ربِّ الأنام مطالبي[١]

صرَفتُ إلى ربِّ الأنــامِ مطَــالبي ... ووجهتُ وجهي نحْــوَهُ ومــآربي

إلى الملكِ الأعلى الذي ليسَ فوقَهُ ... مليكٌ يُرجَّى سَــيبهُ في المتاعــبِ

إلى الصَّمَدِ البَرِّ الذي فاضَ جودُهُ ... وعمَّ الورَى طُرًّا بجــزلِ المواهِــبِ

مُقيلي إذا زلّت بي النعــلُ عــاثرًا ... وأسمحُ غفّــارٍ وأكــرمُ واهــبِ

فما زالَ يُوليني الجميــلَ تلطُّفًــا ... ويدفعُ عَنِّي من صُدورِ النّوائــبِ

ويرزُقُني طفلًــا وكهْلًــا وقبلَهَــا ... جنينًا ويَحْمــيني وبيَّ المكاسِــبِ

إذا أغلقَ الأملاكُ دوني قُصــورَهُمْ ... ونَهنَهَ[٢] عن غِشْيانِهمْ زجرُ حاجِــبِ

فَزِعتُ إلى بابِ المُهــيمنِ طارقًــا ... مُدلًّا أُنادي باسمِــهِ غــيرَ هائــبِ

فلم أُلفِ حُجّابًا ولم أخــشَ مِنْعَــةً ... ولو كانَ سُؤلي فوقَ هامِ الكواكِــبِ

كريمٌ يُلبِّي عبــدَهُ كلمَــا دَعَــا ... نهارًا وليلًا في الدُّجَى والغياهِــبِ[٣]

سأســألهُ مــا شــئتُ إنّ يمينَــهُ ... تسحُّ دِفَاقًا باللُّهَى[٤] والرِّغائــبِ[٥]

فحسبي ربِّي في الهزاهزِ[٦] ملجَــأً ... وحرزًا إذا خيفَتْ سهامُ النوائــبِ

---

(١) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد (ص: ١٢١-١٢٢).

(٢) نهنه: كفّ وزجر.

(٣) الغياهب: الظلمة الشديدة.

(٤) اللهى: العطايا.

(٥) الرغائب: العطاء الكثير.

(٦) الهزاهز: الفتن.

٧٩- عفوك اللهم(١)

يا من يُجيبُ دُعا المضْطرِّ في الظُّلَمِ ... يا كاشف الضُّرِّ والبلْوَى مع السَّــقَمِ

قد نامَ وفدكَ حولَ البيتِ وانتبــهُوا ... وأنت عينُــكَ يــا قيــومُ لم تَــنَمِ

هب لي بجودِكَ فضلَ العفوِ عن جُرمــي ... يا من إليه أشارَ الخلــقُ في الحــرَمِ

إن كانَ عَفْوُكَ لا يُدرِكُهُ ذو سَرَفٍ ... فمن يجودُ على العاصِينَ بــالكَرَمِ

* * *

٨٠- يا عظيم النعم(٢)

محمود سامي البارودي

لكَ الحمدُ، إنَّ الخيرَ منكَ، وإنــني ... لصنعكَ يا ربَّ السَّماواتِ شــاكرُ

فأنتَ الذي أوليتَني كــلَّ نعمــةٍ ... وهذَّبتني حتَّى اصطفَتني العشَــائرُ

فقرِّبْ ليَ الخيرَ الذي أنَــا راغِــبٌ ... وباعِدني الشرَّ الذي أنــا حــاذِرُ

فليسَ لمنْ تُقصيهِ في النَّــاسِ نــافعٌ ... وليسَ لمرءٍ تُدنيهِ في النَّاسِ ضــائرُ

ولا لامرئٍ ألهمتَهُ الرُّشــدَ خــاذِلٌ ... ولا لامرئٍ أَوْرَدْتَهُ الغَــيَّ ناصِــرُ

فإن أدركتْ نفسي المرامَ ولم أقُــمُ ... مقامَ ضليعٍ بالــذي أنــت آمــرُ

فلا لاح لي في ذِرْوةِ المجدِ كوكــبٌ ... ولا طارَ لي في قُنَّــةِ العــزّ طــائرُ

* * *

(١) كتاب التوابين (ص:١٤٩).

(٢) ديوان البارودي (٤٩٣/٢) الموسوعة الشاملة.

٨١- إليك أفرُّ من زللي

المقري

إليكَ أفـــرُّ مـــن زلِلـــي … فرارَ الخـــائفِ الخجِـــلِ
فخُذْ بيـــدَيْ غريـــقٍ في … بحـــارِ القَـــوْلِ والعمـــلِ
وهبْ لي منـــكَ عارفَـــةً … تُعَرّفُ مـــا تنكّـــرَ لِـــي
وتهـــدِيني إلى رَشَـــدي … وتمـــنعُني مـــن الزَّلـــلِ
وتحمِلُـــني علـــى سَـــنَنٍ … يـــؤمِّنُني مـــن الوجَـــلِ
فأنتَ دليلُ من عَمِيَـــتْ … عليهِ مســـالِكُ السُّـــبُلِ
على جدوَاكَ معتَمَـــدي … فأنقِـــذني مـــن الـــدَّخلِ
وألحِقـــــني بجنّـــــاتٍ … لـــدَى درجاتِهَـــا الأُوَلِ
فأنـــتَ مـــلاذُ مُعتَصـــمٍ … وأنتَ عمـــادُ مُتَّكـــلِ(١)

* * *

(١) نفح الطيب، (٤٨/١) الموسوعة الشاملة، وقد حذفنا ما في القصيدة من توسل غير مشروع.

٨٢- رأيتُ الله[1]

عائض بن عبد الله القرني

إلهَ الكـــونِ يُسْـــعِدُني رِضَـــاكا ... ومـــا لي خـــالقٌ أبـــدًا سِـــواكَا

تراك إذا رأيتُ الكَـــوْنَ عَيْنِـــي ... وأنـــتَ اللهُ أعظـــمُ أن نَرَاكَـــا

إذا ما الفجْرُ في الآفـــاقِ حَاكَـــا ... وإذ بالطَـــلِّ مُنْسَـــكِبٌ تَبَـــاكَى

وإذا بالماءِ في الأوهَـــادِ يَسْـــرِي ... يُتَمْتِمُ عن مَعَـــانٍ لســـتُ أدري

عساهُ يقـــولُ للـــرحمَنِ شُـــكرًا ... فأنتَ اللهُ قـــد أجريـــتَ نَهْـــري

وتنشـــقُّ الزُّهـــورُ بكـــلِّ لـــونِ ... تقولُ لنـــا أيَـــا قَـــوْمِي دعُـــوني

أســـبحُ للـــذي بالمـــاءِ أسَـــرى ... إليَّ وكُنـــتُ في هَـــوْلِ المنُـــونِ

وهبَّ الطَّيرُ لـــلأرْزَاقِ صُـــبحَا ... تُسبِّحُ وهيَ في الآفـــاقِ سَـــبْحَا

ولولا ربُّهـــا سَـــقَطَتْ خِفافًـــا ... وأهوَى نحوَهـــا الصَّـــيادُ ذبحَـــا

إلهي في جميـــعِ الكَـــوْنِ شَـــاهدْ ... بأنكَ موجـــدٌ للخَلْـــقِ واحـــدْ

ومن جَحَـــدَ الحقيقـــةَ كـــذَّبوه ... كذبتَ لقد خَسِرتَ أيـــا مُعانـــدْ

فمُدَّ الطَّرفَ في لَـــوْحِ السَّـــماءِ ... وســـائِلْ وردَهُ بعـــدَ انتِهـــاءِ

أحَطْـــتَ بكُنهِـــه أم لَمْ تُحِطْـــهُ ... فأنـــتَ اليـــومَ في دورِ الغَبَـــاءِ

تَرَى قمرًا فَقِـــفْ حتَّـــى تُفكّـــرْ ... ترى الرحمنَ مّمـــا رُمـــتَ أكـــبرْ

فَمِنْ أينَ الشُّعاعُ فلســـتُ أَدْرِي ... وكيفَ البدرُ في الخضْرا تكـــوَّر

وطَلَّ الفَجْرُ في الـــدُّنيا بشَـــمسٍ ... أبِكْـــرٌ هـــذه أم بنـــتُ أمـــسِ

فينقَشِـــعُ الظَّـــلامُ ولم يُطقْهـــا ... يَكِرُّ بجُنْـــدِهِ في حـــينِ نُمْسِـــي

---

(١) ديوان لحن الخلود (ص:٤٤-٤٥).

رأيتُكَ خــالِقي في كــلِّ معنًــى كلامُــكَ بــين أظهرِنــا سمِعْنــا
ولَوْلا أنتَ مــا كُنّــا وكانــتْ نفــوسٌ في أكنَّتِنــا اجتَمَعْنــا
لقد فجَّــرْتَ ينبــوعَ المعــاني فراعَ الكُفرُ من سِــحْرِ المثــاني
كتبتَ لكَ البقاءَ فــدُمتَ حيًّــا قــديرًا مالِكًــا والكُــلُّ فَــانِي
أأُذري الدَّمعَ أم تَكْفِي شُــجُوني لغيرِ هواكَ مــا سَــالتْ عُيــوني
فمن نرجُو سِوَاكَ ومن سَــيَرْحَمْ وقد أَسْلَفْتُ ذنبًــا حــالَ دُوني
نظرتُ إليكَ من جُنحِ الغُيــوبِ وقد كثُرَتْ على قَلــبي ذُنــوبي
وقد سارتْ خُطَايَ علَى طريــقٍ إلى ربِّ السَّــنا أبــدًا هُــروبي
إليكَ عَقَــدْتُ بــالوُثقَى حِبَــالي ومن فَيْضِ الهُدَى شَــرَفي ومــالي
بنورِ عُلاكَ أمضــي في طَرِيقــي أضاءتْ من سَنى النُّــورِ اللَّيــالي

* * *

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

* * *

قصائد في تعظيم الله

* * *